السنة السادسة العدد ٧١ ـ محرم ١٤٠٢هـ ـ نوفمبر ١٩٨١م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

- في ذكرى كربلاء العظيمة : بقلم خالد محمد خالد
- قصيدة جديدة للدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي
- الحياة والموت في بحر مُلوّن




بيبسي

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٧١ - نوفمبر/تشرين ثاني ١٩٨١م

رئيس التحرير :

رجاء النقاش

هيئة التحرير

مدير التحرير : عبدالقادر حميدة

المدير الفني : أحمد فاضل

المحرر العام : كمال سعد

رئيس قسم دراسات الخليج
مرزوق بشير

التحرير

النور عثمان أبكر — عبدالله جابر
نادية رزق — ممدوح عبدالرحمن

سكرتير التحرير : نبيل خالد الأغا

الإشراف الفني
محمد نبيل الحداد — نائلة محمد فتحي

سكرتيرا التحرير الفنيان
أحمد عبدالله — علي دياب

البحوث والمعلومات : مبارك عثمان العشي

التصوير : أمين بدوي الحامدي

المراسلات :

التحرير والادارة :
ص . ب ٢٣٢٤
الدوحة ـ قطر .
العنوان البرقي :
المجلة ـ الدوحة
تليكس :
4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير : ٢١٢٢١
مدير التحرير : ٢١١٢١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

الأسعار :

قطر ٤ ريالات
البحرين ٢٥٠ فلسا
الامارات العربية ٤ دراهم
عمان ٢٠٠ بيسة
الكويت ٢٥ فلسا
السعودية ٤ ريالات
الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا
اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا
العراق ٢٥٠ فلسا
المملكة الاردنية ٢٠٠ فلس
سوريا ٢٠٠ قرش
لبنان ٢٠٠ قرش
مصر ١٥٠ مليما
ليبيا ٣٠٠ درهم
السودان ٢٠٠ مليم
تونس ٣٠٠ مليم
الجزائر ٣ دنانير
المغرب ٣ دراهم
باقي دول العالم :
ما يعادل دولارين أمريكيين

الاشتراكات :

داخل قطر ٤٨ ريالا قطريا
بالدول العربية ٥٤ ريالا قطريا
في باقي دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٠٠ ريال قطري
بالدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
في باقي دول العالم ١١٢ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

● المواد لا تعاد الى مرسليها نشرت أو لم تنشر
● ما ينشر في المجلة لا يعبر بالضرورة عن رأي الوزارة أو المجلة

في هذا العدد


د. غازي القصيبي


محمد الفهد العيسى


عبد الله جفري


د. جابر الأنصاري


محمد فتحي


نبيل الألفي

● الأمن الثقافي العربي ..... رجاء النقاش
● حاجة الثقافة العربية الى نزعة التحليل الاجتماعي ..... د. محمد جابر الأنصاري ٢
● في ذكرى كربلاء العظيمة ..... خالد محمد خالد ٦
● انتخب فرحي في مناسبات الحزن ..... عبد الله جفري ١٤
● قالوا هذا الشهر ١٧
● الانسان ومكاسب عصر الفضاء ..... ابراهيم السمان ١٨
● تعريب التعليم الجامعي ..... محمد عاطف كشك ٢٠
● السينما التسجيلية في قطر ٢٤
● وعد بلفور بعد ٦٤ سنة ..... عصام شريح ٣٠
● فيم العناء ؟ ... (قصيدة) ..... د. غازي القصيبي ٣٦
● دارفور : جسر الى قلب افريقية ..... ابراهيم اسحق ابراهيم ٣٨
● القادسية : فيلم عربي اثبت وجوده في مهرجانين عالميين ..... رءوف توفيق ٤٤
● حيرة ... (قصيدة) ..... محمد الفهد العيسى ٥١
● قضية نقل التكنولوجيا ..... درويش مصفى الفار ٥٢
● كتاب على الرف ... (قصة) ..... عباس خضر ٥٤
● هل تكلم طه حسين هكذا لآخر مرة ؟! ..... د. محمد الدسوقي ٥٦
● لابد من صنعا وإن طال السفر ... (قصيدة) ..... مروان الخاطر ٦٠
● قصة النفط في قطر ..... عرض نبيل خالد الاغا ٦٢
● فن الكلام للناس ..... نبيل الألفي ٦٤
● أضواء ..... النور عثمان أبكر ٦٨
● الجد والحفيد ... (قصة) ..... يوسف الشاروني ٧١
● لقطات من الكون المثير ٧٢
● رفاعة رافع الطهطاوي ..... د. محمد عمارة ٧٤
● كلمات في المدن النائمة ... (قصة) ..... سعد مكاوى ٧٨
● رسالة الى تاجر شديد الطمع ..... معروف رفيق ٨٢
● بيكاسو في لندن بعد مائة عام على ميلاده ..... مجدى نصيف ٨٣
● الطيور المهاجرة ..... د. غباشي ربيع ٨٨
● قصائد من اليونان ..... ترجمة د. نعيم عطية ٩٣
● حوار مع الفنان البحريني عبد الله يوسف ..... علوي الهاشمي ٩٦
● الحياة والموت في بحر ملون ..... صنع الله ابراهيم ١٠٠
● قصة البحث عن عبقرية الفن الاسلامي ..... جمال قطب ١١٠
● احبك ... (قصيدة) ..... محمد خليفة ١١٥
● خواطر من الشاطىء ..... محمد فتحي ١١٦
● هذا ما كان ... (قصة) ..... محمد البساطي ١١٨
● تقرير مصير الفلسطينيين .. «كتاب الشهر» ..... مراجعة : احمد العناني ١٢٠
● ميلاد جديد ... (قصة) ..... كلثم جبر ١٢٤
● الحلم والانتظار ... (قصة) ..... نوره آل سعد ١٢٧
● المثقف والقلق ..... بشرى ناصر ١٢٩
● النظام الاذاعي في بريطانيا ..... احمد فارس عبد المنعم ١٣٠
● انظر الى الماضى دون خجل ..... صلاح الدين المقريزى ١٣٣
● ضحكات الشهر ..... صلاح الليثي ١٣٨
● دوحة القراء ١٤٠
● رسائل الى المحرر ١٤٤
● الورقة الأخيرة : علمتني الحياة ..... عبد الله الشيتي ١٤٦

●● أرجو أن يقرأ وزراء الثقافة العرب هذا المقال قبل أن يجتمعوا غدًا في بغداد ●●

مشكلة عاجلة اسمها :

الأمن الثقافي العربي

بقلم
رجاء النقاش

غداً وبالتحديد يوم ٢ نوفمبر ١٩٨١ م ، يعقد وزراء الثقافة العرب اجتماعاً هاماً لهم في بغداد . وسوف يعالج هذا الاجتماع عدداً من القضايا الأساسية التى تهم الثقافة العربية فى المرحلة الراهنة .

وأود بمناسبة هذا المؤتمر الهام أن أضع أمام وزراء الثقافة العرب مشكلة دقيقة لم تكن ـ حتى اليوم ـ موضع بحث أو دراسة فى أي مؤتمر من المؤتمرات الثقافية الرسمية أو الشعبية .

هذه المشكلة هي ما أسميه بالأمن الثقافي العربي .

فنحن نتحدث كثيراً عن الأمن العسكري للوطن العربي ، ونتحدث عن الأمن الغذائي ، ولكننا لم نتحدث أبداً عن الأمن الثقافي ، ولم ننظر الى هذا الأمن نظرة اهتمام وتقدير . بل لم نطرح على أنفسنا مشكلة بهذا الاسم على الاطلاق .

وإذا كان الأمن العسكري يعني حماية الأرض العربية ، وإذا كان الأمن الغذائي يعني حماية الانسان العربي من الجوع أو من مشكلات الغذاء التى تتزايد يوماً بعد يوم ، فان الأمن الثقافي يعني حماية العقل العربي من الضياع ، وحماية عقل الأمة أمر لا يقل خطراً عن حماية الأرض أو حماية الطعام ، بل أن الأمة التى يضيع عقلها أو يتبدد أو يتعرض للخطر ، لا يمكن أن تجد معنى بعد ذلك لحماية الأرض أو حماية لقمة الخبز ، لأن ضياع عقل الأمة معناه ضياع الأمة نفسها بأرضها وخبزها ومائها وكل ما فوقها من آثار الطبيعة أو آثار الانسان .

وللأسف فان مشكلة « الأمن الثقافي » فى الوطن العربي قائمة بصورة عنيفة ، ولكننا لم نلتفت إليها رغم تفاقم أعراضها يوماً بعد يوم ، ولم نعمل أبداً على حل هذه المشكلة

مشكلة عاجلة اسمها :

الأمن الثقافي العربيّ

بالصورة التى تتناسب مع أمة حية متحضرة . والحقيقة أننا أمام مشكلة يجب ألا نتهاون فى وصفها وعلاجها ، وبدون أن نستخدم أية ألفاظ ضخمة تعتمد على المبالغة أو الاثارة ، فاننا نقول إن هذه المشكلة خطيرة ، وأنها تهدد العقل العربي تهديداً كاملا واسع النطاق .

وحتى لا نتوه فى المقدمات ، فلنبدأ برصد ظواهر هذه المشكلة التى نسميها باسم مشكلة « الأمن الثقافي » ، وأول مظاهر هذه المشكلة هو ما أصبح معروفاً باسم « تزوير الكتب » وقد أصبح لهذا التزوير مؤسسات كاملة تقوم به فى بيروت وغير بيروت ، دون أن يصدر قانون عربي واحد يعاقب مؤسسات التزوير هذه على ما ترتكبه من جرائم فى حق العقل العربي والثقافة العربية ، إننا نعاقب الذى يزور الأوراق المالية ، وتضع الدولة القوانين التى تدفع بمثل هذا النوع من التزوير إلى القضاء والسجن ، ونعاقب أى نوع آخر من أنواع التزوير ، إلا التزوير الثقافي فهو حر طليق ، وأصحابه أحراراً طلقاء ، بل هم ناعمون فيما يكسبونه من ثروات طائلة من وراء هذه المهنة التى لا يطاردها أي قانون عربي فى أي مكان حتى الآن ، والتى ينظر إليها الجميع فى ابتسام وسخرية ، ويمرون بها مر الكرام ، ولا يجدونها موضوعاً للبحث والمناقشة ووضع الحدود والقيود عليها حتى تتلاشى وتنتهي من الساحة الثقافية العربية .

إن مؤسسات تزوير الكتب تصدر كل يوم آلافاً من النسخ المزورة لمختلف الكتب الحديثة والقديمة ، ورغم أن هذه المؤسسات قد بدأت وانتشرت فى الوطن العربي منذ أكثر من عشرين سنة ، إلا أن أحداً لم ينهض حتى الآن لوضع حد لهذه الجريمة التى يتم ارتكابها كل يوم بأعصاب هادئة باردة، وهي جريمة أصبحت مألوفة ومعروفة ، وأصبح الذين يرتكبونها يشعرون بالأمان الكامل ، ويفتحون لها مكاتب علنية ويضعون عليها اللافتات البراقة ، بغير خجل أو حياء ، ويجمعون الثروات الطائلة من وراء عملية « تزوير الكتب » هذه جهاراً نهاراً ، دون أن يجدوا من يحاسبهم ، أو يطالبهم بالتزام الحدود الأخلاقية والقوانين المشروعة لعملية نشر الكتب وإصدارها .

لقد كان للتقدم الذى حققته الطباعة الحديثة أثر كبير فى ترويج عملية التزوير هذه ، حيث أصبح من السهل عن طريق ما يسمى باسم « طباعة الأوفست » اختصار عملية الطباعة ، بحيث يمكن طبع أى كتاب بسهولة ويسر ، بشرط أن يكون هذا الكتاب مطبوعاً من قبل ، فاذا كان هناك على سبيل المثال كتاب سبق طبعه فى القاهرة أو بغداد أو دمشق أو تونس ، بكمية لا تتجاوز خمسة آلاف نسخة مثلا ، فان تجار التزوير الثقافي ، سرعان ما يطبعون من نفس الكتاب عشرين ألف نسخة أخرى ، بتصوير الأصل المطبوع كما هو ، ثم يطرحون النسخ المزورة فى الأسواق ، فتختلط بالنسخ الأصلية ، وتصبح الأسواق الثقافية مكدسة بالكتاب ، مما يصعب معه إعادة طبعه ، وينتج عنه ضياع كامل لحقوق المؤلف ، هذه الحقوق التى كان من الممكن لو وجدت من يضمنها أن تخلق نهضة كاملة فى الحركة الثقافية والفكرية العربية ، لأن نشاط حركة التوزيع للكتاب العربي ، يعنى مزيداً من التفرغ والاجادة والعمق بالنسبة للمثقفين ، ويعنى ظهور طبقة من رجال الفكر والعلم والأدب والفن يستطيعون أن يعيشوا على انتاجهم ويبدعوا فيه ، فتنهض الأمة بنهوض رجال العقل فيها ، ويتمكن رجال العقل هؤلاء من تحقيق استقلال اقتصادي يساعدهم على مزيد من العمل والانتاج والابداع ، أما الوضع الراهن الذى يشهد زيادة ملموسة فى نسبة القراءة بين المواطنين العرب نتيجة لاتساع التعليم وازدياد عدد الجامعات العربية ، وخروج آلاف من المتعلمين كل عام من هذه الجامعات ... أقول إن الوضع الراهن الذى يشهد نشاطاً وزيادة فى نسبة القراءة العربية كان لابد أن يعود على المفكرين والحركة الفكرية نفسها بالخير العميم ، ولكن الذى يحدث هو أن الخير كله يعود على طبقة من التجار نشأت فى السنوات الأخيرة لا هم لها إلا امتصاص القارىء وسرقة حقوق المؤلفين والمثقفين ، بحيث تحول أصحاب العقول إلى طبقة من الفقراء العاجزين عن التفرغ لعملهم الفكري ، والعاجزين عن حضور مؤتمرات علمية هنا أو هناك فى شتى أنحاء العالم ، والعاجزين عن شراء مراجع تناسبهم ويحتاجون إليها لاستمرار عملهم الفكري والابداعي ، بينما أصبح الذين يتاجرون بالعقل والانتاج العقلي ، يملكون أكبر الثروات ، ويعيشون على أعلى المستويات الاقتصادية لا في الوطن العربي وحده بل في العالم كله ، وأعرف عدداً من هؤلاء الناشرين المزورين ، بدأوا من الصفر ، وفى سنوات قليلة أصبحوا يملكون قصوراً فى أوروبا وأمريكا ، وأصبحوا

● طبقة خطيرة من الذين حصلوا على الثراء غير المشروع عن طريق تزوير الكتب

« زبائن » دائمين على موائد القمار فى « مونت كارلو » أو فى « بـلاي بوي » فى لندن ، بينما نجد مفكرين كبارا يتوارون من شدة ضغط الحاجة عليهم ، وقلة ما يعود إليهم من عرق أفكارهم وعجزهم عن التفرغ للعطاء الصحيح ، فالعالم الأديب الدكتور جمال حمدان ، يعيش كريماً على نفسه وعقله وضميره فى القاهرة ، ولكنه يعيش فى ضنك ويعاني من ضيق ذات اليد وهو النابغة اللامع صاحب الانتاج الفكري الأصيل المتنوع كماً وكيفاً ، بينما تتعرض كتبه للتزوير ، وتباع بالآلاف فى أسواق « النخاسة » الفكرية والثقافية ، ويكسب من ورائها تجار العقل والفكر من المزورين أموالا طائلة يصرفونها على الهوى والعبث وموائد القمار فى ليالي لندن وباريس وأمريكا ، ولقد زرت الكاتب الكبير ابراهيم المصري فى أواخر أيامه فى شقته المتواضعة فى مصر الجديدة ، فوجدت الرجل وقد تجاوز السبعين يعيش على الكفاف ، حياة لاتليق بعمره ولا بكفاحه الثقافي الطويل ، ولا بعدد الكتب التى ألفها والمقالات التى كتبها ، كل ذلك فى الوقت الذى كانت كتبه ـ ومازالت ـ تتعرض للتزوير بآلاف النسخ وتباع فى الأسواق ليعود ربحها إلى طبقة المزورين من تجار العقل والفكر والثقافة .

وزرت أيضاً فى القاهـرة الكاتب الكبير على أدهم وكان قد تجاوز الثمانين قبل وفاته فى العام الماضى ، فاذا به هو الآخر يشكو من أنه لا ينال شيئاً من عائد كتبه العديدة والعميقة ، ومن جهاده الثقافى الذى استمر أكثر من ستين عاماً متواصلة ، بينما كان الرجل يسمع ويقرأ أن كتبه الثمينة تتعرض للتزوير ذات الشمال وذات اليمين .

ولا بأس من الاستطراد قليلا هنا للكشف عن خطورة ظاهرة تزوير الكتب هذه وأثرها السيىء على الحياة العقلية العربية .. وأذكر أن إحدى دور النشر المحترمة فى مصر ، والتى كانت تقيم تعاملها مع الكتاب والمثقفين على أساس من الأمانة والدقة ، قد تعرضت لأزمة وكساد كبيرين وكادت تنفض يدها من نشر الكتب الثقافية والأدبية وتقتصر على نشر الكتب المدرسية ، وذلك بسبب اتساع حركة التزوير فى منشوراتها الفكرية والفنية ، فاذا أصدرت هذه الدار ـ مثلا ـ رواية لنجيب محفوظ ، فان هذه الرواية سرعان ما تتعرض للتزوير ، ويصبح المطروح منها فى الأسواق العربية كميات كبيرة جداً ، بحيث لا تستطيع دار النشر الأصلية ، أن تطرح الرواية التى طبعتها فى الأسواق ، فان طرحتها ، لم تجد الرواية رواجاً ، ولم تحقق نجاحاً من أي نوع ، لأن عملية التزوير ، قد سبقت واستولت على القراء والأسواق ، وفي ذلك ضرر بالغ لدار النشر الأصلية ، ولكن الضرر الأكبر إنما يلحق بالكاتب ، فبدلا من أن يحصل الكاتب على حقوقه الصحيحة التى تعود عليه من انتشار كتبه ، فان عملية التزوير تأكل هذه الحقوق وتقضى عليها تماماً ، فاذا كان الناشر الأصلي قد طبع خمسة آلاف نسخة من الرواية فان الناشر الذى يقوم بالتزوير يطبع عشرين ألف نسخة ، ولا يستطيع الكاتب أن يحصل على حقوقه عن الآلاف المزورة ، بينما تتعثر الطبعة الأصلية بسبب إغراق السوق بالنسخ المزورة .

وأذكر فى هذا المجال أيضاً أن أحد الناشرين الذين احترفوا عملية التزوير على نطاق واسع ، قد زار القاهـرة والتقى بكاتب وفنان كبير ، وقد حضرت هذا اللقاء بالصدفة لأننـي كنت فى زيارة لهذا الكاتب الكبير فى مكتبه ، وسمعت ماقاله الناشر الذى يقوم بتزوير مؤلفات الكاتب الكبير .. سمعت ماقاله هذا الناشر للكاتب وأنا فى دهشة ، بل فى ذهول ... قال الناشر للكاتب : لقد نشرت لك عدداً كبيراً من الكتب بدون إذنك ، وبطريقة التزوير هذه ، وقد كسبت من وراء هذا التزوير مبالغ طائلة ، وأريد أن أقدم إليك بعض المال الذى كسبته من وراء كتبك . وتردد الكاتب الكبير فى البداية ، لأنه كان يرفض عملية التزوير رفضاً قاطعاً ، كما كان يريد أن تكون العلاقة بينه وبين ناشريه علاقة قانونية مبنية على أسس سليمة ، وقال الناشر بغير خجل للكاتب الكبير : أنت ليس لك حقوق قانونية عندي ، وإذا قبلت المبلغ الذى أعرضه عليك أو لم تقبله فأنت حر .. إننى أعمل خارج القانون وفوق القانون ، ولا أحد يستطيع أن يحاسبني ، فأنا أطبع من كتبك ما أشاء ، ومخازني التى أحفظ فيها هذه الكتب سرية لا تصل إليها يد قاض أو شرطي ، وأسواقى التى أبيع فيها الكتب حرة ـ بالرشوة والنفوذ الاقتصادي الذى أملكه ـ من كل ضريبة أو قيد أو رقابة ، والكميات التى أطبعها تخضع لارادتي وحاجة السوق التى لا تشبع ، فالقارىء العربي قد زاد وأصبح راغباً فى القراءة مقبلا عليها أشد الاقبال ، وأنا أقوم بتوزيع كتبك فى شتى أنحاء الأرض بغير رقيب ولا حسيب ، وما تقدمت إليك بهذا المبلغ إلا من باب التعاطف معك أو العطف عليك .. وإذا لم تقبل هذا المبلغ مني فلن تستطيع محاسبتي ، وأنا غير مسئول أمامك أو أمام آخرين .. وخير لك أن تقبل هذا المبلغ مني ، وخير لك أن ترضى به .

وقبل الكاتب الكبير الأمر الواقع ، واستمر الناشر فى عملية التزوير ومازال يقوم بها حتى اليوم .

وناشر آخر يقوم بنشر مؤلفات كاتب عربي نال شهرة واسعة فى السنوات الأخيرة ، وأصبحت كتبه تبيع عشرات الألوف كل عام ، ولا أحب أن أذكر اسم هذا الكاتب الآن لأنه ينوي أن يدخل فى معركة قضائية ضد ناشره ، وأنا لا أريد أن أقطع عليه طريق القضاء ، وأخشى إن ذكرت اسمه علناً أن

مشكلة عاجلة اسمها :

الأمن الثقافي العربيّ

يسارع الناشر الذى يقوم بتزوير كتبه الى رفع قضية ضده وضدي ، وعملا بالنظرية المعروفة التى تقول إن الهجوم أسلم وسائل الدفاع » .

... قال لي هذا الكاتب الكبير يوماً : إننى كرهت الكتابة ولم أعد أرغب فى أن أمسك بالقلم مرة أخرى ، بسبب هذا الناشر الذى يقوم بتزوير كتبي وأعمالي الأدبية .. إنه يكسب من أعمالي أموالا طائلة ، وأنا لا أنال منها شيئاً على الاطلاق ، وكلما حاولت « محاسبة » الناشر اقتصادياً ، أظهر لى أوراقاً زائفة ، بل إنه إذا طبع الطبعة الخامسة من كتاب لي ، عاد فأصدر الطبعة السادسة ، وكتب عليها « الطبعة الرابعة » ... وهكذا .. لا محاسبة ولا مراقبة فى سوق التزوير الذى يتعرض له الكتاب العربي . وهذا الناشر بالذات ، بدأ عمله منذ خمسة عشر عاماً على التقريب ، وقد بدأ من الصفر ، وسرعان ما أصبح من أصحاب الثروات الطائلة ، وأصبح صاحب بيوت وثروة واسعة فى أمريكا وعواصم أوروبا المختلفة ، أما صاحبنا الكاتب الفنان الذى نال أعلى درجات الشهرة والنجاح الأدبي فى السنوات الأخيرة ، فهو يسعى فى الأرض ، تعباً وعرقاً ، بحثاً عن قوته وقوت أولاده ، وحرصاً على أن يجد مستقبلا متواضعاً فيه بعض الأمان و « الستر » له ولأهله كما نقول فى لغتنا الشعبية .

وما أكثر النماذج والمآسي التى يمكن أن نرويها عن التزوير والمزورين .

ولو أننا قارنا ما يحدث فى أسواق الثقافة العربية بما يحدث فى الغرب ، لوجدنا الفارق الكبير فى « الأمن الثقافي » بيننا وبين الآخرين .. ففى أواسط الخمسينات ظهر الكاتب الانجليزي « كولن ولسن » بكتابه الأول « اللامنتمي » ، وقد نجح هذا الكتاب نجاحاً كبيراً ، فاستطاع الكاتب أن ينتقل من حياة الفقر والتعاسة التى كان يعيشها الى حياة لائقة ، واستطاع من دخل كتابه الأول أن يتفرغ لعمله الفكري والفني وأن يواصل الانتاج وخلال مايقرب من ربع قرن .. بغير خوف أو اضطراب أو احساس بالضياع ، ذلك لأن « كولن ولسن » قد نال حقه عن كل نسخة بيعت أو تباع من كتبه المختلفة ، منذ كتابه الأول إلى الآن . وهناك أيضاً « دينس هيلي » صاحب رواية « الجذور » الشهيرة ، لقد انتقل هذا الكاتب من وضع الى وضع بعد نجاح « الجذور » ، وأصبح الآن كاتباً متفرغاً لقلمه ، لا يعاني من أي ضغط ، وهو يهيىء نفسه للكثير من الانتاج الجديد ، الرفيع ، لأنه استطاع أن يحصل على كافة حقوقه من خطوته الأولى الناجحة : « الجذور » .

والمطلوب الآن من وزراء الثقافة العرب فى اجتماعهم فى بغداد أن يتخذوا قراراً واضحاً ضد عملية « التزوير » هذه ، وأن يمنعوا الناشرين المزورين من أن يكون لهم أي حق فى دخول الأسواق العربية ، وأن يضعوا قائمة سوداء بهؤلاء الناشرين ويوقفوا التعامل معهم ويطاردوهم فى كل مكان .

ومثل هذا الموقف وحده هو الذى يجعل الحركة الثقافية العربية تعيش فى مناخ صحي سليم ، يؤدى إلى ازدهار ثقافي حقيقي فى الانتاج والتأثير الفكري للمفكرين وكتبهم ، فلسوف يترتب على مثل هذا القرار الذى يطارد التزوير ويوقفه أن توجد عندنا طبقة من المثقفين والمفكرين المبدعين القادرين على التفرغ لارساء أسس صحيحة من النهضة الثقافية العالية .

ومن الغريب أن كتابنا العرب الذين تمت ترجمة أعمالهم إلى لغات أجنبية أخرى ، ينالون كل قرش لهم فيه حق عن هذه الترجمات ، وهم ينالون ذلك بدون عناء أو معاناة أو حتى مطالبة بحقوقهم ، ذلك لأن النظام الثقافي الغربي — والاعتراف بالحق فضيلة — إنما يقوم على أساس سليم من الأمن الثقافي الكامل وإعطاء الحقوق لأصحابها بغير نقص أو تقصير .

● أدباء وكتاب نابغون يعانون أشد المعاناة وكتبهم تكسب بالآلاف وتبني القصور لمؤسسات التزوير الثقافية !

● الآثار العربية في كل مكان تغرق .. تغرق .. فمَنْ لها قبل الضياع ؟

● المخطوطات العربية بالملايين في المكتبات الأجنبية .. وأرضنا منها خاوية ولا نعرف عنها شيئاً على الإطلاق

● ارتفاع جنوني في سعر الكتاب يهدّد بانقراض ظاهرة القراءة وتحوّل الكتاب إلى سلعة "أرستقراطية" لا يملكها إلا من لا يحتاجون إليها !

على أن مشكلة « الأمن الثقافي » لا تقتصر على موضوع تزوير الكتب ، وإن كان هذا الموضوع فى تصوري ، يقف على رأس القائمة ، ويعمل عمله الفاسد الخطير فى تشويه المناخ الثقافي العربي تشويهاً بالغاً ، ولكن مسألة الأمن الثقافى تحتاج الى نظرة أخرى فى ميادين متعددة ، يمكن إجمال بعضها فيما يلي :

١ ــ لقد ازدادت أسعار الكتب وارتفعت بصورة خطيرة ، ويكفي أن أذكر نموذجين اثنين ، أولهما « الموسوعة العربية الميسرة » التى كانت تباع منذ أقل من عشر سنوات بثلاثة جنيهات ، وأصبحت تباع الآن بأربعين جنيهاً أو أكثر ، ومجموعة « قصة الحضارة » التى أشرفت على ترجمتها الجامعة العربية وكانت تباع منذ أقل من عشر سنوات « وقد بلغت مجلداتها حوالي ثلاثين مجلداً » بحوالي عشرين جنيهاً . وهي الآن تباع بمائة وخمسين جنيهاً .

هذا الارتفاع الجنوني فى أسعار الكتب يجب أن يتم إيقافه بقرار من وزراء الثقافة العرب ، لأن الكتاب ــ وهذه قضية مفروغ منها ــ سيظل هو أساس الثقافة وأداتها الأولى الفعالة التى لا تغنى عنها أية أداة أخرى ، وإذا كان الكتاب العربى يحتاج الى دعم ومساندة فيجب أن يتوفر هذا الدعم من جانب المؤسسات الثقافية العربية الرسمية ، فالكتاب لا يقل عن الغذاء الذى تقوم المؤسسات الرسمية بدعمه حتى لا ترتفع اسعاره بشكل يصعب على المواطنين معه أن يحصلوا على القدر الكافي من طعامهم .. كذلك الكتاب فانه يحتاج إلى الدعم ، وإلا فسوف يأتي يوم يصبح فيه الكتاب سلعة «ارستقراطية» لايقدر على الحصول عليها إلا طبقة محدودة من الأثرياء الذين لا ينتفعون بهذه السلعة الثقافية ، أو يتحول الكتاب إلى سلعة تشتريها المؤسسات الحكومية لتضعها فى مخازنها ، ولا ينتفع بها القاريء الحقيقي .

ولابد من قرار يتخذه وزراء الثقافة العرب لايقاف الارتفاع الجنوني فى أسعار الكتب بهذه الصورة التى سوف تؤدى إلى تحويل عملية القراءة الى عملية مستحيلة .

٢ ــ هناك قضية أخرى بالغة الخطورة تستحق وحدها بحثاً طويلا مستقلا ، هي قضية المخطوطات المبعثرة فى مكتبات العالم فى أوروبا وآسيا وأمريكا ، إن هناك ملايين المخطوطات العربية فى تركيا وهولندا وألمانيا وانجلترا وفرنسا والهند وروسيا والولايات المتحدة ، ولم نفكر حتى الآن فى اصدار قرار جماعي عربي لاستعادة هذه المخطوطات الهامة بالطرق العلمية الحديثة مثل « الميكروفيلم » وغير ذلك، وهذا قرار يتصل بالأمن الثقافي أعمق الاتصال لأنه يعالج وضعاً محرجاً وجارحاً لضميرنا الثقافي على أعنف صورة .

٣ ــ وقضية خطيرة أخرى ــ واعتذر عن تكرار كلمة خطيرة فأنا لا أرى غيرها وصفاً صائباً لما نعاني منه ... أقول قضية خطيرة أخرى هي قضية سرقة الآثار العربية ، فقد أصبح هناك عصابات دولية تسرق آثارنا ، فرعونية أو بابلية ، أو آشورية ، أو عربية ، من كل موقع لنا يمتد من الخليج الى المحيط .. فكيف نحمي هذه الآثار ، ونسترد المسروق منها ، ونعيد إلى أرضنا هذه الثروة الكبرى ، ونمنع ما بقي منها فوق الأرض من الضياع والتبديد .. تلك قضية أخرى من قضايا الأمن الثقافي تحتاج الى قرار من وزراء الثقافة العرب وتحتاج الى حزم وتدبير ، لكى لا نجد أنفسنا « عراة » حتى من تاريخنا الحضاري برموزه الأصيلة ، التى يسرقها الآخرون دون أن يكون لنا سوى موقف المتفرج الذى كأنه عن المشكلة غريب لا علاقة له بالأمر .

تلك بعض قضايا الأمن الثقافي .. نضعها أمام وزراء الثقافة العرب فى اجتماعهم غداً ، لعلهم يتخذون فيها قرارات تحمي العقل العربي والثقافة العربية ، وتفتح باباً لمزيد من المناقشة حول جوانب أخرى شديدة الأهمية والحساسية فى قضية الأمن الثقافي العربي الذى لم نناقشه حتى اليوم ولم نلتفت إليه .

رجاء النقاش

لماذا صدر قرار بحرمان الفلسطينيين من قراءة مقدمة ابن خلدون ؟

حاجة الثقافة العربية إلى نزعة التحليل الاجتماعي

بقلم الدكتور محمد جابر الأنصاري

هناك اليوم ثقافة عربية متأزمة حائرة تقف أمام باب مسدود ، من ناحية . وهناك ـ من ناحية أخرى ـ واقع عربي متفاعل شديد التعقيد يسير فى طريق آخر لا تستوعبه هذه الثقافة ولا تبصر معالمه برؤية واضحة ..

فكيف السبيل الى وصل ما انقطع بين الثقافة العربية المعاصرة وبين واقعها العربي فى أبعاده الحقيقية والشمولية ؟

إن هذا الواقع قد أخذ يسير فى طريقه الصعب ، حسب قانونه ومنطقه الخاص، نحو غاياته ، رغم السنوات العجاف الأخيرة .. أما الثقافة العربية فمازالت تحمل العبء الثقيل الذى ألقته على كاهلها هذه السنوات العجاف .

وقد حان الوقت لتنهض الثقافة العربية وتلحق بواقعها العربي فى تفاعلاته ومخاضاته ، وأن تنفض عن نفسها الشعور بالاحباط والعقم وعدم الجدوى ، وتتخلص من البكائيات الشعرية الغامضة ومذاهب الفكر المثقل بالتنظير البعيد عن واقع الأمة والعاجز عن الالتحام بقواها الحية ..

ونرى أن نزعة « التحليل الاجتماعي النقدى » ذات الحس التاريخي الواقعي هي حلقة الوصل الضرورية التى نحتاجها لنقيم الجسر بين الثقافة العربية الجديدة ، وبين واقعها العربي .

نزعة التفكير الاجتماعي ، أى التحليل العلمي ، المنطقي والواقعي ، لمسيرة تاريخنا وحاضرنا ، واحتمالات مستقبلنا .. هذه النزعة هي أشد ما افتقر إليها أدبنا وأدباؤنا فى أغلب مراحل النهضة العربية الحديثة .. وهي النزعة التى أشاح عنها الجمهور العربي فى سواده الأعظم عندما برزت فى كتابات عدد من كتابنا ومفكرينا القلائل .

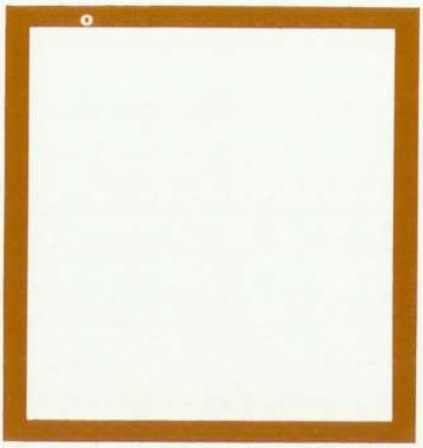
إن جمهورنا ما يزال يطرب لنثر المنفلوطي ، الرومانسى العاطفي ، أكثر مما يستمع إلى أبحاث احمد أمين فى دراساته لتاريخ العقل فى الاسلام .

وإن هذا الجمهور مازال يصفق لنزار قباني فى غزلياته أكثر بكثير مما يتوجه الى دراسات الدكتور على الوردي فى تحليله الاجتماعي لتاريخ العرب وواقعهم ، بل اني على يقين من أن بعض « المثقفين » العرب سيفاجأ بهذه المقارنة بين على الوردي الذى لم يسمعوا به بعد ـ على جهوده المشهودة فى البحث الاجتماعي المبدع ـ وبين نزار قباني .

وهذا الخطأ الثقافي تاريخي ، ويعود



● طـه حسين
لماذا لم نهتم بدراسته الرائدة عن ابن خلدون



● علي الوردى
لاتوجد له صورة فى ارشيف الصحافة العربية رغم دراساته الاجتماعية اللامعة .



● نزار قباني
شعره الغزلي اكثر شهرة وانتشاراً من اى دراسة فكرية عربية .



● احمد امين
دراساته للعقل العربي اقل انتشاراً من اى قصة عاطفية رومانسية .



● المنفلوطي
أسلوبه العاطفي اكثر انتشاراً من اساليب العقلاء والحكماء العرب .

الى بداية النهضة . لقد انتشرت بين أيدي القراء العرب دواوين أبي نواس والمعري والمتنبي ، أكثر مما انتشرت مقدمة ابن خلدون ، على الرغم من أن الحاجة التاريخية الملحة للعرب كانت تتمثل فى نهج مقدمة ابن خلدون ، أكثر مما كانت تتمثل فى شعر النواسى والمعري والمتنبى ؛ على ما للاحياء الأدبي واللغوي من أهمية لا تنكر . ولكنها أهمية لا تتقدم بأي حال ، ويجب ألا تتقدم اليوم ، على أهمية الحاجة القصوى لوصل الثقافة العربية الحاضرة بالموقف المتقدم الذى وصل إليه فكر ابن خلدون فى نظرته العقلانية التحليلية المتزنة للتاريخ وللحاضر ولطبيعة المجتمع والحضارة وتحولاتهما

وإذا كانت الحضارة العربية قد توقف ابداعها بعد ابن خلدون مباشرة ، فلم تتواصل مدرسته ولم يتصاعد تياره ، فان الواجب التاريخي كان يتطلب أن تبدأ النهضة العربية الحديثة به ، قبل أن تتجه الى الشعراء الجاهليين والعباسيين ، أو أن تتجه على الأقل الى أحياء فكره الاجتماعي المبدع بقدر ما عملت فى مجال الاحياء الشعري واللغوي .. ولكن ذلك لم يتحقق للأسف مما أصاب الثقافة العربية المعاصرة بالترهل البلاغي ـ سواء كان ترهلا تقليدياً أو ترهلا يتزيا بالحداثة ـ وأفقدها الحس النقدى القادر على استشراف طبيعة المراحل التاريخية التى تمر بها الأمة فى هذا العصر الحافل بالتحديات ..

لقد واجه ابن خلدون انحطاطاً اجتماعياً واخلاقياً فى عصره وشهد العديد من الهزائم والمظالم ، ولكنه لم يتجه الى نظم المرثيات والبكائيات ضد ذلك الواقع ـ كما يفعل شعراؤنا «الطليعيون» هذه الأيام ـ بل اتجه بعقله وقواه كلها لفهم ذلك الواقع على ضوء ارتباطه بالمراحل التاريخية السابقة ، واستخرج من هذا الدرس تلك القوانين والخلاصات والمبادىء التى جعلت فيلسوفاً حديثاً من فلاسفة التاريخ ، هو أرنولد توينبي ، يقول عن ابن خلدون إنه اعظم عقل فى كل زمان ومكان . والطريف المؤسف أن الكثيرين من المثقفين العرب حفظوا عن «توينبي» مقولته هذه عن ابن خلدون ، دون أن يعودوا الى ابن خلدون نفسه والى مقدمته ليكتشفوا بأنفسهم كيف توصل «توينبي» الى ذلك الحكم الجليل ..

الأكثر من هذا ، أن أديباً عربياً مثل طه حسين ، الخالد فى عمق الضمير العربي وفى صلب الاهتمامات العربية ، كتب بحثاً رائداً عن ابن خلدون ، فلم ينتشر ولم يذع بين القراء العرب ، كما انتشرت كتب طه حسين الأدبية الأخرى

حاجة الثقافة العربية إلى نزعة التحليل الاجتماعي

عن الشعر الجاهلي وعن المعري وعن المتنبي ؟

فلماذا استمعنا الى طه حسين عندما حدثنا عن الشعراء ولم نستمع إليه عندما حدثنا عن ابن خلدون ؟!

بل إن طه حسين ذهب الى أبعد من ذلك ـ من واقع ادراكه العميق لأهمية البعد الاجتماعي التاريخي في الثقافة ـ فكتب لنا تاريخ صدور الاسلام على ضوء قوانين العلوم الاجتماعية في « الفتنة الكبرى » و « علي وبنوه » وغيرهما ولكن أمثال هذه الدراسات لطه حسين ظلت الأقل انتشاراً وذيوعاً بين الجمهور العربي لأنها حدثته بلغة عقلية لم يتعودها في تمثله لتاريخه الذى اعتاد أن يتلقى أحداثه بعاطفية رومانسية لاتتسع إلا للاعجاب أو للاستنكار ، دون أن يكون فيها موقع وسط للنظرة المتزنة التى تحاول أن تفهم قبل أن تصدر الحكم إعجاباً أو استنكاراً .

وبقينا ننظر الى طه حسين من خلال رداء الأديب الضرير أبي العلاء المعري ، دون أن نستشف الصورة الأعمق لطه حسين التى تمثلت فى تجسيده لشخصية ابن خلدون وفكره .

أما تاريخنا وواقعنا فقد ظللنا نتلقى اصداءهما من خلال روايات وأقاصيص كروايات جرجي زيدان التاريخية ؛ وقصص محمد عبد الحليم عبد الله المغرقة فى رومانسيتها ؛ وكلا النوعين أدب سردي لا يرقى الى مستوى التفسير والتحليل والاضاءة المستقبلية .

وصحيح أن الكثيرين من أدباء المدرسة الحديثة رفعوا شعار « الالتزام » بقضايا الواقع والأمة .. ولكن كيف جاء ذلك الالتزام ؟ .

لقد كان التزاماً عاطفياً أو أيدولوجياً بشعارات مغلقة محددة أكثر مما كان التزاماً نابعاً من الفهم الشمولي الناضج لحركة التاريخ فى صعودها وهبوطها ، لذلك تحول التزامهم ذاك الى بكائيات مفجعة عندما حلت الهزائم ، وانمحى التفاؤل الحتمي بانتصار حركة التاريخ ، وسمعنا منهم لوماً وتقريعاً للأمة أكثر مما تعلمنا منهم كيف يكون الصمود ، وكيف يكون التفاؤل بحتمية الانتصار مهما تعرجت مسيرة التاريخ ، وكيف يكون تصحيح هذه المسيرة .

كما أننا لا ننكر الأثر الاجتماعي العميق لأدب الشرقاوي ونجيب محفوظ وسواهما من أقطاب الرواية الاجتماعية التحليلية التى مثلت ربما الالتفاتة الوحيدة فى الأدب العربي لأهمية البعد الاجتماعي ـ التاريخي ؛ ولكن هذا التيار لم يتمكن من الاستمرار فى ظروف الهزيمة والتراجعات ، وتحولت هذه الرواية ذاتها على ايدي أصحابها أنفسهم الى اللامعقول والسوريالية والرمزية المظلمة .

أضف الى ذلك أن النظرة التحليلية النقدية الاجتماعية لم تنتشر ولم تطبع العقل العربي والكتابات العربية على اختلافها بطابعها وميسمها ؛ وهو ما نريده ونقصده بهذه الدعوة الى تعميق النزعة الاجتماعية فى أدبنا وثقافتنا كلها

أجل ان المطلوب ، ليس فقط نشر دراسات فى علم الاجتماع وفلسفة التاريخ ، وليس ظهور مدرسة أدبية معينة تهتم بالناحية الاجتماعية فى الأدب فشيء من هذا قد تحقق ، وانما المطلوب أن يستوعب العقل العربي أهمية النظرة التحليلية الاجتماعية فى معالجة كافة المسائل وفى مختلف أنواع النتاج الأدبي والفني والثقافي بحيث يبدع الشاعر قصيدته وهو مدرك لأبعاد تلك النظرة ، ويكتب الروائي قصته وهو مستوعب لروحها ، ويكتب الصحافي مقالته وهو ملم بأصولها ، ويرسم الفنان لوحته وهو عارف بماهيتها ، بل ويتخذ رجل الدولة العربي قراراته ومواقفه ، ويرسم نهجه ، وهو مطلع على قوانينها وأسسها .

المطلوب أن تضيء النظرة الاجتماعية دهاليز العقل العربي كله ، وتنفذ الى خلاياه وخفاياه ، فلم يعد من المناسب تفسير التاريخ والحاضر وواقع الأمم بمقياس الأقدار أو النوايا أو البطولات ، أو الأخيار والأشرار ، أو الحظ الحسن أو السيىء وإنما هناك قوانين تاريخية واجتماعية تنهض بمن تنهض من الأمم ، وتقعد بمن تقعد من الأمم ينهض من استطاع أن يفهمها ويعمل بمقتضاها ويتخلف من خالفها وعجز عن اللحاق بشروطها ومتطلباتها . وهذه هي «السنن» الكونية والتاريخية التى حدثنا عنها القرآن الكريم فى العديد من آياته الحكيمة .

إن التنمية لها شروطها ومستلزماتها .

وإن التقدم الحضاري له شروطه التى لا يمكن التحايل عليها أو التعويض عنها بالمال أو بغيره ..

وإن مواجهة العدو لها ضرورتها التى لا يمكن التهرب منها بأي وسيلة من وسائل التهدئة المصطنعة ..

وإن الوحدة العربية لها حتمياتها التى لا يمكن اخفاؤها تحت أية صيغة شكلية .. وهكذا ..

هذه هي القوانين التاريخية والاجتماعية التى نعنيها والتى لا يتوفر الادراك والعمل بها إلا من خلال الاستيعاب الناضج للفكر الاجتماعي المتحرك ، ومن خلال النظرة التحليلية النقدية لمسار التاريخ وواقع المجتمع وبذور الغد .

ونحن عندما ندعو الأدب والشعر والفن الى التزام هذه النظرة فلا نقصد أن يتحول الى مواعظ اجتماعية أو إلى مقولات فكرية جافة ؛ بل إلى استيعابها وهضمها وتمثلها ، وتحويلها الى مشاعر وأحاسيس ونبضات حية فى القصيدة والمقالة والرواية والمسرحية واللوحة . وليس صحيحاً ما يذهب اليه البعض من أن الأديب لا يستطيع التعبير ـ فنياً وجمالياً ـ إلا عن العواطف والانفعالات والتجارب الشعورية الخالصة وحدها ..

إن أدق الأفكار واعقد الفلسفات

● مطلوب من المال العربي طبع عدة ملايين من مقدمة ابن خلدون في إطار عصري وجذاب

والادراكات العقلية ، وأخطر القضايا الاجتماعية والقومية والحضارية يمكن التعبير عنها جمالياً وشعورياً إذا هضمها الأديب الفنان وحول مضمونها الفكرى الى دم يجرى فى عروقه ، ونبض يتحرك مع قلبه ..

وهنا يتفوق الأديب الفنان على المفكر الذى أبدع تلك الأفكار ، لأن الأديب يحولها بالفن والشعور الى حياة نابضة في ضمير الأمة ؛ هذا إذا استطاع أن يهضمها ويوحدها بكيانه ويجعلها إيمانه الراسخ الذى لا يتزعزع .. وهذا الاستيعاب للمضامين الفكرية ينقذ الأديب بدوره من السطحية والبلاغة الشكلية ويمنحه الخلود بما يمده من حقائق صلبة تظل خالدة على العصور ، مهما تغيرت انماط البلاغة وأشكال التعبير .

بحثاً عن الخاصية العربية

والغاية المثلى لاضاءة الثقافة العربية بمناهج التحليل الاجتماعي ، ليس أن ننقل هذه المناهج حرفياً عن الغرب ونطبقها بالاقحام والتعسف على تاريخنا وواقعنا دون مراعاة لخصوصيتهما وتفردهما ؛ فذلك ما فعله بعض مفكرينا دون كبير فائدة ، ولكن المطلوب أن نستوعب «روح» النزعة التحليلية النقدية ـ دون مذاهبها الغربية ونتائجها الخاصة بالتجارب الأجنبية ـ فنستضيء بهذه الروح ، وبشيء غير قليل من ابداعنا الذاتي ، لفهم وادراك تاريخنا وواقعنا حسب قوانينهما الذاتية وحقائقهما الخاصة بهما .

لقد كرر المستشرقون ، مثل جب و روزنتال ، أن الثقافة العربية الحديثة قد خلت من أي كتاب بقلم مفكر عربي يفسر للعرب أنفسهم ماهية حضارتهم وشخصيتهم أو يفسر للعالم ماهية الشخصية العربية ، أي يقول للعرب «من أنتم» فى الجوهر والصميم ، ويقول للآخرين «من هم العرب» قياساً بالأمم الأخرى ، ويلخص فى التحليل النهائي تلك « الخاصية العربية » التى تجعل العرب عرباً ، فتميزهم من ناحية عن الآخرين ، وتجعلهم من ناحية أخرى إضافة متميزة ولكن مكملة للبناء الانساني الكبير .

هذا هو الهدف البعيد لاشاعة نزعة التحليل الاجتماعي فى الثقافة العربية ؛ فضلا عما تقدمه هذه النزعة من فهم وإدراك للطبيعة الموضوعية لانعطافات الواقع العربي دون تفاؤل مسرف أو تشاؤم محبط ..

فى البدء كانت «المقدمة»

ونقطة البدء هو أن نجعل من مقدمة ابن خلدون ـ هذا الأثر التراثي الخالد ـ كتاباً عربياً معاصراً يعايشه كل عربي فى مكتبته وداره وخلوته ، كما يعايش أحب الكتب الى نفسه ..

وإذا كان للمال العربي من معنى حضاري ، فهو أن تقوم إحدى مؤسسات الثقافة فى الوطن العربي بطبع عدة ملايين من « المقدمة » فى طبعة عصرية شائقة والتقديم لها بشروح ميسرة ودافعة لمزيد من الاطلاع والفهم ، على ضوء ما حققه الفكر الانساني من تقدم في العلوم الاجتماعية ؛ ثم القيام بتوزيع هذه الطبعة فى مختلف أرجاء العالم العربي مع ما يتطلبه ذلك من خلق اهتمام حقيقي لدى الانسان العربي بمضمونها والغاية منها كمنطلق نحو فهم عربي فعال لصنع التاريخ .

ولقد قيل الكثير عن «احياء التراث العربي» . ولكن هذا مثال لما يجب عمله وتحقيقه ـ فعلا وواقعاً ـ لاحياء التراث

ولمعلومات كل العرب فان ادارة الاحتلال الاسرائيلي فى الضفة الغربية قد أصدرت قراراً هذا العام بحظر تدريس « مقدمة ابن خلدون » فى الجامعات الفلسطينية الواقعة تحت سلطة الاحتلال . هذه الحقيقة أكدها المستشرق الانجليزى الراحل (دزموند ستيورت) الذى زار فلسطين المحتلة مؤخراً وذلك قبيل وفاته فى شهر يوليو الماضي .

وإذا كان هذا القرار الاسرائيلي يكشف من ناحية طبيعة الحكم الذاتي الذى تريده اسرائيل لعرب الأرض المحتلة كاستعمار ثقافي مكشوف بالاضافة الى كونه استعماراً استيطانياً فان القرار يكشف من ناحية اخرى عن أن أسرائيل قد فهمت « خطورة » مقدمة ابن خلدون بالنسبة لاستنهاض العقل العربي .. مما جعل ابن خلدون فى نظر ادارة الاحتلال الاسرائيلي « عنصراً متطرفاً » وخطراً على « الأمن » ! وهذا معناه أن الحظر الاسرائيلي على الوجود العربي قد أخذ يطال مفكراً عربياً عاش قبل خمسمائة سنة ..

يقول ابن خلدون فى بداية المقدمة وهو يعلن تأسيسه لعلم الاجتماع الحديث الذى سماه حينئذ بطبائع العمران :

● « فالقانون فى تمييز الحق من الباطل ... أن ننظر فى الاجتماع البشري الذى هو العمران ، ونميز ما يلحقه من الأحوال لذاته ، وبمقتضى طبعه ، ومايكون عارضاً لايعتد به ، وما لا يمكن أن يعرض له . وإذا فعلنا ذلك ، كان ذلك لنا قانوناً فى تمييز الحق من الباطل ، والصدق من الكذب بوجه برهاني لا مدخل للشك فيه »

وهذا يعني ، فيما يعنى ، دعوة العقل العربي اليوم الى التمييز ـ على ضوء قوانين الاجتماع البشري ـ بين الحق العربي و « ما يلحقه لذاته وبمقتضى طبعه » وبين الباطل الاسرائيلي وهو « ما يكون عارضاً لا يعتد به » من وجهة الحقيقة التاريخية الاجتماعية وطبائعها ومعاييرها التى وضعها ابن خلدون .

لهذا أدركت اسرائيل «خطورة» فكر ابن خلدون .. فياليت قوم ابن خلدون يدركون «خطورة» مواطنهم القديم وجدهم .. ذلك الحضرمي الأصل ، الاندلسي السلالة ، التونسى المولد والمنشأ ، المصري الاقامة والمدفن .. العالمي الشهرة والتقدير .

وياليت وفود الجامعة العربية ، قبل أن تعقد اجتماعاتها بتونس تمر على تمثاله الشامخ الذى اقامته العاصمة التونسية فى القلب منها ، فتقتبس وفود العرب ، في عملها العربي المشترك شيئاً من ذلك القبس الخلدوني القائم على : «تمييز الحق من الباطل » على أساس الصدق التاريخي والاصالة الحضارية ، للعمل بما يتفق معهما ، ونبذ « ما يكون عارضاً لا يعتد به .. »

وما أروعك أيها الحضرمي والتونسي ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، مفكراً «محظوراً» تحت الاحتلال الاسرائيلي ، وما أروع مقدمتك « وثيقة » ممنوعة من وثائق أدب المقاومة على ارض فلسطين .. وهذا هو التراث الحي أمام من أراد إحياء التراث ..

د. محمد جابر الأنصاري ـ باريس

نحن نظلم يوم «كربلاء» ظلماً كبيراً ، حين نجعل من ذكراه مناسبة لاجترار الأحزان والآلام والعويل .. إنه ليس كذلك أبداً إذا نحن تعمقنا جوهر الواقعة ، فرأينا عظمة الثبات ، وروعة البطولة ، وعزة الايمان ، وجلال التضحية فى مهرجان للحق هيهات أن يكون له نظير !!

فى ذكرى كربلاء العظيمة

بقلم
خالد محمد خالد

عندما تحمل بيمينك هذا العدد من المجلة يوم صدورها ، يكون بينك وبين اليوم العظيم الخالد بضعة أيام معدودة تهل بعدها ذكرى «كربلاء» المجيدة ..

تهل ذكرى اليوم العظيم بالامه وبطولاته .. بعظمته وماساته .. يوم تجلت فيه قداسة الحق وشرف التضحية واستحق أن يأخذ مكانه العالى بين أيام الاسلام الخالدة .

إنه يوم الثوار – أروع ما يكون الثوار .. يوم الحسين ورفاقه الأبرار .. يوم علم الدنيا أن الحق مثوبة نفسه ، وقيمة ذاته . فلا النصر مزية له ، ولا الهزيمة إزراء به .. يوم وقفت فيه قلة صامدة تؤمن بشرف الحق ، أمام كثرة كاثرة لا تحترم الحق .

أجل .. اثنان وسبعون مؤمناً من آل بيت الحسين عليه السلام وانصاره برزوا لملاقاة جيش قوامه أربعة آلاف مقاتل فى حرب غير متكافئة . لنقل إذن إنهم برزوا لمناياهم وهم يعلمون ، ورفضوا كل فرص النجاة من تلك المنايا ، مؤثرين الموت على حياة تشهد غمط ، الحق ، وثلم شرف التضحية .. !!

رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه تاركين وراءهم ظهرياً مناعم العيش الرافه ، حاملين تبعات رشدهم وإيمانهم ، معلنين أن الاسلام لم تمت رجاله ، ولا نصلت أعلامه .. وأن آل بيت الرسول لا يزالون كما أريد لهم أن يكونوا . أساتذة للناس فى فن التضحية والفداء ، وبيت القرابين والشهداء .. !!

● ● ●

استشهد الخليفة الثالث «عثمان بن عفان» رضى الله عنه فى ظروف حالكة ، وفتنة جامحة ، وبايع المسلمون فى المدينة أمير المؤمنين «علي بن ابى طالب» واعرض «معاوية» والى الشام يومئذ عن البيعة ، مبرراً رفضه بان لابد أولا من الثار لدم عثمان . ورأى الامام ببصيرته المضاءة بنور الله انها كلمة حق أريد بها باطل ، وأن دولة «الطلقاء» على وشك أن تقوم ناشرة الفتنة ، والفساد .. من أجل ذلك لم يتخل الامام عن واجبه تجاه تمرد معاوية .. معاوية

الذى سنسمع أباه فيما بعد يقول موصياً أهل بيته : «لقد صار الأمر اليكم ، فلا تدعوه يفلت ، وتلقفوه تلقف الكرة فانما هو الملك . ولا أدرى ماجنة ولا نار» !! كما سنلتقى به وهو يمر بقبر «حمزة» فيقف مخاطباً الجدث الراقد تحت التراب : «يا أبا عمارة . إن الأمر الذى اجتلدنا عليه بالسيوف قد صار الى غلمان بنى أمية» !!

غلمان بنى أمية .. هذا ما كان يحاذره «علي» ويخشاه .. ولقد أبى معاوية إلا الحرب فخاضها الامام فى موقعتى «الجمل» و «صفين» وتلتها الاحداث التى انتهت باستشهاد الامام .. وخلا الجو لمعاوية . وكان الحسن عليه السلام قد خلف أباه فى الأمر ورأى الخير فى أن تضع الحرب أوزارها ، وأنهى الخلاف بصلح عقده مع معاوية .. طاب لمعاوية عيش الملك ، ولم يقنع بأن يذهب به وحده تاركاً للمسلمين من بعده حق اختيار من يرفع الراية ويجلى عنها رهق الرغام .. بل كأنه تذكر وصية أبى سفيان «لقد صار الأمر اليكم فلا تدعوه يفلت ، وتلقفوه كالكرة» .. وهكذا قرر معاوية أن يضع الكرة بين قدمى ولده «يزيد» فأخذ له البيعة بالسيف وبالقهر .. وبعد حين يموت معاوية ويخلفه يزيد ..

كان يسمى «يزيد القرود» وكان أخر من يصلح ، بل آخر من لا يصلح ليجلس من الأمة المسلمة حيث جلس من قبل أبو بكر وعمر ، وعثمان ، وعلي .. كان استخلافه فى الاسلام وعلى المسلمين كارثة لم يبتل بمثلها الاسلام .. أيكون يزيد القرود خليفة فى جيل لايزال يحيا فيه رجال شامخون من أمثال الحسين وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وقيس بن سعد بن عبادة وغيرهم من أصحاب الرسول ؟!..

لقد كان ضمن بنود الصلح الذى عقده الحسن مع معاوية أن يكون الأمر من بعده للمسلمين . يختارون من يرضون دينه وأمانته وعدله ، لكن معاوية حنث بالعهد وخالف الميثاق . وبالسيف أخذ البيعة ليزيد !!

وأصبح يزيد خليفة بعد وفاة والده . وتلهى عن أمر الاسلام والمسلمين بفهوده وقروده ، وجعل له فى كل مصر من الأمصار والياً أعمى البصيرة قاسى الفؤاد .

وليس هناك ما يصور استئثار معاوية ويزيد بالخلافة بغير حق سوى شهادة «معاوية الثانى» ابن يزيد . فبعد موت يزيد خلفه معاوية الثانى . ولم يلبث فى الخلافة سوى بضعة أشهر ثم جمع المسلمين فى مؤتمر مشهود ووقف فيهم يقول : «أيها الناس : إن جدى معاوية نازع الأمر أهله ، ومن هو أحق منه لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسابقته فى الاسلام وهو «علي بن أبى طالب» ولقد ركب بكم ما تعلمون حتى أتته منيته ، فصار فى قبره رهين أعماله . ثم تقلد أبى «يزيد» الأمر من بعده ، فكان غير أهل له . ركب هواه ، وأخلفه الأمل ، وقصر به الأجل ثم صار فى قبره رهين ذنبه وأسير جرمه .. وإن من أعظم الأمور علينا علمنا بسوء منقلبه وقد قتل عِترة رسول الله ، وأباح الحرم ، وخرب الكعبة .. وما أنا بالمتقلد أمركم ، ولا بالمتحمل تبعاتكم ، فاختاروا لأنفسكم والله لئن كانت الدنيا خيراً ، فقد نلنا منها حظاً . ولئن كانت شراً فكفى ذرية أبى سفيان ما أصابوا .. ألا فليصل بالناس حسان بن مالك ، وشاوروا فى خلافتكم يرحمكم الله » .. وبعد هذه الكلمات المفعمة بالحق والورع غادر منبره الى داره ، وظل معتكفاً بها حتى لقي ربه راضياً مرضياً .

● ● ●

إن هذه الكلمات الصادقة التى قالها معاوية بن يزيد لتكشف عن عدالة القضية التى سيكرس الحسين حياته من أجلها ، لا طامعاً فى خلافة ، ولا مفتوناً بدنيا ، بل ذائداً عن الاسلام رجس يزيد وبغى الأمويين . ولقد رفض البيعة ليزيد أيام أخذها له معاوية ، وغادر المدينة الى مكة مدبراً خواطره وأفكاره حول القضية التى شغلته كما لم يشغله شيء سواها .. وذات يوم يأتيه رسل أهل الكوفة يدعونه الى زيارتهم ليبايعوه ، وليدفعوا معه عن الاسلام والمسلمين رهق يزيد ، وعار يزيد .. ولم يكن له أن يتخلف عن هذه الدعوة ، فسارع الى تلبيتها ، وأرسل ابن عمه «مسلم بن عقيل ابن أبى طالب» الى الكوفة ليأخذ له البيعة ، ويوافيه بالأنباء .

لقد كان للحسين طبيعة نقية ، جياشة وثائرة . يربطها بالحق ولاء عجيب وتستمد من فضائل الاسلام العالية ومن تراث حسبه العريق زاداً لا يفنى من الصمود والمثابرة .. وإذا كانت الطبول تدق اليوم معلنة قيام خلافة كاذبة لحفيد أبى سفيان ، فلابد أن يجد الاسلام من يدفع عنه الكارثة ، ولابد أن يجد المسلمون من يدرأ عنهم الطوفان.

كان الأمر نضالا شريفاً تتطلبه قداسة الاسلام .. لم يكن أمر مغنم ، أو سلطان ، ولم يكن طموحاً شخصياً يحتاج الى موازنة بين فرص النجاح واحتمالات الاخفاق . بل هى قضية الحق وحده . وللحق فى قلب حفيد النبى مكان لا يطاله رغب ولا رهب !! ومتى تكون التضحية من أجل هذا الحق إذا لم تكن اليوم وأمجاد الاسلام تتحول الى مزرعة أموية .. وتراث المسلمين يستحوذ عليه مخلوق عابث ، ومصايرهم الكبرى تمسك بها أيدى وصوليين جباة ، وجلادين طغاة ؟!! ..

وقرر الامام الحسين السير الى الكوفة .. بمن ..؟ بالذين اختاروا أن يخرجوا معه وعددهم اثنان وسبعون من أهل بيته وأصحابه .

في ذكرى كربلاء العظيمة

خرج بهذه القلة المؤمنة ، وهو يعلم انه سيلاقى جيشا كثير العدد وافر العتاد . ولقد حاول نفر من أصحاب الرسول ثنيه عن الخروج . منهم عبد الله ابن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وأبو سعيد الخدرى . ولكنه يجيبهم جميعاً بعبارة واحدة وحازمة : «لقد عزمت على المسير ، وإنى ماض باذن الله» ..ومضى لغايته الجليلة ومهمته الثقيلة .. وفى الطريق تترى عليه الأنباء بانصراف أهل الكوفة عن نصرته بعد أن بطش بهم ابن زياد والى يزيد ، وأعمل فيهم سيوف القتل والازهاق .

لقيه فى الطريق الفرزدق الشاعر فسأله «الحسين» كيف تركت الناس ؟ فأجابه : «تركتهم قلوبهم معك ، وسيوفهم مع بنى أمية» فلا يزيد الحسين على أن يقول : «لله الأمر من قبل ومن بعد» !! ..

ثم يلقاه عبد الله بن مطيع فيتعلق بثيابه صارخاً وضارعاً وسائلا اياه أن يرجع الى مكة فليس فى انتظاره بالكوفة سوى الموت .. فلا يزيد على أن يقول : «قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا» !! ..

ويلقاه ثالث ، فيسأله الحسين عن الأنباء ، فيجيبه بأنها سيئة وأن ابن عمه مسلم بن عقيل قد قتله ابن زياد شر قتلة !!

كل ذلك وهو مصمم على أن يتم مسيرته . ذلك أنه لم يخرج ليحرز نصراً مضموناً . بل خرج ليؤكد حق الاسلام فى أن يحمى نفسه من الضلال والأفك ، وليكفر فى تضحية مجيدة عن خطيئة الصمت الذى لاذ به كثير من المسلمين .

لو كان الحسين قد خرج مستمداً شجاعته وجسارته من مساندة أهل الكوفة له لرجع من حيث جاء . ولكنه كان يستمد شجاعته من إيمانه بالحق إيماناً يهد الجبال .. وهكذا مضى لغايته . قاطعاً الصحارى المتلظية ، مجتازاً – فى مشقة وكبد – أغوارها ونجودها .. وفجأة يجد نفسه أمام قوة من ألف مقاتل أرسلها ابن يزيد لتستطلع أنباء الحسين وصحبه ، ولتقودهم اليه أسرى اذا التقوا بهم . ويرفض الحسين أن يستسلم لهم ، ويمضى والقوة من خلفه حتى يبلغ مكاناً موحشاً فيحط ومن معه الرحال . ثم يسأل ماسم هذا المكان ، فقيل له : كربلاء .. فتذكر يوم كان مع أبيه وهو فى طريقه الى صفين . ولما شارف الامام على هذا المكان سأل عن اسمه ، فأجيب بأنه « كربلاء » فدمعت عيناه ، وقال « هنا محط رحالهم ، ومهراق دمائهم » !! ..

الآن يتذكر الحسين كلمات أبيه ويعرف سرها ومغزاها ..

كان بلوغه كربلاء فى غرة المحرم ، سنة إحدى وستين للهجرة .. وفى الأيام التالية وصل جيش ابن زياد . ثلاثة آلاف انضموا الى الألف السابقة فصار تعداده أربعة آلاف مقاتل ، هم الذين سيلقاهم «الحسين» فى اثنين وسبعين لا غير من رجاله !!! ..

وعلم ابن زياد فى الكوفة بما يجرى فى كربلاء ، فأرسل لقائد جيشه أن يطلب من الحسين البيعة ليزيد .. وكان جواب الحسين : «لا أجيب ابن زياد الى ذلك أبداً ، وإن يكن الموت فمرحباً به» .

وضحت نوايا المجرمين أمام الحسين .. إنهم يريدون إذلاله ، أو يريدون حياته، أو يريدونهما معاً .

أما الهوان فالممات دونه .. وأما حياته فحسبه شرفاً وخلوداً أن تذهب فى سبيل كرامة الدين الذى تربى فيه على أيدى جده وأبيه ..

واقترب جيش ابن زياد فحاصر الطريق الى شريعة الماء بخمسمائة فارس ، وذلك حتى يحرموا الحسين وأهله وصحبه شربة ماء !! ..

أمر يدعو الى الجزع . ولكن المؤمنين الصادقين لا يأسفون على خطر ولا يجزعون من قدر .

الآن لا أمل – أدنى أمل – فى نصر عسكرى . بيد أن الأمل معقود بنصر آخر. نصر يتمثل فى بذل الحياة من أجل الواجب . وفى إعطاء القدوة بروعة الثبات ، وفى اضاءة ضمير الحياة بجلال التضحية !! ..

ولهذا ، فنحن نظلم «يوم كربلاء» ظلماً كبيراً حين نجعل من ذكراه مناسبة لاجترار الأحزان والآلام والعويل .. إنه ليس كذلك أبداً اذا تعمقنا جوهر الواقعة فرأينا عظمة الثبات ، وروعة البطولة ، وعزة الايمان ، وجلال التضحية فى مهرجان للحق هيهات أن يكون له نظير !!!..

● ● ●

والآن تعالوا نسرع الى مكان المعركة الأليمة والعظيمة ، فان ساعاتها الحاسمة تقترب ..

نحن الآن مع اليوم التاسع من المحرم وقد ولى نهاره ودلف ليله ، حيث جمع الحسين أصحابه وقال لهم هذه الكلمات التى تشهد بعظمته : «إنكم لتعلمون أن القوم لا يريدون غيرى ، وإن يومى معهم غد .. وإنى قد أذنت لكم جميعاً ، فانطلقوا فى غير حرج . ليس عليكم منى ذمام .. هذا هو الليل قد غشيكم فانطلقوا فى سواده قبل أن يطلع النهار وانجوا بأنفسكم» .. وصاح الجميع فى مثل زئير الأسود : «معاذ الله . بل نحيا بحياتك ونموت معك» !! .. وتقدم منه ابنه «علي ابن الحسين» فتى لم يجاوز عمره تسعة عشر عاماً ، وسأل أباه : «ألسنا على الحق ياأبتاه؟؟» فأجابه : «بلى ، والذى أنفسنا بيده» فصاح فتاه العظيم : «إذن والله لا نبالى» !! وارتفع الأبطال جميعاً الى مستوى الموقف المجيد الذى سيجعلون منه درساً فريداً لأجيال البشرية فى الولاء الباهر للحق ، وفى التضحية الشاهقة من أجله . وعادوا الى مضاربهم وخيامهم يشحذون السيوف ، ويبرون السهام ، ويصقلون الرماح ...

● ● ●

وطلع الصباح . صباح العاشر من المحرم ، ووقف الحسين يعبىء رجاله . فتقدم شباب آل البيت ليأخذوا مكانهم

فى الصفوف الأولى ، فدفعهم أصحاب الحسين قائلين : «معاذ الله أن تموتوا ونحن أحياء نشهد مصارعكم .. بل نحن أولا ، ثم تجيئون على الأثر» !!!

وبرز الجمعان للقتال – أربعة آلاف فى جانب ، واثنان وسبعون فى الجانب الآخر .

ومن عجب أن جيش ابن زياد خرج للقتال بعد أن صلى بهم قائدهم صلاة الفجر ، وقرأوا فى التشهد : «اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد» ثم انفلتوا من صلاتهم يحصدون بسيوفهم الآثمة آل محمد !!!

بدأ القتال ضارياً رهيباً ؛ فجن جنونهم ، وهجم فرسانهم فى وحشية ، وبرز لهم فرسان الحسين الذين لم يزد عددهم عن اثنين وثلاثين فارساً .. فأحاطوا بفرسان عدوهم ، ثم انهالوا عليهم يطوحون رءوسهم كالذباب .. وكبر الحسين تكبيرة هزت الأرض والجبال ، وانقذف يضرب بسيفه ، وكأنه قدر يكتب المصارع وينزل المنايا .. وحين يرى جيش ابن زياد تفوق أصحاب الحسين يلجئون الى عملية قذرة ، فيضرمون النار فى الخيام التى يقيم فيها النساء والأطفال من آل بيت الحسين وعلى رأسهم السيدة العظيمة «زينب بنت علي» .. بيد أن ذلك لم يفت فى عضد المجاهدين الذين أحاطوا بالحسين يفتدونه ، وكلما رأى أحدهم منيته تقترب أسرع الى الحسين فقبله ثم صاح : موعدنا الجنة !! ..

لقد كان الواحد منهم يقاتل وكأنه جيش وحده ، ولا تكاد أعينهم المجهدة تقع على الحسين يقاتل وحده عشرات من الأعداء القساة حتى تنتفض فيهم كبرياء الأسود ، ويتضرم بأسهم ، وينهضون للنزال حتى يقع أجرهم على الله شهداء ممجدين !! ..

وقضوا نحبهم جميعاً واحداً إثر واحد فلنحن الجباه تحية للرجال !!...

وتقدم آل البيت ليكونوا فى المعركة مسك الختام .. تقدموا نحو مصايرهم العظيمة .. لم يعد الذى يضنيهم الظمأ الى الماء الذى حرمهم منه المجرمون ، بل الظمأ للشهادة والشوق الى الجنة .. وكان أولهم انطلاقاً الى صفوف العدو «علي بن الحسين» فتى – كما قلنا – لم يجاوز التاسع عشرة من سني عمره ، ووقف يصيح :

أنـا علـي بن الحسـين بن علـي
نحـن ورب البيـت أولـى بالنبـي
تاللـه لا يحكـم فينا ابن الدعـي

وفجأة تحيط به عشرات السيوف الباغية ، ممزقة جسده النضير ، والشريف . ويحمل الى الفسطاط فلا تكاد عمته «زينب» تراه حتى تعلو زفرات أساها ، وتنكب على الأشلاء الطاهرة تضمخها بدموعها وشجنها .. وها هو ذا أصغر آل البيت سناً تناله سيوف المجرمين فيهوى كالنجم وهو ينادى : يا عماه .. فينثنى الحسين على ابن أخيه – القاسم بن الحسن – ويتملى فى جسده المثخن رونق الزهور ، وعبير النبوة ، ولأول مرة تسيل عبرات الأسد ، ويقول مخاطباً الجثمان المسجى بالنور : «عزيز والله على عمك أن تدعوه فلا يجيبك . أو يجيبك فلا ينفعك فى يوم كثر واتره ، وقل ناصره» .. ويحمله بين ذراعيه الى فسطاط أهله ويرقده الى جوار جثمان ابنه علي ، ثم يعود لهول المعركة من جديد .

لك الله ، أبا عبد الله !! ..

والآن فقد سقط آل بيته جميعاً شهداء ، وبقى وحده بين أنياب الثعابين .. ويواجه البطل أعداءه فى جولة أخيرة ، فتقع ضربة سيف على رأسه الشريف ، ويحمل سيفه ودماؤه تنزف .. ويحيط به القتلة ، وقد سمروا فى أماكنهم زائغة أبصارهم ، واجفة قلوبهم ، فقد كانوا على كثرة ما اقترفوا من جرم ، وسفكوا من دم ، يهولهم دم الحسين ويتفادى كل منهم وزر الاجهاز على حياته !!..

وفجأة يصيح فيهم «شمر بن ذى الجون» قائد الفرسان ورجس البشرية كلها . يصيح فيهم مهدداً ومتوعداً . فيتقدم أحد رجاله من الحسين ويضربه بالسيف على معصم يسراه ، فتطير كفه .. ويتقدم ثان فيضربه على عاتقه ، فيقع على الأرض ، ويحاول النهوض فيحيط به القتلة ويوجهون اليه الضربة الأخيرة والمميتة .. ويسارع نحو جثمانه «شمر بن ذى الجون» فيحتز رأس البطل ليحمله هدية ليزيد وابن زياد .. تماماً كما قدم من قبل رأس نبى الله يحيى عليه السلام هدية لسالومى – بغى من بغايا بنى اسرائيل !!!..

● ● ●

هكذا وقف الحسين وأهله وصحبه من أجل الحق موقفاً يستحق ببطولاته وتضحياته وبواعثه أن يكون عيداً ، لا مأتماً ..

لقد رفضوا الباطل ، واختاروا الحق .. ثم رفضوا الصمت ، وآثروا المقاومة .. ثم رفضوا المساومة ، وصمدوا مع ايمانهم . واقتحموا الهول فى مشهد فريد مقررين بمحض اختيارهم وارادتهم أن يمنحوا أمتهم ، بل والبشرية كلها هذه القدوة الباهرة فى التضحية ، وهذا الفداء المجيد للحق .. وكأنما هيأ القدر هذه المعركة وهؤلاء الرجال ليؤكد شرف التضحية ، وقداسة الحق .. وإنه مادام الحق بحاجة الى تضحيات تحميه وتفتديه ، فان التضحية إذن هى شرف الانسان ، وشرف الحياة .. ومادامت التضحية شرفاً ، فيجب أن يصرف النظر عن الشكل الذى يفرضه عليها الطغاة ، فليست التضحية حفلا ساهراً .. وسواء على البطل أن يستشهد وجسده سليم ، أو يقضى وجسده ممزق .. أن يبقى رأسه فى مكانه من الجسد ، أو يفصل الرأس ويمثل بالجسد .. فكل ذلك وأكثر منه يغطيه شرف التضحية وكرامتها .

وهنا أكثر من أى موقع آخر ، يتحول الأسى الى مجد ، والفواجع الى بطولات !!..

خالد محمد خالد – القاهرة

دار الحكمة العربية

بين الماضي والحاضر

د. حافظ الجمالي

منذ مدة غير بعيدة ، بدأ الناس يسمعون بوجود مؤسسة جديدة فى دنياهم ، هي اتحاد الأدباء ، أو اتحاد الكتاب ، أو رابطة الكتاب والفنانين ، تبعاً للقطر الذى تقوم فيه مؤسسة من هذا النوع . أما فى سورية وحدها ، فقد أطلق على هذه المؤسسة اسم اتحاد الكتاب العرب ، لا الكتاب السوريين ، وهو يضم ما يزيد عن أربعمائة كاتب وشاعر وروائي وقصصي ، معترف بهم رسمياً ، بالإعتماد على الكتب المطبوعة لهم ، والتى وجد أصحاب الاختصاص أنها ترقى بهم الى منزلة العضو ، فى هذا الاتحاد . فاذا مر العربي يوماً في شارع المزة الكبير فى دمشق ، راعه أن يرى بناء ضخماً من ستة أدوار ، فى كل منها ما يعادل فى المساحة أربعا وعشرين غرفة . معقولة المساحة ، أو أكثر ، ولو أنها تضم بعضها الى بعض أحياناً لتصبح قاعة مكتبة أو قاعة اجتماع ، أو ما يشبه ذلك من حاجات النشاط الأدبي .

وكان يوم ١٩٨١/٨/١٩ موعداً للانتخابات الجديدة لمجلس الاتحاد ... فغصت القاعة الكبيرة بالكتاب والأدباء ، للتداول فى موضوع جلستهم ، وكانت الفرصة مناسبة لتوارد الخواطر ، بصورة عفوية ، وصحيح أن هذا المبنى الضخم يدعى باسم اتحاد الكتاب ، ولكن بيت الحكمة الذى أنشاه هارون الرشيد فى قول ، والمأمون فى قول آخر عام ٢١٧ هجرية ، يذكر باتحاد الكتاب العرب ، من وجوه شتى ، كل منهما مبنى ضخم ، وكل منهما أنشيء لوجه الله تعالى ، ولوجه الثقافة .

ولقد وصفت دار الحكمة ، أو بينتها فى كتب التاريخ ، المختلفة ، وجاء أخيراً الأستاذ سليم طه التكريتي فخصها بمقال نشرته مجلة المورد فى عدد ممتاز هو العدد الرابع لعام ١٩٧٩ ، وجاء فى وصفه لها « أنها كانت مقسمة الى عدد من الأقسام والقاعات والغرف ، فهناك غرف للتدريس ، يحضرها الطلاب من مختلف أو سائر أنحاء العالم لتلقى العلوم على أيدى اساتذة منتخبين لتدريس تلك العلوم . أما المكتبة فكانت تتالف هي الأخرى من عدد من الغرف ، مزودة برفوف تصف عليها الكتب . »

« وإلى جانب المكتبة وغرف التدريس كانت توجد قاعة واسعة مخصصة لالقاء المحاضرات ، وعقد المناظرات العلمية ، وفى هذه القاعة كان الجدال والنقاش يدور علانية ـ وبمنتهى الحرية ـ حول شتى الموضوعات المختلفة ، بما في ذلك جملة الموضوعات التى تخص العقيدة الاسلامية . »

« وهناك غرفة خاصة معدة للاستراحة يؤمها الدارسون والمدرسون والمطالعون والعاملون فى المكتبة ، ليستريحوا فيها من عناء العمل ، وهناك يشنفون اسماعهم بالاستماع الى الأنغام الشجية التى يعزفها جوق موسيقى فى القاعة ذاتها . »

« وأفردت في بيت الحكمة غرف أخرى للمترجمين ، وأخرى غيرها للذين

يقومون بمراجعة الترجمات وتنقيحها ، فى حين تقوم غرف خاصة بالنساخين الذين يقومون بعملية النسخ اما لانفسهم أو لحساب الغير ، وكذلك توجد غرف معدة لعمل المجلدين ، واخرى للوراقين ، وخارمي الكتب ، والمناولين الذين ينقلون الكتب من الرفوف الى المطلعين والنساخين والمجلدين . ولقد حفظ لنا التاريخ أسماء الكبار من مديري هذه الدار . مثل سلم وابي منصور محمد الخازن ، وكبار المجلدين ، مثل أبي ابحا الحريش ، وحتى أسماء بعض المناولات والمناولين ، مثل توفيق السوداء – وهذه امراة لا رجل – وأسماء كبار المترجمين الذين ربما كانوا مديرين ايضاً ، مثل سهل بن هارون ، وحنين بن اسحق ، وثابت بن قرة ، ويوحنا بن ماسويه »

ويقال أن بيت الحكمة هذا قد انشيء عام ٢١٧هـ ، أو ٨٣٢م ، أو على الأقل هذا ما يراه : ديلاس أوليري فى كتابه عن الفكر العربي ومكانته فى التاريخ .

ومع كل هذا الوصف . فاني لا استطيع التاكيد بأن دار الحكمة المامونية كانت أضخم بناء من اتحاد الكتاب العرب فى دمشق ، او اقل ضخامة . وإذا كان هنالك من فرق بين وظائف البنائين أو الدارين ، فهو فى الترجمة التى تعهدتها دار الحكمة المامونية ، على حين أن هذه الوظيفة قد أصبحت من أختصاص وزارة الثقافة ، والتعليم العالي ، واساتذة الجامعات ودور النشر الكثيرة ، ولا سيما فى بيروت والقاهـرة .

غير أن التساؤل الآخر المتصل بداري الحكمة هاتين ، لا صلة له بالحجم المادى ، وحده ، بل بالأثر المعنوي ، بالدرجة الأولى ، وبالسمعة التاريخية . فاذا تحدثنا عن الثقافة العربية قبل دار الحكمة . لم نقل أنها ضئيلة الشان ، أو ضعيفة القيمة ، ولكن قلنا انها عربية بالدرجة الأولى . أما بعد دار الحكمة ، فان الثقافة العربية مضت فى طريقها الى تمثل الثقافة الأجنبية كلها ، والثقافة اليونانية بوجه خاص ، واضافتها الى الثقافة العربية ، وانشاء ثقافة عربية – اسلامية ، جديدة ، كانت ، خلال ثلاثة قرون على الأقل ، هي الأولى من نوعها في العالم ، ولعلها كانت هي «الثقافة» بالمعنى العالمي ، وعندما انحدر العرب سياسياً وثقافياً ، كانت هذه الثقافة هي الجسر الذى عبر عليه الغرب ليصل منه الى الحضارة المعاصرة . ومهما يكن حجم بيت الحكمة ، كبناء ، فان أثره فى الثقافة كان أعظم منه بما لايقاس . ترى أيبلغ من شأن اتحاد الكتاب العرب ، أن يكون له هذا الشاو ، وان يؤثر فى الثقافة العربية على الأقل مثل ذلك التاثير ، أو نصفه ، أو ربعه ، أو ثمنه ، أو جزءاً لا على اليقين منه ؟ إني لأرجو ذلك بكل اخلاص .

إلا أن اتحاد الكتاب فتي جـداً ، فهو لما يستكمل العام الثاني عشر من عمره ، على حين أن بيت الحكمة عاش كما يقال حتى سقوط بغداد على يد هولاكو . فمن الظلم أن نتوقع منه ، وهو فى طفولته هذه ، أن يكون له مثل الأثر الذى كان لمثيله البغدادي . إلا أن أثر بيت الحكمة لم يظهر بعد ثلاثـــــة قرون من انشائه ، أو بعد سقوط بغداد ، ولكن منذ السنوات الأولى لوجوده . وأين فى الدنيا مؤسسة يسجل التاريخ أسماء مديريها وخدمها معاً ؟ كما يسجل تفاصيل دقيقة عن صور نشاطها؟ إلا أن الأهم من ذلك كله انه قلما عرفت مؤسسة ثقافية . بهذا الوزن ، وهذا التاثير العميق ، وهذه السمعة .

وهنا يتساءل الانسان : ان دار الحكمة لم تكن جامعة بالمعنى الحديث، ولكنها كانت كانها جامعة ، لأن الطلاب كانوا يتلقون محاضرات كثيرة فيها ، ولأن النقاش الحر كان مفتوحاً فيها فى مختلف المواضيع ، وحتى فى الدين . وليس الأمر تماماً كذلك فى اتحاد الكتاب . إلا أن هذا الاتحاد جزء من مؤسسات ثقافية كثيرة . منها الجامعات السورية وغير السورية ، ومنها وزارات الثقافة التى تمدنا بكثير من الترجمات العظيمة لكبار المؤلفين ، ومنها وزارات التعليم العالي ، وهي تطبع الكثير من الكتب العلمية . وكل هذه اقدم عهداً من اتحادات الكتاب كلها ، بزمن طويل . فالأزهر ، وجامعة القرويين ، وصور التدريس القديمة فى المساجد ، كانت موجودة باستمرار . فلم أنقطع الابداع ، أو أنعدم المبدعون ، ولم يعرف أى وجود سليم للحركة الثقافية فى الوطن العربي – والاسلامي ايضاً ؟ او كل هذه المؤسسات لا تعدل ، على قدمها الكبير أو الصغير ، مانشا من آثار عن وجود بيت الحكمة البغدادي ؟ إن ذلك حقاً لأمر غريب ، لاسيما إذا عرفنا أن رجال هذه المؤسسات ، كلهم أو أكثرهم ، من خريجي الجامعات الغربية ، ولم يحتاجوا الى مترجمي بيت الحكمة ، ليطلعوهم على مصادر الثقافة الغربية ، فكأن هذا البيت قد تضاعف آلاف المرات وتكاثر عدد رواده آلاف الآلاف ، وكثرت محاضراته ، واغتنت مكتباته الى ما لا نهاية .. إلا انه مع ذلك ولا يزال عقيماً ، لايلد شيئاً .

إني أذكر الآن مقالا لوصفي حجاب فى المجموعة التى نشرتها الجامعة الأمريكية ، عام ١٩٦٧ ، كسجل للمحاضرات التى القيت عن الفكر العربي ، منذ عام ١٨٦٦ حتى عام ١٩٦٦ (فى بيروت طبعاً) . ومتعة هذا الكتاب أو بؤسه انه يقارن الانتاج العلمي العربي ، فى سنة ٦٥ ، بما يجب أن يكون عليه ، لو انه متناسب مع عدد المواطنين العرب ، فاذا به يجده فى حدود ٣٪ من حصتهم الطبيعية .

دار الحكمة العربية

بين الماضي والحاضر

ويلاحظ الحجاب من جهة أخرى ، على ما أذكر ، أن هذا الانتاج يكون فى العادة أضخم ، كلما كان البحث العلمي فى البلد ، أكثر حداثة ، تماماً كما يحدث فى تنمية البلاد المتخلفة ، إذ أن استثمار الثروات المهدورة من قبل ، يرفع بسرعة من معدل التنمية الى مستوى أكبر من ذاك الذى تعرفه البلاد الراسخة القدم فى استثمار ثرواتها . لكن هذا القانون لم ينطبق على الحالة العربية « مما حملنى على الظن اني لم أفهم ما عناه الباحث منه بوضوح . وعلى كل حال فان بلاداً يفترض أن تنتج من الأبحاث ٣٪ ، ولا تنتج إلا واحداً بالمئة من هذه النسبة » لهي بلاد عجيبة حتى لكان تخلفها نفسه متخلف جداً .

ولكن الاحراج أكبر ، عندما تتنبأ ، بصورة أو بأخرى ، عن مستقبل هذا الانتاج . أفيمكن مثلا أن يكون تافهاً اليوم وكبيراً غداً أو بعد غد ، أو فى الأفق المنظور لعام ٢٠٠٠ على الأقل . أظن أن أى باحث كالحجاب عاد الى هذا الموضوع من جديد ، لوجد فرقاً ضئيلا بين مستوى عام ٦٥ ومستوى عام ٨١ . ولكن من يعنيه هذا الأمر جدياً ، حتى يتناوله برصانة معقولة .

والمصيبة هنا هي أن نسبة القوة العلمية هي التى تعين نسبة قوتنا العسكرية ، وأن الأولى إذا ضعفت ، تنعكس ضعفاً على الثانية . ومتى ؟ تماماً فى الوقت الذى يجب أن تقوى هذه الى أبعد درجة ، لتعادل قوة عدونا الاسرائيلي . فماذا عسانا أن نصنع إذا ظلت قوتنا العلمية ـ وبالتالي العسكرية ـ تزداد هبوطاً ، وقوة عدونا تزداد صعوداً ؟.

ولربما قيل ان القضايا الاجتماعية متازرة ، متأثرة ، ولابد أن يعم التخلف سائر وجوه حياتنا ، إذا كنا متخلفين . فكيف نطمع أن نكون أغنياء «ثقافيا» ، ونحن نعاني كل هذا التخلف الحضاري والسياسي والاجتماعي . إلا أن الأمور ليست أبهذه البساطة ، فالشعر الجاهلى وهو من أرقى صور الشعر العربي ، عاش فى حضارة بدائية أو شبه بدائية. وإذا قيس الشعر اليوناني القديم بالشعر العربي ، لم يرجح عليه ، على شدة الاختلاف بين الحضارتين . ومع ذلك فان من الصعب على أي انسان عاقل ألا يرى فى الشعر الجاهلي ، صورة غنية جداً للروح الشعرية ، تعادل شاعرية اليونان وتفيض عنها ، بل اننا لا نعرف لأية أمة فى عهدها الجاهلي ، أدباً كالأدب العربي الجاهلي

ويلاحظ بلاشير فى كتابه عن أبي الطيب المتنبي ، قائلا :

« ومن التضاد المدهش ، والكثير الحدوث فى التاريخ مع ذلك ، أنه فى اللحظة التى كان فيها سلطان العباسيين آخذاً فى الزوال ، وحين كانت القرمطية تحرض الناس على الثورة ، كانت الفعالية الفكرية والفنية، مازالت متألقة جداً فى الشرق » (١)

فهل حكم علينا إذن أن ننشيء مؤسسات ضخمة البناء هزيلة المضمون دوماً ، وأن تبقى كذلك باستمرار ؟ وأترك هنا كل بحث عن الثقافة الغربية ، وأقف عند الثقافة التقليدية فيما يتصل باللغة العربية ، فهل يعرف القراء أن استاذاً جامعياً من أى قطر عربي ، أنتج كتاباً فى مثل وزن «خصائص» ابن جني ، أو قريباً من هذا الوزن ؟ وإنى أعرف ولاشك ، أن وطننا أنتج بعض الشعراء العظماء مثل شوقي ، حافظ ابراهيم ، خليل مطران ، بشارة الخورى وابراهيم ناجي ، بدوى الجبل ، عمر أبى ريشة ، نزار قباني ، سليمان العيسى ، وآخرين من الطراز الحديث مثل أدونيس ، وصلاح عبد الصبور ، وعلى الجندى ، وأمثالهم من العراق وسورية ومصر والمغرب ، كالسياب والبياتي .. عدا المبدعين من الوزن القديم ، وعلى رأسهم العراقي الجواهرى. وأعرف كذلك أن بعض أعمال هؤلاء قد ترجمت الى اللغات الأجنبية ، مما يشير الى تقدمها على الصعيد العربي ... ولكن من قال إنها كذلك على الصعيد العالمي ؟ وهل يعرف المغرب ، أو الشارع فى المغرب اسماً عربياً متألقاً فى الأدب مثل طاغور الهندى ؟

لابد إذن لهذا القصور الأدبي ، وهذا العجز عن الابداع العالمي ، من سبب أو عدة أسباب مجتمعة ، فماذا عساها أن تكون ؟

ولابد لهذه الأسباب من أن تكون داخلية أو خارجية . فاذا كانت داخلية ، فهذا يعنى أن البنية العرقية لشعبنا عقيمة ، متخلفة ، قاصرة ، وإذن فلا يمكن أن نكون غير أولئك العرب الذين ندعي الانتساب إليهم . ترى هل حل فى الأرض شعب آخر ، أخذ بمكان أولئك العرب القدماء ، وأفنى كل من له بهم صلة ؟ ولماذا لم نع ذلك ، فنسمى أنفسنا باسم الشعب الذى أصبحناه ؟

الحق أن هذه الفرضية غير مقبولة ، لا علمياً ولا أخلاقياً . والمواهب الانسانية شائعة فى كل مكان .. بالنسبة نفسها من الوجهة السيكولوجية ... إن سانغور شاعر مبدع سنغالي ، ولا أظن أن أحداً سمي بغير اسمه كشاعر ، لكن اسمه عالمي ، وليس محلياً . وبالتالي فلا مجال لقبول أية فرضية فى عقم أصيل ، متصلة بانحطاط العرق .

لم يبق إذن إلا الأسباب الخارجية المتصلة بحرية الأديب أو الباحث أو

الكاتب ، أو بمدى التشجيع الذى يلقاه هؤلاء ، وصورة الحياة التى يعيشونها. ولكن جـب الوطن العربي من أوله الى آخره ، وحاول أن تجد صورة للحياة يتمتع فيها الموهوبون من شعبنا بمستوى لائق من الكرامة الفردية ، أو بالقدرة على التصريح علنا بما يفكرون أو يرون أو يرتأون لشعبهم ، ومستقبله أو حاضره ؟ ولكن لننف هذه الفردية التى يقبلها أكثر الناس بما يشبه البداهة ، فبماذا نستطيع أن نعلل كل هذا التخلف العلمي والأدبي وحتى اللغوي ... إني أقرأ أكثر المجلات رصانة فى الوطن العربي ، وأرى فيما يكتب الكتاب اللامعون أخطاء لغوية فاحشة وفاضحة ، بغض النظر عن قمة الفكر الذى يعبرون عنه ، فبماذا نعلل هذا الواقع كله ، إن لم يكن لا بالعرق وخصائصه ، ولا بالظروف وأوهامها ؟ وأكثر من ذلك أن نتساءل : هل من بارقة أمل فى تغير هذه الأوضاع عما قريب ؟

وكثيراً ما ألقى الأصدقاء من كل الأعمار ، وأطرح عليهم أسئلة تشغلني وتؤرقني وتملؤني شعوراً بالبؤس واليأس . ومن هذه الأسئلة ما أعبر عنه بما يلي :

● ـ كم عدد الأيام التى فرحتم بها فرحاً قومياً ، بنصر وطني أو قومي ؟

● ـ كم عشتم صور الحزن القومي ؟

● ـ هل تعتقدون أن دولة عربية واحدة أو مجموعة دول عربية تستطيع إذا جد الجد ، أن تهزم اسرائيل الآن ؟

● ـ هل تعتقدون أن ذلك فى وسعها، فى المنظور القريب وحتى العام ٢٠٠٠ مثلا ؟

● ـ فى أى الشروط نستطيع أن نجابه اسرائيل بنجاح . وهل هذه الشروط هي هذه التى نعيش فى ظلها ؟ عربياً أولا ، ثم عربياً ودولياً معاً .

● ـ هل تظنون أن القوى العاملة ، من كل الأنواع ، مستثمرة استثماراً حسناً ، فى وطننا أو أن الهدر فيها كبير وبالتالى كم هو الفرق بين قدراتنا الكافية ، وقدراتنا الفعلية ، بين انتاجيتنا الواقعية ، وانتاجيتنا الممكنة

ولن أذكر جواب الناس الذين طرحت عليهم هذه الاسئلة ، ولا أجوبتي هنا ، لسبب معقول حتماً ، لا لسبب آخر يتصل بالنزوة ، أو الرغبة ، أو الهزل . إلا انى ألخص ذلك كله بالقول : إن الأكثرية الساحقة من المجيبين ترى أننا ننشيء مؤسسات ضخمة من كل نوع ، وحتى مؤسسات الطاقة النووية ، ونعرضها على الأنظار ، ولكنها جميعاً كاتحاد الكتاب العرب تشكو أمر الشكوى من عظمة المظهر ، وضالة المضمون . ولابد أن القيادات العربية تعرف ذلك مثل كل الناس . أفلا ترى إذن أن هنالك خطأ ما فى أوضاعنا ، وأنه لابد له من تصحيح سريع ؟ وأظن أن أكبر ما يواجهه العرب فى واقعهم هذا هو الاعتقاد « الفوقـي » أن كل شيء على ما يرام . وأن الله لم يخلق حتى الآن أروع من هذا الواقع القائم

وأنه ليس فى الامكان أبدع مما كان ، فى الحين الذى نجد فيه القضية العربية مع عدوها الأول مافتئت تزداد تعقيداً منذ عام ١٩٢٠ حتى الآن . وأن خط القوة العدوة صاعد وخط القوة العربية هابط ، أفيمكن أن ينشأ عجزنا هذا عن سلامة السلوك العربي ، أو عن شيء آخر ربما كان فيه شيء ما غير سليم ؟

ولا أنسى طبعا القول : أن الكثيرين يلقون التهمة على الاستعمار والامبريالية ... وفى ذلك قول غير مرفوض ... لكن هل كل ما يصيبنا فى الداخل والخارج لا يأتي إلا من الاستعمار والامبريالية ، وما من شيء فينا نحن إلا وهو سليم ؟ إني أتمنى ذلك من كل قلبي ، أى أتمنى أن يكون المذنب هو «الآخر» لا «نحن» ... ولكن يجب أن يقتنع الناس بصحة هذه الدعوى .

ولقد روى لي الصديق ، القريب الراحل العزيز ، الدكتور سامي الدروبي حكاية خلاصتها أن رجلا حمل الى مستشفى المجانين لأنه كان يظن أنه حبة شعير أو قمح لا أدري ، وكان يخشى من كل دجاجة فى الطريق ، خوفاً من أن تأكله فضاق صدر الرجل بمنزله الجديد ، وأقنع الطبيب المداوي أنه شفى من وهمه ذاك ، وأنه يستطيع العودة الى بيته بسلام وأمان . وكان هذا ما يرجوه الطبيب . فأخذ بيده وسار معه فى فناء المستشفى ، فى الطريق الى الادارة ، لتنظيم شكليات الخروج . وفى ذلك الفناء وجد رجلنا هذا بعض الدجاجات . فامتلأ قلبه فزعا واحتمى وراء الطبيب مما يفزعه . فعجب الطبيب منه وساله :

ـ أما قلت لي أنك شفيت ، وأنك لم تعد تعتقد أنك حبة شعير ؟

وأجاب الرجل :

ـ صحيح هذا أيها الطبيب . أنا أعرف وأنت تعرف انني لست حبة شعير ، ولكن كيف نحمل هذا الدجاج اللعين على الاعتقاد مثلنا ، اننى لست حبة شعير ؟ .

وهكذا أنا ، فاني مقتنع بأن كل شيء فى دنيانا على أتم ما يكون ، وكذلك الذين تهمهم القضايا العربية من فوق، فانهم مثلى فى هذه القناعة . ولكن كيف نحمل الناس على التصديق بأن كل شيء سليم . على حين أن الواقع كله مريض ؟

د. حافظ الجمالي ـ دمشق

---

١) أبو الطيب المتنبي . بلاشير . ترجمة ابراهيم الكيلاني ، ج (١) ، ص (١٤)

أنتخب فرحي

في مناسبات الحزن

بقلم
عبدالله جفري

إني استأذن حين أتاهب .. فاطرح ـ فى البداية ـ هذا السؤال :

ـ هل أدخل هذه الساحة ، أم استمر خارجها مسمراً .. ثلجياً ، أحاور الأصداء وانكفىء ؟!

فى البداية ـ أيضاً ـ يراودني سؤال آخر أطرحه هنا :

ـ هل أصبح إدراك الانسان للمفاهيم ، وللفكر ، وللفن ، وللارتقاء الحسي والذوقي .. إدراكاً منكفئاً ، مصدوماً بالمتغيرات المسلطة على رؤية الانسان ووعيه وشجونه ؟!

ـ ما هو الفارق بين داخل الساحة وخارجها ؟!

إنني اتلفت في كل الجبهات .. إنساناً منتمياً الى هذا العصر بمشاكله ، وبمتناقضاته ، وبقشوره ، وبأنينه ، وضحكاته،اليوم يبدو الانسان محكوماً بالتلفت .. لأنه مرهون بالأصوات المفاجئة ، ومنساق بعد ذلك وراء الفجائية ذاتها !!

وسأجيب على السؤال الأول .. بأن آذن لنفسي بالدخول الى هذه الساحة !

سأجيب على سؤال ـ أفترضه منبثقاً منكم ـ عن المقصود بالساحة ، وأقول : ان كل قضية تهمنا هى ساحة يتبارز وسطها نقيضان متوالدان من احتياجاتنا ، ومن مفاهيمنا . وكل رغبة تتبلور فى داخلنا هي ساحة ستخلو بعد قليل من اهتماماتنا بقتلنا لتلك الرغبة أو قتلها لنا ! .. وكل هدف يتضح من طموحنا هو ساحة .. نحن فى الغالب لا نملك حدودها ، ولكننا نركض فى فراغها حتى الاغماء وحتى الموت ! .

نحن رهائن « ساحة » ننزف فوقها عمرنا ، ونقطر اشجاننا ، ونتباغض ، ونتحاب ، ونحارب ونموت ، ونقتل ، وننتصر ، ونضيع ، ولكن ثمن وا د هذه الصراعات ، وهذه الاهداف ، وهذه الرغائب أن تكون لها جميعاً قيم ومضامين لحياة كريمة ، ومفاهيم لتشييد مجتمع راق وحضاري !!

وأجيب على السؤال الآخر فاقول :

● حينما ينكفىء الادراك يصبح الحظ أعمى ! .. وهذا قول اشتقه من الترسبات الموروثة من أجيال ماضية .. رغم قناعتي التامة أن الجهد لا يخضع للحظ ، وأن الاجتهاد لا يسمى حظاً ، وإنما هو متأرجح ما بين الخطأ والصواب . فالانسان ـ إذن ـ إما مخطىء ، وإما مصيب .. ولكنه لن يكون محظوظاً أو سيىء الحظ !

بعد ذلك .. لا يمكن أن نسلم وعينا لانكفاء الادراك .. فرغم أن العالم يضم

أمماً قطعت شوطاً باهراً وبعيداً على درب الحضارة ، لكنها ضعيفة أمام متغيراتها المتصادمة ، لكنها مضطربة بفعل انكفاء إدراكها لمصالح الانسان المشتركة .. لأنها تنحصر فى مصالحها الخاصة !!

لهذه الأسباب تتقوض حضارات ، وتتفجر حضارات ، وكما قال « شبنجلر » إن الانسان المليء بالشجون .. لابد أن يعرف أن ما يمتلىء به ليست شجونه ، وإنما هي شجون غيره التى يعاني منها

فانت تبكي إذا فقدت شيئاً يخصك ، ولكنك تبكي أكثر إذا فقدت إنساناً تغليه، أو إذا هجرك من تحبه ، ولا تبكي إذا هجرت من يحبك !!

وأنت تتنازل لغيرك عن أشياء كثيرة ، ولكنك لن تتنازل من أجل نفسك عن أشياء تضرك لأنك تزاحم بها الآخرين ، فالآخرون هم شجونك ودموعك وابتسامتك ، والشاعر يفعل ذلك أيضاً بدون أن يدري .. فالخنساء تنازلت عن شبابها وأنوثتها من أجل أخيها «صخر» ، أو بسبب حزنها عليه ، ولكنها لم تتنازل عن حزنها ولوعتها على «صخر» من أجل أنوثتها وشبابها !!

وهذه النظرة قد تبدو متارجحة إذا انطلق جدل لمناقشتها ، وإذا تركز الجدل حول رفض التنازل عن أشيائنا الحميمة أو الخاصة بنا .. باعتبار أن الانسان انانى ، ولكن انانية الانسان ليست من أجله بل هي من أجل ما يريد ، وهو يريد لنفسه ، ولكن الذى يريده لنفسه يعطيه كل نفسه ، أو أغلى ما عنده !!

هنا .. اقترب من النقطة الأخرى التى تأملت جوانبها .. ولابد أن تكون مرتبطة بما طرحته من شواهد ، أو من حوار !

هذه النقطة هي مخاض لانطباع تشكل فى محتوى الجيل الذى يشهد لنا وعلينا ، وهي رؤية ـ محتدة ! ـ لحصيلة عاطفة انسانية تضيع فى غبار قبح الرغائب واحتياجاتها ، وهي معاناة ذات حين .. تقتل القاتل والقتيل ، ويبقى داخل الساحة لا أكثر من انقاض حضارية ، وتهدمات نفسية .. كانت «مرحلة» فى حياة الأجيال السابقة وأصبحت معاناة للجيل المعاصر !!

وسأستلهم دليلي من عاطفة الانسان ، ومن وسائل التعبير عن هذه العاطفة ، وأسأل :

ـ ما الذى تبقى من عاطفة الانسان ؟

ـ الجواب : عندما أراد الكاتب الأمريكي « همنجواى » أن ينتحر لم يقل للعالم : انتحرت لهذا السبب ، ولكنه قتل نفسه فى صمت ، وترك الضجيج لمن تحلقوا حول جثته ، ولكنه قبل أن يموت كان يكتب رواية لم تكتمل ، وتركها عند سطور قال فيها : إذا كان ما تبقى من الحياة هو مزيد من قبح المصالح ، ومن عاهات الوجدان .. فلابد أن يكون الموت إجابة رائعة على هذا السخف !

والانتحار ليس حلا ، ولكنه نتيجة ..

كذلك فان عواطف الناس لم تعد «وجداناً» ، ولكنها أصبحت لا أكثر من مضمون للوجدان ، واختلفت تلك المضامين وتلاحت !!

فالعاطفة موجودة ، ولكنها دائمة التلفت .. منساقة وراء الفجائية ذاتها .

وقد قال المؤرخ المعاصر « توينبي » وهو المؤرخ الذى لا دخل له بالشعر ، والفن :

● «في شبابي أردت أن اتعلم الرسم ، فكانت أولى محاولاتي انني رسمت سماء زرقاء . وغصن شجرة ، وطائراً يحلق فى المدى ، وقبل عام واحد فقط أردت أن أهرب الى الرسم ، فكانت آخر محاولاتي انني رسمت مدفعاً ، ومساحة حمراء تعني اللهب ، وبوماً في داخله !! » .

وأراد المؤرخ أن يقول : لقد تبدلت الحياة ، ان المتغيرات هي حصيلة الرغائب المجنونة ، والمصالح القبيحة ، وهي تعبير لعصر القلق والخوف من الحروب ، ومن الأمراض ، ومن المجاعات ، ومن الاكتشافات الفتاكة !!

واستوقفتني عبارة قديمة صرح بها شاعر عربي معاصر لاحدى المجلات فقال:

● إننى متوتر ومجنون ، لا تسالوني عن شعري ، فمازلت مبدعاً وفناناً واكتب الشعر الجيد ، ولكنه ليس الشعر الوجداني .. بل هو الشعر المناضل ، او الشعر القنبلة . إن هذا هو عصري وعالمي !!

وتجعلني هذه العبارة انكفىء ولا أرتد . اتقلص ولا اتمدد ، أنوح ولا ادري قضيتي !!

إننى انتحّب فرحي فى مناسبات الحزن !

إننى أرشح طموحي لخدمة مصالحـــي !

اننى عاطفي ومتسلخ ، بل إننى أرعرع شجوني وأصدمها !!

لقد قال ذلك الشاعر ما استهجنته بنفسية الانسان المتعب .. المبدد فى أصداء تلك المسلخات !

وهل هناك داع للسؤال ؟!

وهل يصبح من الضروري انتظار الاجابة ؟!

أي سؤال .. وأية اجابة ؟!

إننى لا أحاور الفهم ، ولا اترصد الادراك .

إننى ـ فقط ـ أتفصد حزناً ويقهرني العالم !

لست شاعراً ، ولكنني ولدت فى دواعي الشعر !!

كان الشاعر «طرباً دوراً» ينثر أشعاره فى الطرقات على شعر حسناء فتغنى شعره كأنها تشم زهوراً !

وكان الشاعر يدخل مسابقات «البراعة» من أجل الارتفاع بقيمة الكلمة فيأخذ جائزة ، أو جاهاً .. فكأنه يحول الدنيا الى معزوفة موسيقية !

وليست هذه قيمة الشاعر كلها ، ولكن المحتوى الوجداني كان هو القيمة . فما قيمة إنسان بلا مضمون وجداني ؟!

ان العالم يبدو بلا مضمون وجداني ..

أنتخب فرحي

في مناسبات الحزن

العالم يتحول الى سياسة ، والشعر يحترق فى هذا التحول .. فلابد أن يقترب الشاعر من آلام أمته ، وعندما اندلعت حركة المقاومة الفلسطينية انبثق عنها شعراء المقاومة : درويش ، والقاسم ، وكانت لهما ولادة أكبر من حجم معطياتها الشعرية أو الفنية .. كان الاعتبار لوظيفتهما أولا ، وعندما اضطربت دروب « محمود درويش » تحول الى شيء عادى، أو تحدد كشيء سياسي ، ولكنه كشاعر ربما كان مبدعاً .. إنما هذا الابداع توقف عند محتوى وجداني محدد !

ومحمد الفيتوري ـ برغم شاعريته المبدعة ـ فقد تسلق صدور الناس واذهانهم وشجونهم يوم غنى لافريقيا ، ثم تحول غناؤه سياسياً فتحدد ، ثم توقف عند الصوفية أو اغرق نفسه فى محتوى وجداني محصور !

ويوم اصدر الفيتورى « معزوفة الى درويش متجول » ظن البعض انها بداية جديدة لمرحلة مغايرة للشاعر ، ولكنه لم يكن اكثر من متلفت متوتر !!

وبحث «أدونيس» عن ذلك المضمون الوجداني .. إنه ـ أيضاً ـ يعاني من التفاتاته المتوترة .. إنه يخاطب الحجر كزهرة ، ويعصف بالزهرة كبرق .. انه يتحدث عن عصره برؤية لا يمتلكها ، ويترافع عن قضايا مشروخة كانه «ديوجين» !

أما « صلاح عبد الصبور » فبعد مسرحيته الشعرية « ليلى والمجنون » حاول جاداً أن يصعد فوق تراكمات مضمونه الوجداني .. لكنه حدد رؤية معينة فى زمن ما ، ثم اختلطت المرئيات عنده حتى الصمت !

و «غادة السمان» لا تستطيع أن تصف شيئاً الآن ، ولكنها تحتد أمام أي شيء ، وكل شيء . إن هذه الحدة ليست بالضرورة هي مضمونها الوجداني ، ولكن مضمونها الأصيل متوتر متلفت ..

يهبط تارة ، ويحلق تارة اخرى ، وهذا التحليق هو تعبيرها ، فهي بارعة فى التعبير عن شيء غير معروف أو غير متواجد !!

وفى الصحف والمجلات العربية حملة متناقضة على «نزار قباني» .. لأنه شاعر يدخل قدماً واحدة ، ثم يخرجها ، ويجرب بالقدم الاخرى .. فهو يحاول أن يفتح طريقاً يجسد موته زمناً يعترف به غيره ، ولكن هذا الزمن يبهت فى الملامح التى يرسمها «نزار» لأنها ملامح مترددة ، أو لأن تأمله لتلك الملامح بعد رسمها تأمل متلفت متوترة !

وكل هؤلاء توقفوا عن اعطاء الجديد ، وعن ولادة رؤية جديدة لزمن مأمول . انهم جديرون بالعذر ، ولكن المضمون الوجداني لكل جيل يتجاوز الأعذار .. فأما أن يقوى عليها ، وإما أن تهشمه !!

● وذات مرة جاء أحد النقاد العرب المعروفين ، وهو الناقد «غالي شكري» فقال :

ـ «واللحظة التى يدعونها الالهام أو الوحي ، والتى يقرر فيها الشاعر هذا الأسلوب أو ذاك هي نفسها اللحظة التى يقرر فيها إيصال هذه الفكرة أو تلك .. هذه اللحظة هي الابنة الشرعية لمجاهدات الفنان مع الحياة والثقافة ، وهي أيضاً الثمرة الموضوعة لتكوينه الذاتي المنفرد ، أو ما يجب أن ندعوه بالضمير الفني ، وهو لا يرادف الضمير الأخلاقي » !!

وهذا الناقد قد أراد أن يشتم شعراء معينين ، والفكر والفن ليسا فى حاجة الى شتامين ، أو فى حاجة الى من يحدد أن هذا الشاعر ذو ضمير اخلاقي ، أو ضمير فني ، ولكن المحور هنا أن نناقش فى ضمير القضايا التى تواجهنا ، وفى ضمير الأحداث التى تفاجئنا ، فالشاعر إنسان قبل كل شيء .. بل هو اكثر حساسية لأنه يستلهم المضمون الوجداني لأمته ، أو لجيله ، فهو ـ إذن ـ محكوم بالمتغيرات ، أو مصدوم بالمتغيرات التى تسلط على رؤية الانسان ووعيه وشجونه .. بمعنى أنه إما أن يعبر ، وإما أن ينكفىء . بمعنى أنه إما أن يكون على صواب ، أو يكون على خطأ . وكيف يتحدد الصواب وكيف يتم الاعتراف بالخطأ ؟!

إن المحتوى العاطفي هو الآن لا أكثر من تلفت متوتر ..

وان الأبعاد الثقافية .. لا تنفصل عن ذلك المحتوى الوجداني ... لأنها تستنهض رؤية جيل بكامله !!

وكلنا ننتمي الى هذا الجيل الباحث عن إدراكه بكل الوسائل والتصور أيضاً !

إننى أُدَجِّن عاطفتي لئلا تجمـــح .

إننى أعاني من إدراكي ووعيي ، واتكسر فوق أرصفة الأسئلة العقيمة التى لاتلد الاجابات المنتظرة !

إننى جيل يختبىء فى غبار الحروب ، ويحترق بلهب القوى العالمية التى تصنع تلك الحروب !

إنني شاعر ، وسمسار .. انادى على حقوقي الانسانية من داخل محتواي الوجداني وأتهدم !!

لقد بات العشق فجائية التصور ، فالأنثى التى تعشقها إما متشائمة منك ، أو متفائلة بنفسها ، والحدث الذى تنتظره إما عن وعي متصادم أو شجن مكثف ، وأنت لاتعشق لتروي محتواك الوجداني وإنما لتغرقه !

إننى انحبس وانهمر وتشربني نفسي !!

عبد الله جفري ـ جده

قـــالوا هـــذا الشهـــر...

أرضنا مقدســة وهي ليست للبيــع ولا للايجـــار

غسان تويني مندوب لبنان فى الأمم المتحدة

لقد ضبطنا مع بعض الحجاج منشورات وصورا تخلط بين الدين والسياسة وتدعو لتأليه الأفراد وتعمل على تحريف العقيدة الاسلامية وهو أمر باطل ومسيء للاسلام ومرفوض شرعـــاً .

الأمير ماجد بن عبد العزيز أمير مكة المكرمة

« روبرت ماردوخ » صاحب جريدتي « التايمز » و « الصنداى تايمز » ما هو إلا قرصـــان استرالـــي سيطر على شارع الصحافـــة فى لندن عندمـــا اشتـــرى الصحيفتين ودفع ٦٥ مليون دولار .

جريدة الأخبار القاهريـــة

ريجان هو أفضـــل رئيـــس لأمريـــكا فى هـــذا القـــرن .. ويجـــب أن نعطيـــه فرصة !! .

هنكلي ــ الشاب الأمريكي الذى حاول اغتيال ريجان فى ٣٠ مارس الماضى

تم الاتفاق بين بنك دبي الاسلامي وجمعية دبي التعاونية وأكبر المصانـــع المنتجة للدجاج فى الدانمرك على ذبح الدجاج المصدر منها الى الدول الاسلامية يدويـــاً ووفق قواعد الشريعة الاسلاميـــة ، وسيكتـــب على الغـــلاف الخارجي للدجاج باللغة العربية أنها ذبحت باليد وبحضور ممثل إسلامي .

وكالات الأنبـــاء

إن اعتراف « تاتشر » بمنظمة التحرير الفلسطينية يجبرها فى النهاية على الاعتراف بالجيش الجمهوري الايرلندى كحركة من حركات التحرير وهو ما ترفضه تاتشر وتخشـــاه على الدوام .

دبلوماسى بريطاني

باريس ليست وطني .. باريس تكفيها مشاكلها . أريد أرضاً تكون وطناً لي . أشعر بمسئوليتي تجاه الوطن وأحس بواجبات الوطن نحوى .. إن الوطن كالولد لا تستطيـــع استبدالـــه .

الكاتب اللبناني ابراهيم سلامـــة

إن القنبلة النيوترونية تقتل العاملين على الآلات الكاتبة أمام آلاتهم التى تبقى صالحة للعمل ، وتقتل العلماء دون أن تصيب « الكمبيوتر » أو العقل الالكتروني ، وهذه القنبلة تقضى على رجال الاعمـــال فى مكاتبهم دون اتـــلاف الملفـــات ، وهي تقتل العمـــال فى المصانع دون أن تتوقف الآلات .. إن جميع مؤيدي برنامج صنع قنبلة نيترونية هم من أكلة لحوم البشر .

من كتاب (فلتسقط الحرب) للكاتب الفرنسى مارك جينست

حقق شاب فى العشرين من عمره اسمه مارك راى « ٢٥ عاماً » رقماً قياسياً فى الصراخ عندمـــا استطـــاع أن يصرخ ٣٤ ساعـــة متواصلـــة .

جريدة الشرق الأوسط

أتمنى أن تسود الحرية إلى آخـــر مداهـــا فى حيـــاة النـــاس على اختـــلاف أوضاعهـــم وأعني بالحريـــة هنـــا : القانـــون وليـــس كســـره أو اختراقـــه .

زكي نجيب محمـــود

الإنسان.. ومكاسب عصر الفضاء

بقلم : إبراهيم السمان

لقد شغل غزو الفضاء العالم فترة من الزمن فى الستينات وبلغ اهتمام الناس به ذروته عند هبوط الانسان على سطح القمر . وقد أنفق العالم شرقه وغربه أموالا طائلة فى طريق انتقاله الى عصر الفضاء . ومن الطبيعي أن يتبادر الى الأذهان السؤال التالي : « ما هي مكاسب عصر الفضاء التى تحققت بعد كل هذا الترقب والعناء ؟ »

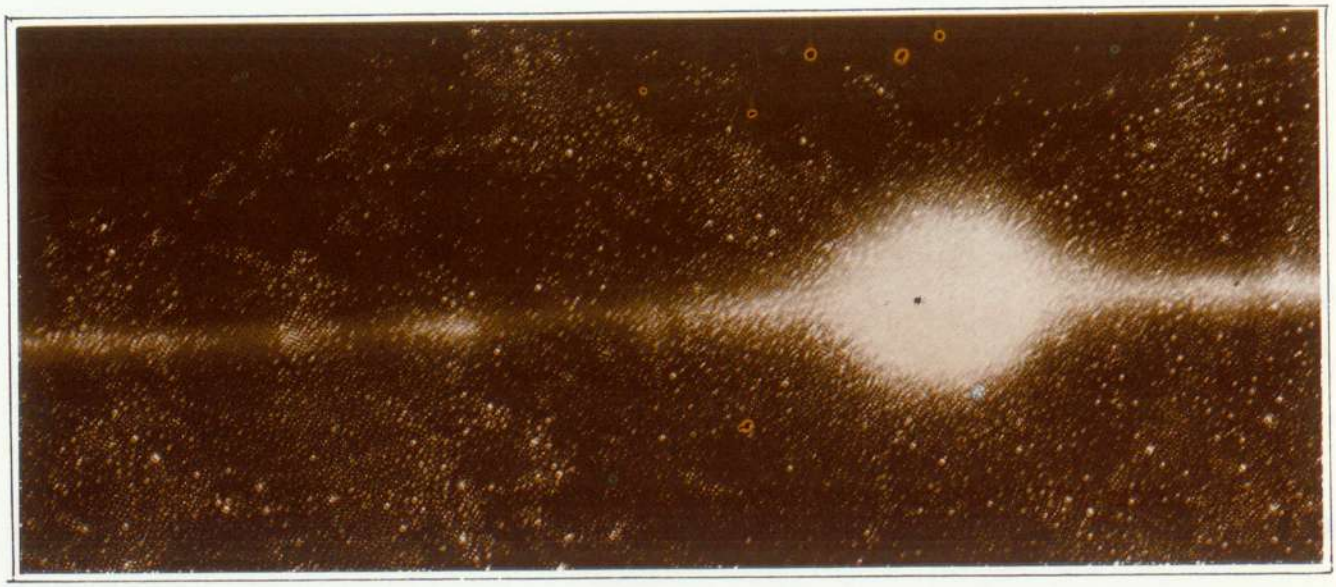
الشيء الثابت أن ما انفق على البحوث المتعلقة بغزو الفضاء لم يذهب سدى . فبعض مكاسب عصر الفضاء يبدو واضحاً للجماهير عامة . وبعضها لا يتضح لغير المختصين . وهناك اشياء مازالت فى عالم الغيب . وقد قرأت عشرات الكتب والمقالات التي تتناول ثمار عصر الفضاء إلى أن أطلعت على كتاب « مكاسب عصر الفضاء » لثلاثة من المؤلفين هم : فردريك أوردواى ، وكارسيبي آدامز ، ومتشل شارب . وهو كتاب يتميز عن غيره من المراجع باحتوائه الشامل لمكاسب عصر الفضاء فى معظم ميادين الحياة المعاصرة نعرض فى هذا المقال جوانب منها لأنه من المتعذر الاحاطة بها فى مقال واحد أو اثنين ..

فمن المنافع العلمية المنبثقة عن عصر الفضاء منتجات جديدة لاستعمال المنازل والصناعات . فحادث اشتعال النيران فى سفينة الفضاء أبوللو الذى راح ضحيته ثلاثة من رواد الفضاء عام ١٩٦٧ أدى إلى البحث عن مواد غير قابلة للاشتعال من أجل استخدامها فى سفن الفضاء التى تحمل الرواد . فتم انتاج أكثر من (٣٣٠٠٠) عينة لم يقبل سوى نسبة أقل من واحد فى المائة منها. وهذا كان سبباً فى اكتشاف أكثر من مادة مضادة للحريق . وفى تكنولوجيا الطعام تم إنتاج أغذية مركزة ذات كثافة عالية وخفيفة الوزن وتشغل أصغر حيز ممكن ولا تحتاج الى تبريد لحفظها من العطب .. وبدأت صناعة حفظ الماكولات ، فاذا بمخازن البقالة اليوم تعرض للبيع منتجات مجمدة بنزع المياه بالاضافة الى تطبيق أساليب التغليف الفنية التى وضعت خصيصاً لماكولات الفضاء . واستفادت كذلك وسائل الطهي وحفظ الطعام من بحوث الفضاء الجوى ..

وتعتبر صناعة الملابس ميداناً هاماً آخر للاستخدام التجاري الناتج عن التحسينات التى توصل اليها هذا العلم وقد ارتبطت بحوث الفضاء بتصميم المنازل نتيجة الخبرة فى تخطيط أنظمة المحافظة على حياة رواد الفضاء . كما ظهرت أجيال جديدة ـ إذا جاز هذا التعبير ـ من مواد البناء المتناهية القوة والمتانة . وقد يكون من أغرب المعدات المستحدثة فى برامج الفضاء هي التى تصنع من الجليد ؟

وأما ثورة العقل الالكتروني فلا أجدنا بحاجة إلى التأكيد أن بحث الفضاء هو الأب الشرعي للعقل الحاسب الالكتروني وتطوره المتواصل .

وفى ميادين الصحة والطب ، فانه يتعذر تقييم الآثار التى احدثتها بحوث الفضاء فى بعض المعارف الأساسية فى علوم الاحياء ووظائف الأعضاء فى مقال محدود . فقد جنت العلوم الطبية الكثير من الثمار الفضائية فى مجالات عديدة مثل التحول الغذائي للاكسجين فى جسم الانسان وفائدته العلاجية بزيادة الضغط عليه عند سطح البحر ، وإذا



كان من أهم متطلبات رحلات الفضاء المأهولة هو إجراء قياسات فسيولوجية من مسافات متناهية البعد .. فكيف يستطيع طبيب على الأرض أن يعرف درجة حرارة أو سرعة نبض رائد الفضاء وهو فى مدار يبعد (١٢٠) ميلا عن الأرض أو يمشى على سطح القمر ؟ وبفضل البحوث تم تحقيق ماكان يبدو للناس ضرباً من الخيال ..

ويعتبر نظام مراجعة عمل القلب لعدد من المرضى فى آن « واحد » هو أيضاً نتيجة بحوث الفضاء ..

أما طب الأسنان فقد ظفر بنصيبه من مكاسب عصر الفضاء . فاحد تلك المكاسب هو جهاز يمكنه الكشف عن مناطق الاسنان التى لابد أن يبدأ تسويسها قبل أن يتحدد بالرؤية أو بأية وسيلة أخرى . وكان هذا الجهاز قد سبق انتاجه أصلا لتحليل عينات من تراب سطح القمر ؟ ومن الأشياء النموذجية لمثل هذه المكاسب هو حفار الأسنان ذو السرعة العالية ..

وامتدت أجنحة عصر الفضاء فاظلت المستشفيات والصيدليات ..

أجهزة رصد الكوارث

وأدرك رواد الفضاء أن وسائل الانطلاق المدارية سوف تكون منصات نموذجية للمشاهدة ومراقبة أحوال المحيطات والأرض والجو . فتحولت الأقمار الصناعية لخدمة الانسان . فمنها يمكن مشاهدة مساحات واسعة من الماء واليابسة . وبذلك تحقق تسخير الأقمار الصناعية لخدمة الأرصاد الجوية وإجراء الدراسات للكشف عن الموارد الطبيعية ورسم الخرائط الجغرافية .

فقد أصبح من السهل معرفة ملامح الكرة الأرضية من بصماتها فى الطيف الكهرومغناطيسى كما نعرف الانسان من بصمات أصابعه أو نبرات صوته ..

وأن معظم الصور التى تلتقطها الأقمار الصناعية واضحة ومفصلة بشكل يمكن معه تحديد موارد الأراضى والمحيطات بكنوزها المختلفة .

وقد استفادت صناعات عديدة من المعلومات الواردة من أقمار المحيطات كصناعة صيد السمك وصناعة شحن السفن وذلك عن طريق تحديد حجم الصيد المنتظر ومدى هدوء البحر فى مناطق صيد الأسماك ..

وأما الخدمات التى قدمتها أقمار المحيطات فى ميادين الشحن فقد شملت اختصار وقت السفر والاقتصاد فى استهلاك الوقود وتقديم المعلومات الدقيقة عن أحوال الطرق البحرية ومدى سلامة الملاحة فيها لاسيما المناطق التى تكثر فيها جبال الجليد الطافية فوق سطح ماء . وقد لا يصدق القارىء أن ما يعرف بجزيرة الثلج يصل طولها أحياناً الى أكثر من خمسة عشر ميـلا وسمكها الى مائتي قدم .

ومن مكاسب عصر الفضاء أجهزة رصد الكوارث الطبيعية وتقدير كميات المياه المخزونة فى الأنهار والبحيرات وتحديد مستوياتها .. والكشف عن التلوث وكذلك أجهزة الانذار باستهلاك كميات المياه محلياً واقليمياً وعالمياً .

وأما هذه المكاسب فى آفاق الاتصالات فكانت قمة الانجازات .. فأقمار الاتصالات تملأ أجواء العالم .. فقد جعلت منه فعلا لا قولا قرية صغيرة

● ● ●

لقد انهى عصر الفضاء عصور العزلة وجعل من العالم المختلف الألوان والأشكال اسرة واحدة فى ميدان الاتصالات الفضائية ..

وهكذا تتوالى انتصارات الانسان فى عصر الفضاء بحثاً عن حياة أفضل توفر السعادة للاجيال القادمة على حد ما تنشره وتذيعه وتعرضه وسائل الدعاية والاعلام ـ فهناك فرق ، كما نعلم جميعاً بين الدعاية والأعلام لا مجال للدخول فى تفاصيله ضمن هذا المقال ..

واليوم .. وبعد كل هذه المكاسب . هل الانسان سعيد حقاً على هذا الكوكب ؟ وهل هو صادق مع نفسه ؟ إن واقع العالم الملتهب ينفى ذلك .. فان جميع تلك المكاسب فى عصر الفضاء لاتوازى بحال من الأحوال الخسارة فى فضاء القيم والأخلاق والمثل العليا ؟ . فماذا يفيد الانسان ماله بعد حياته التى أصبحت رهينة أقذر أسلحة عصر الفضاء ، بل أنذل سلاح عرفته البشرية: نعم القنبلة النيوترونيـــة ؟؟

ابراهيم السمان ـ عمان

تعريب التعليم الجامعي
والبناء الحضاري للأمّة

بقلم الدكتور: محمد عاطف كشك

الحديث عن استعمال اللغة القومية فى التعليم ونشر نتائج العلوم حديث شائع على ألسنة الأفراد والجماعات والهيئات . لكنه شائع أيضاً أن يتم تناول القضية بشكل قاصر ومنهج غير ملائم وطريقة متسرعة لا تتناسب مع خطورة وأهمية قضية حيوية مثل قضية استعمال اللغة القومية . لذلك سوف نحاول فى هذه الدراسة القصيرة مناقشة عدد من الأبعاد التى تضع قضية تعريب التعليم فى الاطار الذى نعتقد أنه الاطار الملائم لتناولها .

وفى هذا الاطار يتم تناول تعريب التعليم باعتباره جزءاً من قضية أشمل هى قضية استعمال اللغة القومية فى كافة المجالات . واستعمال اللغة القومية بدوره جزء من قضية أكبر وأشمل هى قضية التنمية وبناء الأمة . وسوف نناقش استعمال اللغة القومية باعتباره ليس مجرد دفاع عن النفس بل باعتباره وسيلة ضرورية لاكتشاف الجذور لكى نعرف بالضبط أين نقف حتى يمكن لنا أن نقتحم العالم المعاصر .

لذلك فاننا سوف نحاول فى البداية مناقشة بعض التناقضات والمغالطات الشائعة فى تناول قضية استعمال اللغة القومية ، ثم نحاول بعد ذلك ربط القضية بأبعادها الصحيحة فيما يتعلق بالتنمية والبناء الحضارى للأمة ، وتحقيق الوحدة الثقافية للشعوب ، وتحقيق الارتباط بالواقع ، ونقل العادات والقيم ، ونقل التكنولوجيا ، والتكامل العربى .

وفى عدد من الملاحظات الختامية سوف نشير الى بعض الوسائل التى يمكن بها تحقيق تقدم ملموس فى محاولات تعريب التعليم .

أولا : تناقضات ومغالطات

عند تامل الأبعاد المختلفة لقضية تعريب التعليم الجامعى فى وضعها الراهن يمكن اكتشاف عدد من التناقضات والمغالطات التى تحتاج الى وقفة لفحصها ونقدها . ويمكن مناقشة أهم هذه التناقضات والمغالطات فى النقاط التالية :

١) يمكن تقسيم الدول العربية فيما يتعلق باستعمال اللغة العربية فى التعليم والحياة الى مجموعتين : مجموعة الدول التى استطاعت أن تحافظ على استعمال اللغة العربية فى معظم مراحل التعليم وفى الحياة والتعاملات الرسمية ، ثم مجموعة الدول التى استطاع المستعمر أن يفرض عليها لغته لدرجة أنها وجدت نفسها بعد الاستقلال ومعظم أفرادها لا يستطيعون أن يتكلموا أو يفهموا لغتهم القومية كما حدث فى الجزائر وتونس . ومن الغريب أن المجموعة الأخيرة تقدر ضرورة بذل جهود مضنية ومخلصة لاستعادة مكانة اللغة العربية ، فى حين أن مجموعة الدول التى حافظت على اللغة العربية طوال فترات الاحتلال هى التى تتصاعد فيها الآراء التى تشكك فى صلاحية اللغة العربية لاحتواء العلوم الحديثة وقدرتها على التعبير ومتابعة التغيرات العالمية السريعة وخاصة فى مجال العلم والتكنولوجيا . والتفسير الوحيد الذى نستطيع أن نقدمه لهذا التناقض هو أن الدول التى سادت فيها لغات غير لغتها القومية قد أتيحت لها الفرصة لأن تلاحظ أكثر الأثر الهدام لاهمال اللغة الأم وأن تؤمن أكثر باستحالة تحقيق الوحدة الثقافية والاستمرارية التاريخية وربط الأجيال الجديدة بواقعها ، مما أدى الى تخبط وفشل عمليات التنمية المتكاملة ، فى حالة الاستمرار فى تجاهل اللغة القومية . والوقوع فى مثل هذا التناقض الغريب ليس نادر الحدوث فهو شائع على مستوى الأفراد أو على مستوى الدول عندما تتجاهل قيمة ما تمتلكه بالفعل .

٢) مغالطة شائعة أيضاً فيما يتعلق باستعمال اللغة العربية يرددها كثير من العلماء مؤداها أن اللغة العربية عاجزة عن استيعاب التقدم العلمى والمصطلحات العلمية والحضارية التى نشأت فى لغات أخرى . ولن نرد على هذه المغالطة أو هذا الخطأ بمحاولة ترديد ما قيل كثيراً عن خصوبة اللغة العربية وغناها وقدرتها غير المحدودة على استيعاب كل مصطلحات العلم الحديث عن طريق البحث فى

● لماذا يتهمون اللغة العربية بالعجز وعدم القدرة على استيعاب مصطلحات الحضارة الحديثة؟

● تدريس المواد في الجامعات باللغات الأجنبية يقضي على محاولات التأليف العلمي في اللغة العربية!

التراث أو عن طريق الاشتقاق او نحت الفاظ جديدة . ولن نرد ايضاً على هذه المغالطة بالاستشهاد بعدد غير قليل من المحاولات العملية الناجحة سواء بذلت بواسطة افراد او جماعات أو هيئات (مثل مجامع اللغة العربية) والتى تم فيها نقل مصطلحات العلم الحديث والحضارة المعاصرة الى اللغة العربية . واثبتت هذه المحاولات بالفعل ـ رغم وجود بعض نواحى النقص فيها ـ قدرةاللغة العربية ـ ربما اكثر من لغات اخرى كثيرة ـ على استيعاب كل مصطلحات الحضارة الحديثة . كما اننا لن نرد على هذه المغالطة وهذا الخطا بمحاولة تذكير القائلين به بما كان عليه الحال فى عصور ازدهار الحضارة العربية او الاسلامية وازدهار العلم والفلسفة العربية عندما كانت اللغة العربية تستوعب العلوم المختلفة وتمتلك من الغنى والخصوبة والتجدد ما يجعلها قادرة على التعبير والتاثير سواء فى العلوم التى نشات فى ظل الحضارة العربية او التى نقلت اليها عن طريق الترجمة وخاصة العلوم والفلسفة الاغريقية .

كل ذلك ربما كان معروفاً تماماً للقائلين بعجز اللغة العربية . واذن ربما يكون مفيداً اكثر ان نحاول اكتشاف الأسباب الدافعة للوقوع فى هذا الخطا او هذه المغالطة . واعتقد ان الاسباب لا تخرج عن احد الاحتمالات الآتية :

ا ـ أن يكون القائلون بعجز اللغة العربية لا يفهمون لغتهم الأم فهما جيداً ولا يعرفون قدرتها وامكاناتها الهائلة . لكنه يجب ان نذكرهم دائماً بانه مهما كان تعمقهم وتبحرهم فى اللغات الأجنبية التى يستعملونها فسوف يظلون عاجزين عن معرفة كل اسرارها لانها رغم كل شىء ليست لغتهم الام .

ب ـ بعض الذين يحاولون باستمرار التشكيك فى قدرة اللغة العربية ويصرون على استعمال لغات اجنبية ـ رغم عجزهم الفاضح احياناً فى فهم اسرارها ـ انما يحاولون اخفاء تفاهة مضمون ما يقدمونه من مادة عن طريق تغريب الشكل الذى يضعونها فيه .

جـ ـ الاحتمال الثالث لتفسير هذه الظاهرة هو احتمال الكسل الذى يجعل البعض يقول : مادمنا ناخذ مضمون ومحتويات العلوم من الخارج فلماذا نتعب انفسنا ونبدد وقتنا فى محاولة نقلها الى العربية ؟ وخطر هذا الاتجاه ـ كما سوف نرى ـ انه لا يدل فقط على الكسل ولكنه يدل اكثر على تجاهل طبيعة التقدم العلمى وارتباطه الوثيق باللغة .

٣) المغالطة الثالثة الشائعة يقول اصحابها ان استعمال اللغة العربية يعزلنا عن العالم المتقدم ـ المنشىء للعلوم الحديثة ـ ويجعلنا غير قادرين على الاتصال بهذا العالم والتاثر به او التاثير فيه . وهذه مغالطة من السهل فضحها فسوف نرى كيف ان التاثير فى العالم واحتلال مكان بارز فيه لن يكون إلا عن طريق بناء الوحدة الثقافية للأمة والارتباط بالجذور التاريخية لها . كما أن القائلين بهذا الادعاء إنما يخلطون بين استعمال اللغة العربية وتعلم اللغات الأجنبية الحية . فلا اعتقد ان احداً يمكن أن ينكر فائدة ـ بل وضرورة ـ تعليم اللغات الاجنبية الحية بطريقة جادة وعميقة لكل الأجيال الجديدة ، لكن ذلك شىء واستعمال اللغة القومية شىء اخر . والأمثلة أمامنا عديدة فمعظم النتائج الهامة للعلم متاحة فى عدد محدود من اللغات الحية ولو ان الاتصال بالعالم المعاصر يحتم ضرورة التعليم بهذه اللغات لراينا التعليم فى معظم بلاد اوربا يتم بالانجليزية او الفرنسية لكن ذلك لا يحدث فى الواقع ، والمثل الواضح الذى يمكن ان أسوقه هنا هو هولندا ، فالهولنديون يعرفون ان لغتهم ليست هامة حيث لا يتكلم بها اكثر من خمسة عشر مليوناً ، ولذلك لا يوجد شاب هولندى لا يعرف بجانب لغته الام لغتين او ثلاثاً من اللغات الحية . ولكن احداً لا يناقش بالمرة فى أن التعليم فى جميع مراحله يجب أن يكون باللغة الهولندية . فما بالك باللغة العربية وهى لغة اهم بكثير من اللغة الهولندية باعتبار عدد الناطقين بها ، وباعتبار تاريخها وتراثها ، وحتى باعتبار اعتراف العالم بها . هذه المغالطة ادت فى الواقع الى معضلة صعبة ، ففى مثل هذا الوضع المتردد والمهتز لا نحن حققنا الاتصال بالعالم ، ولا نحن حافظنا على وحدتنا الثقافية لاننا اهملنا لغتنا القومية ولم نتعمق فى تعلم اللغات الأجنبية الهامة . ثم ان هذه المغالطة جعلتنا ايضاً نقصر فى محاولات الترجمة والتعريب للمصطلحات العلمية والفاظ الحضارة باعتبار انه لا مبرر لبذل الوقت والمال والجهد فى ذلك . فى حين ان كل الدول المتقدمة والتى تعتز بلغاتها القومية تعترف بالترجمة والنقل وسائل فعالة فى الاتصال والتبادل بين الحضارات واللغات المختلفة .

٤) المغالطة الرابعة تتعلق بالادعاء القائل بان التعليم فى المرحلة الجامعية وخاصة فى مرحلة الدراسات العليا لا يمكن أن يتم باللغة العربية، وهنا تجاهل واضح لنجاح التعليم باللغة العربية فى كل مراحل التعليم قبل الجامعة فى معظم الدول العربية . وخطورة هذه المغالطة انها ترتبط مباشرة بتدهور مستويات التعليم فى كثير من الجامعات ، فكثير من الاساتذة لا يجيدون اللغات الأجنبية التى يعلمون بها ،

ومعظم الطلاب يجهلونها جهلا تاما ، وذلك يكون على حساب المادة العلمية والمستوى ويكون على حساب محاولات التاليف فى اللغة العربية ومحاولات الترجمة اليها ، ونحصل فى النهاية على اجيال غير قادرة على مواصلة التعلم ورفع المستوى العلمى وملاحقة تطورات العلم والتكنولوجيا لانها لا تستطيع القراءة فى لغات اجنبية ولا تجد او لا تؤمن بما هو متاح فى اللغة العربية .

ثانياً : الأبعاد التى ينبغى من خلالها تناول القضية

بعد أن ناقشنا بعض التناقضات والمغالطات الشائعة فى تناول قضية تعريب التعليم ، سوف نحاول هنا ربط القضية بالأبعاد التى نعتقد أن تناول هذه القضية بدونها يعتبر تناولا قاصراً يجرد هذه القضية الهامة من سياقها الذى يجب دائماً أن توضع فيه . ويمكن تناول هذه الأبعاد فى النقاط التالية :

تعريب التعليم الجامعي

التنمية الحضارية : بُعدٌ من أبعاد التنمية الشاملة

تسود المشاكل المتعلقة باستعمال اللغات القومية فى البلاد الفقيرة المتخلفة ومعظمها كانت محتلة لفترات طويلة وحصلت على استقلالها حديثا جداً، وجميع هذه الدول تحاول ـ بدرجات وطرق مختلفة ـ ان تعبر الفجوة الواسعة بينها وبين الدول المتقدمة عن طريق عمليات التنمية . ويصعب بالتالى تناول قضية استعمال اللغة القومية بمعزل عن قضية التنمية وعندما نتكلم عن التنمية فاننا نتكلم عن بناء الأمة بشكل كامل . وهذا البناء لا يمكن أن يكون احادى الجانب وإلا فقد التوازن والاستقرار اللازمين لاى بناء ، فعملية التنمية تتطلب تكامل الأبعاد العلمية والتكنولوجية والثقافية والجمالية للتنمية . ولذلك فليس هناك الآن فرد او شعب او حكومة على درجة من الوعي يمكن ان تعتبر الثقافة مجرد ترف او ترفيه وتسلية ، بل يزداد الوعي باهمية الثقافة كخطوة كبرى وضرورية فى بناء الأمم ، ويزداد ادراك اهمية تحديد استراتيجية للتنمية فى الدول النامية باعتبار ان التنمية الفعالة لابد وان تشمل على الاقل اربعة ابعاد اساسية هي : النمو الاقتصادى ، والتناسق مع البيئة ، والعدالة الاجتماعية ، والبناء الحضاري .

والوحدة الثقافية هي سبيل بناء الأمة حضارياً ، فالوحدة الثقافية هي الوسيلة الأساسية لتدعيم تماسك المجتمعات المستقلة حديثاً او التى مازالت تناضل من أجل استقلالها ، وهى الوسيلة الوحيدة الفعالة للوقوف أمام محاولات التمزيق والتفرقة . ومن المستحيل بناء وحدة ثقافية فى مجتمع يعتبر نفسه مجرد سوق للثقافة وليس أمة . وطريق تحويل الأمة من مجرد سوق للتيارات الثقافية الى شريك فعال فى الحوار والتبادل بين الشعوب هو بناء وحدة ثقافية لها .

الثقافة : احدى الاحتياجات الأساسية للبشر

ضمن استراتيجيات التنمية التى تجد قبولا عاماً واهتماماً متزايداً فى العالم كله تحتل استراتيجية اشباع الحاجات الأساسية للغالبية العظمى من أفراد المجتمع مكانة بارزة والاحتياجات الأساسية لا تشمل فقط الطعام والملبس والمسكن والعمل وكل وسائل الرخاء المادى ، لكنها تشمل ايضاً ـ او لابد ان تشمل ـ وجود هدف للحياة ، وهذا بعد ثقافى . وقد يصاب البعض بالدهشة عندما يرى او يسمع عن الاحباط واليأس والتعاسة لدى نسبة كبيرة من افراد المجتمعات الصناعية المتقدمة والتى حققت قدراً كبيراً من الرخاء المادى لمعظم افرادها ، لكنه لا يوجد فى الحقيقة أى مبرر لهذه الدهشة ، حيث ان الرخاء المادى ـ رغم ضرورة توفر حد أدنى منه ـ إلا انه وحده ليس كافياً لاشباع كل احتياجات الانسان . بل ان مستويات عالية من الرخاء المادى بدون التفات كاف الى ضرورة وجود هدف للحياة يهدد الانسان الفرد وكذلك المجتمعات بفقدان الاتزان لانه يخاطب جانباً واحداً منها ويهمل الجانب الآخر الذى لا يقل أهمية عن الجانب المادى .

الاخلاص للماضى وسيلة التأثير فى الحاضر والمستقبل

المعضلة التى تواجهها الثقافة العربية اليوم ـ مثلها فى ذلك مثل بعض الثقافات الأخرى ـ يمكن صياغتها فى السؤال التالى : أليس هناك أمل فى أن تلعب الثقافة العربية دورها فى العالم المعاصر فى نفس الوقت الذى تظل فيه مرتبطة بجذورها الحقيقية وقيم البيئة العربية ؟ بمعنى آخر : كيف نظل مخلصين لماضينا وكيف نستطيع أن نعطى من قيمنا للعالم ؟ هذه بالطبع مشكلة عسيرة ولا توجد معادلة جاهزة لحلها والجدل حولها مستمر ومتصاعد لفترة طويلة . لكننا فى المقام الأول يجب أن نحدد الهدف وراء محاولتنا الاخلاص لماضينا ، فلا يجب أن نفعل ذلك لمجرد بعث ماض قديم او بدافع من التعصب او الشعور بالنقص أو الخوف من التفاعل مع الثقافات العالمية المعاصرة ، بل يجب أن يكون مفهوماً اننا حين نخلص لماضينا فذلك لكى نعيش أكثر حرية وأكثر اعتماداً على النفس فى العالم الجديد الذى يتشكل أمام انظارنا . ولا يجب أن نظل متفرجين حتى يتشكل العالم لنا ، بل يجب أن نساهم بفعالية فى تشكيل العالم ، وأن تكون مساهمتنا ـ فى الأخذ والعطاء ـ على قدر عظمة تراثنا وتاريخنا وعلى قدر ما نرجوه لحاضرنا ومستقبلنا من روعة .

الاستمرار التاريخى اذن ليس هدفه مجرد بعث الماضى بل هدفه الأساسى أن يكون لنا دور فى تشكيل الحاضر وصياغة المستقبل واذا تركنا النظام العالمى الجديد يتشكل تماماً بواسطة غيرنا فانه فى هذه الحالة سوف يهمل أو يتجاهل رغباتنا وقيمنا وأهدافنا . واذا كان لهذه الرغبات والقيم والأهداف أن تكون متضمنة وبارزة فى النظام العالمى الجديد فلابد لنا من الاغتراف من تاريخنا وتراثنا ، ولابد لنا من أن نعيد اكتشاف التاريخ ونعيد بناء الاستمرارية التاريخية .

اللغة ونقل العادات والقيم

نحاول فى كثير من المناسبات أن ننتقد وأن نحارب انتشار العادات والقيم التى لا تناسبنا ولا تتفق مع تراثنا وتاريخنا والبيئة التى نعيش فيها . وهناك بعض من يعتقد أن مجرد ذكر جملة «قيم وعادات مستوردة» كفيل باقناع الناس برفض هذه العادات والقيم . وهنا مغالطة أخرى تحاول جعل كلمة «مستورد» مرادفة لكلمة ضار . وهذا فى الحقيقة اتجاه ـ فضلا عن انه متناقض مع نفسه ـ فهو اتجاه خطر وهدام لاننا فى الواقع نستورد أشياء كثيرة نافعة ولن نستطيع أن نغلق أبوابنا وعقولنا عن العالم . لكن اذا اردنا الاتجاه الصحيح لتناول قضية نقل العادات والقيم واختيار ما يلائمنا ورفض ما لا يتفق معنا ، فيجب أن نربط ذلك بقضية استعمال اللغة القومية . فما هو غائب فى معظم المحاولات هو ربط اللغة بقضية انتقال العادات والقيم الاجتماعية وانتشارها .

لكن يجب أن يكون مفهوماً أن رفض كثير من نماذج الغرب التى لا تناسبنا ليس معناه رفض لغاتهم (أو سلعهم) ، لكن عندما تكون لغتنا القومية محترمة فاننا فى هذه الحالة يمكن أن نفصل بين اللغة كوعاء وبين ما تحتويه من مضامين .

علم لا يصل للناس علم بلا قيمة

كيف يمكن توصيل نتائج العلم واكتشافاته وانجازاته الى الغالبية العظمى من الناس ! هذا هو أهم تحدٍّ يواجه العلم المعاصر فى الوقت الذى ينمو فيه العلم بسرعة خرافية ويزداد فيه التخصص ضيقاً بصورة تعجز معظم الناس عن متابعة أهم نتائجه ، فالعلم له لغته الخاصة التى يفهمها العلماء ، لكن العالم الأصيل يعتبر أن تبسيط العلم لكى يصل الى أكبر عدد ممكن من الناس هى أخطر وأجهل مهمة ينبغى عليه أن يقوم بها . والعقبات فى سبيل قيام العلماء بهذه المهمة كثيرة وليس من المناسب أن نضيف اليها عقبة جديدة وخطيرة بأن نكتب العلم ونعلمه للطلاب بلغة أجنبية بعيدة عن متناول معظم الناس .

اللغة والتكنولوجيا الملائمة

مصطلح التكنولوجيا الملائمة من أكثر المصطلحات استعمالا فى الوقت الراهن لأنه ثبت فى مناسبات وحالات عديدة للغاية فشل

التكنولوجيا فى حل المشاكل أو مساهتمها ربما فى تكثيف وزيادة حدة المشاكل القائمة لأنها تكنولوجيا غير ملائمة للظروف التى تستعمل فيها . فالوسائل والأساليب التكنولوجية التى تم اكتشافها فى ظروف بعينها (طبيعية ـ اقتصادية ـ اجتماعية ـ سياسية ـ ثقافية) لا يمكن نقلها نقلا ساذجاً واستعمالها فى ظروف مختلفة تماماً . لذلك تتصاعد فى العالم كله الدعوة الى ضرورة خلق التكنولوجيا الملائمة ، ويمكن أن يتم ذلك بعدة طرق لابد وان تشمل اعادة اكتشاف وفحص وتنقية الأساليب التقليدية وتطويع الأساليب الحديثة للظروف المحلية وابتكار أساليب جديدة خاصة لتلائم هذه الظروف . لكن ذلك كله سوف يكون من الصعب جداً انجازه لو اننا لم نبذل جهوداً جادة وعميقة فى استعمال اللغة القومية فى التعليم ونشر نتائج العلم لأن التكنولوجيا ـ مثل العادات والقيم ـ يمكن ان تنتقل مع اللغة ، ولن نستطيع تطويع المضمون واكتشاف مضامين جديدة ما لم نستعمل اللغة القوميه كشكل لهذه المضامين . كما أن لغتنا تتخلف عن متابعة العصر ما لم ننقل اليها ونعبر بواسطتها عن التقدم العلمى والتكنولوجى حيث يعتبر العلم والتكنولوجيا فى الوقت الراهن من أهم الروافد التى تثرى اللغات وتساهم فى تطويرها وجعلها حية باستمرار ـ واللغة لم تكن أبداً ـ ولن تكون عائقاً فى سبيل انتشار العلم والتكنولوجيا بل ان العلم والتكنولوجيا يساهمان فى اثراء اللغة وتطويرها . وما لم نفهم هذه العلاقة جيداً فسوف نظل تابعين ومقصرين فيما يتعلق بنا من عطاء سواء فى العلم أو فى اللغة .

● ارتباط العلماء والطلاب بالواقع

نسمع ونقرأ كثيراً عن ضرورة اهتمام العلم والتعليم بحل مشاكل الواقع والارتباط بالبيئة الطبيعية والحضارية . واحياناً نسمع ذلك ممن لا يستطيعون أو لا يرغبون فى الحديث والكتابة بلغتهم القومية . وأى ادعاء عن الارتباط بالواقع سوف يكون سخيفاً وأية محاولة لذلك سوف تكون فاشلة مادامت اللغة القومية غير مستعملة فى التعليم وفى كتابة نتائج العلوم ونشر التكنولوجيا . فالعلماء عندما يكتبون ابحاثهم بلغة أجنبية والأساتذة عندما يعلمون طلابهم بلغة غير لغتهم القومية إنما يخلقون نوعاً من العزلة والتغريب عن المجتمع ويكونون قشرة تطفو فوق سطح الواقع غير متصلة به وغير قادرة على أن تؤثر فيه أو أن تتاثر به .

وفى هذه الحالات لا يصح لنا أن نستغرب ميل العلماء والأجيال الجديدة من الخريجين الى الهرب من مشاكل مجتمعاتهم ، أو حتى الهرب من مجتمعاتهم نفسها ، أو جهلهم الفاضح بمشاكل البيئة التى يعيشون فيها ، أو عدم ربطهم العلم والتكنولوجيا بالأبعاد الانسانية والفلسفية السائدة فى بيئتهم ، أو تعاليهم على المجتمع ككل وبحثهم باستمرار عما يستطيعون أخذه بدلا من بحثهم عما يستطيعون ـ أو ما يجب عليهم من عطاء للمجتمع الذى أعطاهم بلا حدود . صحيح أن لجميع هذه الأعراض أو الأمراض اسباباً أخرى كثيرة لكنه يستحيل تماماً حلها بمعزل عن قضية اللغة المستعملة فى العلم والتعليم .

● اللغة والتكامل العربى

الكلام عن تكامل الدول والشعوب العربية أيضاً كثير جداً وشائع . لكن الانجازات فى هذا المجال مازالت مخيبة للآمال . والتكامل لن يكون تكاملا حقيقياً بغير أن يتضمن تبادل وتكامل المعرفة والثقافة وبخاصة العلم والتكنولوجيا ، واللغة العربية هى التى يمكن أن تكون القناة المناسبة لهذا التبادل والتكامل وتحقيق الوحدة الثقافية ليس فقط داخل كل دولة عربية بل بين الدول والشعوب العربية .

ثالثاً : ملاحظات ختامية

لا أعتقد أنه من المناسب أن انزلق فى محاولة ساذجة لوصف عدد من التوصيات أو الحلول الجاهزة التى يمكن بها علاج المشاكل العديدة المتعلقة بتعريب التعليم الجامعى ، كان نقول مثلا يجب على الجامعات كذا وكذا ويجب على الأساتذة كيت وكيت . فالقضية كما رأينا متشعبة متعددة الأبعاد عميقة الجذور . وقد أثبتت خبرة الأفراد والأمم أن الحلول البسيطة عندما يتم اقتراحها لعلاج مثل هذه المشاكل المعقدة غالباً ما تفشل ، أو تساهم فى تعقيد المشكلة بدلا من أن تساهم فى حلها . ومع ذلك فلا أستطيع أن أتنصل تماماً من المسئولية المفترضة فى الكاتب والمفكر ـ كما هى مفترضة فى الطبيب ـ من أنه بالاضافة الى محاولة التشخيص السليم لابد وان يصف العلاج . غير أننى فى الملاحظات التالية سوف أركز على المنهج والأسلوب أكثر من تركيزى على المقترحات والاجراءات العملية :

● رأينا الارتباط الوثيق بين استعمال اللغة القومية والبناء الحضارى للامة باعتباره بعدا هاماً من أبعاد التنمية الشاملة . واذن فليس مناسباً بالمرة أن يتم تناول قضية تعريب التعليم أو استعمال اللغة القومية باعتبارها قضية هامشية قليلة الاهمية بل يجب أن يتاح لها ما هو مطلوب لعلاجها من جهد ووقت وأموال على كل المستويات .

● رأينا أيضاً كيف أن القضية معقدة متعددة الأبعاد واذن فان تناولها وعلاجها يجب أن يتم بطريقة متانية عميقة تستبعد من حساباتها الحلول السهلة غير المدروسة . وأول خطوة فى هذه الطريقة هى الدراسة والتقييم لكل أبعاد المشكلة وأسبابها ـ الظاهرة والخفية ـ وانتشارها ومدى تاثيرها .

● الجهود التى تبذلها الهيئات العلمية واللغوية يجب أن تتاح لها فرصة التناسق والتكامل والتبادل . كما يجب أن تتمتع باكبر قدر من المرونة . فالتعصب والجمود هما أعدى أعداء التقدم فى مجال استعمال اللغات القومية .

● التاليف والترجمة والنشر كلها وسائل يجب ان ترتبط ببعضها ارتباطاً وثيقاً فلن نستطيع أن نؤلف بدون ترجمة ولن نستطيع أن نترجم بدون نشر . والنشر وخاصة فى مجال المصطلحات العلمية والتكنولوجية هو الذى يضمن شيوع المصطلح وقبوله بالتدريج ويفقده غرابته على الأذن ويساهم فى مشاركة الناس وملاحقتهم للتقدم العلمى والتكنولوجى . وللأسف فان غياب أو قصور وسائل النشر هو السبب الرئيسى الذى يقف حتى الآن عقبة عسيرة فى وجه بذل جهود قيمة فى التاليف والترجمة ويحجب نتائج الجهود القيمة التى بذلت بالفعل .

● تعليم اللغات سواء العربية أو اللغات الأجنبية الحية بطريقة جادة وعميقة خطوة أولية وأساسية . ولن يمكن التقدم فى هذا المجال فى ظل القصور والتخبط فى نظم ومناهج التعليم السائدة فى معظم أنحاء العالم العربى .

وبعد . فان القضية أكبر وأعقد من قدرتى ـ على تغطية كل أبعادها وهى فى حاجة الى مواصلة البحث والجهد والوقت سواء على مستوى المفكرين والعلماء والأفراد أو الهيئات والجماعات . لكنها بكل تاكيد فى حاجة أيضاً الى بذل وتنسيق الجهود على مستوى الحكومات والشعوب .

د. محمد عاطف كشك

السينما التسجيلية في قطر
خطوات على الطريق

التجربة جديدة فى مدينة الدوحة .

وهو من الوجوه التى بدأت تأخذ دورها المستقبلي من أجل ايجاد قاعدة لاستخدام السينما كوسيلة للتعليم والتوجيه والاعلام ..

وهو لا ينسى ما قاله يوماً رائد السينما التسجيلية فى العالم « جون جريرسون »عن الفيلم التسجيلى : «إنه يخلق العزم والارادة القوية فى نفوس المتفرجين ، ويضفي على الشيء البسيط طابعاً من النبل والسمو » !

وعندما تطلب منه أن يقدم بطاقته الفنية ، فانه يقول لك فى تواضع شديد: اسماعيل خالد .. مشرف على وحدة الأفلام التسجيلية والوثائقية فى قطر .. قضيت عاماً فى دراسة الفنون المسرحية فى الكويت .. ثم اتجهت الى القاهرة مع صلاح درويش وأبو جسوم لدراسة المسرح فى أواخر عام ١٩٧٢ ، حيث التقيت بالفنان الكبير زكي طليمات ، الذى أخذني من يدى الى عميد المعهد العالي للسينما ـ وقتئذ ـ جمال مدكور ، لأواصل مشوار حياتي فى قسم الاخراج والسيناريو حتى عام ١٩٧٨ .. وعدت الى الدوحة لأعين مديراً مساعداً للمركز الخليجي لتنسيق التدريب الاذاعي والتليفزيوني ، ثم تم اختياري كرئيس لمركز الأفلام التسجيلية والوثائقية عقب صدور قرار بانشائه فى أول يوليو من هذا العام ..

أفلام قطرية

ولكن كيف بدأ ميلاد وحدة الأفلام التسجيلية والوثائقية فى قطر ؟ ..

يقول اسماعيل خالد : نظراً لأهمية الفيلم التسجيلي فى عالمنا المعاصر ، قررت وزارة الاعلام الاهتمام بهذا المجال فأنشأت هذه الوحدة خلال هذا العام ، وجعلت رسالتها تتلخص فى :

- انتاج أفلام تسجيلية تخاطب بها المتفرج فى الخارج ..
- دراسة المشروعات المقدمة من مؤسسات خارجية لانتاج الأفلام عن قطر ..
- متابعة أعمال فرق التصوير الأجنبية التى تأتي الى البلاد بهدف انتاج أفلام وثائقية وتسجيلية عن قطر
- عمل مكتبة أفلام تضم كل ما يتم تصويره عن دولة قطر قديماً وحديثاً
- انتاج أفلام وثائقية للاستخدام المستقبلي ، بحيث تحفظ ضمن أرشيف خاص حتى يمكن اعارتها للمؤسسات والشركات العالمية التى تحتاجها ..
- المعاونة فى انتاج أفلام سينمائية عن منطقة الخليج حسب حاجة هذه المنطقة وحسب قرارات مؤتمرات وزراء الاعلام لدول الخليج العربية وضمن الخطة المقترحة ..
- انتاج جريدة قطر الناطقة لتعرض فى دور السينما المحلية ..
- المعاونة فى انتاج أفلام المناسبات القومية لعرضها فى التليفزيون ..

نواة أرشيف الأفلام

ونساله : إذن هل هناك لجان ستعد خطة للانتاج القطري فى كل عام ؟ ..

ويقول : نعم .. ستشكل لجنة برئاسة سعادة وزير الاعلام الاستاذ عيسى غانم الكواري ، لاقرار خطة الانتاج السنوية .. وتضم اللجنة فى عضويتها الاستاذ محمد عبد الرحمن الخليفي وكيل الوزارة ، والاستاذ شاهين الكواري مساعد وكيل الوزارة .. وتضمني اللجنة باعتباري رئيساً للوحدة ، كما تضم بعض الخبراء ممن لديهم دراية وخبرة بهذا العمل الفني .. وستقدم لهذه اللجنة خطة عمل تطرح أفكار الأفلام المطلوب انتاجها لتنفذها على مراحل ، إضافة للأعمال الدورية المطلوبة مثل جريدة مصر الناطقة ، وستستعين اللجنة بمخرجين وكتاب من الخارج للقيام بعمل أفلام تحت أشراف الوحدة،



اسماعيل خالد رئيس مركز الأفلام التسجيلية اثناء حواره حول التجربة الجديدة في الدوحة

كما ستقوم بانتاج أفلام مشتركة مع شركات خارجية لها سمعتها وكفاءتها الطيبة فى العالم ..

● ولكن كيف ستحصلون على الأفلام التسجيلية والوثائقية القديمة والنادرة بحيث تكون نواة لأرشيف الوحدة السينمائية ؟

ـ سنجمع أولا كل الأفلام الوثائقية التى لدى شركات البترول .. وهناك بعض أفلام وثائقية عن قطر فى بعض البلاد العربية .. وهناك مجموعة أفلام تسجيلية عن المنطقة فى الـ (بي.بي.سى) .. وهذا بالاضافة الى الحصول على بعض أفلام تسجيلية قديمة من بعض الشخصيات القطرية مثل الأستاذ يوسف درويش وحسن المعايرجي الاستاذ فى جامعة قطر الذى وجدنا لديه ٢٠ فيلما وثائقيا من عام ١٩٥٠ حتى الآن .. وستجهز الوحدة بأحدث الأجهزة والفنيين والخبراء الذين لديهم دراية طويلة فى هذا المجال الفني الهام ..

أول الأفلام

ويقول اسماعيل خالد أن أول أعمال تقوم بها وحدة الأفلام التسجيلية خلال الفترة القادمة :

● فيلم تسجيلى عن قطر ، يجرى الاتفاق من أجله مع المخرج الكندى جون فيني الذى يعتبر من أهم مخرجي الأفلام القصيرة فى العالم ، والذى سبق أن أخرج فيلماً عظيماً عن نهر النيل بعنوان « ينابيع الشمس » ..

● فيلم عن صور الحياة فى قطر ، يعرض بمناسبة يوم ٢٢ فبراير عام ١٩٨٣ ، ويخرجه المخرج الكندى الشهير « رالف كيرشن » ..

● فيلم «عشر سنوات مباركة» الذى سيعرض فى ٢٢ فبراير عام ١٩٨٢ ، وتقوم شركة أفلام الخليج ـ وهي شركة قطرية ـ بتنفيذه .

● فيلم « شاهين » الذى يمثل الغزوات الأجنبية للخليج ، ويصور مابين أوربا والخليج ، وتصل تكاليف انتاجه مابين ٥ الى ٦ ملايين دولار ، وهو فيلم مشترك مابين قطـر والكويت ، ومن اخراج خالد الصديق .

● فيلم «الديمقراطية والشورى فى دولة قطر » وسينفذه المخرج المغربي أبو غالب عتيقي الذى يعيش فى ايطاليا ويعمل كرئيس للبرامج السياسية فى التليفزيون الايطالي .. ونفس هذا المخرج سيقوم بعمل فيلم عن تنمية الثروة الطبيعية لخدمة الانسان ، وسيصل الى الدوحة فى ديسمبر القادم لاجراء دراسات ومقابلات وزيارة الأماكن الهامة كالمصانع والجامعة والمدارس ..

الحرب الاعلامية

ويرى اسماعيل خالد أن الفيلم التسجيلي يربط الجهد الفردى بعجلة الهدف العام ، ويوسع من آفاق حجرة الدراسة ، ويمنح كل فرد فى مكانه وعمله فكرة حية عن المجتمع الذى يحظى بشرف الانتماء إليه ، وهذا بالاضافة الى أن السينما هي أقدر وسائل مخاطبة الجماهير على التقريب بين العناصر المختلفة فى هذا العالم الواسع والتعبير عن الطبيعة الحية لاعتماد أفراد المجتمع على بعضهم البعض ..

ويقول ان السينما التسجيلية من أهم الوسائل الاعلامية التى يمكنها أن تخدم قضايانا الكبرى وفى مقدمتها قضية الصراع العربي الصهيوني ، فهذا الصراع اعتمد على الاعلام منذ نشأته ، ومازال يقوم بدوره النشيط لتحسين صورة اليهودي فى العالم بطريقة غير مباشرة ولكسب عطف العالم والحصول على تأييده ، وقد نجح فى ذلك ووصل الى ذروة النجاح الاعلامي فى العالم أثناء حرب عام ١٩٦٧ ، واعتمد فى ذلك ـ فى المقام

السينما التسجيلية في قطر
خطوات على الطريق

● الحس القومي لا يتكون عند فناني السينما بمجرد أن يولد الإنسان على تراب أرضه!

الأول ـ على أجهزة الاعلام التى كان فى مقدمتها الفيلم التسجيلي !

● هل معنى هذا أننا فى حاجة الى توحيد الجهود وتقديم أفلام تسجيلية على مستوى كبير لخدمة قضايانا القومية ؟ ..

ـ نحن فى حاجة حقيقية الى هذا الاتجاه ، بشرط أن يكون العمل الفني غير مباشر ، وبحيث نقدم للذهن الأوربي والعالمي ما يقنعه وما يجعله مؤمنا بقضايا أمتنا وأهدافها الغالية ، وبحيث نبدأ أولا بدراسة ما قدموه للعالم حتى نتعرف على طبيعة العدو الذى نخوض معه الحرب الاعلامية الشرسة !

الحس القومي

وعندما نسأله عن تصوره عن ميلاد السينما التسجيلية فى قطر والأهداف التى يجب أن تسعى اليها ، فانه يقول : علينا أن نجعل السينما فى قطر ترتبط ارتباطاً مباشرا بالمثقفين سواء فى الأدب المحلي أو الأدب العربي أو العالمي ، وألا تعتمد على الفطرة التجارية لأنها رسالة تعبر عن نبض المجتمع ووجدانه وواقع الحياة والناس فمن أقوى أسباب أزمة الفكر فى السينما المصرية أن هذه الصناعة دخلتها منذ البداية نسبة كبيرة من العناصر الأجنبية أمثال فريتز كرامب والفيزى أرفانيللي وأدمون توجا وغيرهم ، وكان طبيعياً ألا يفهم هؤلاء الحرفيون تراث وظروف المجتمع الذى يعملون من خلاله وأن تفقد السينما المصرية فى نشأتها كل صلة لها بالحياة والناس .. وقد قال أحد النقاد المعروفين ان الحس القومي لا يتكون عند فناني السينما بمجرد أن يولد الانسان على تراب الأرض ولكنه يولد بالتعرف على التاريخ القومي تعرفاً حقيقياً عميقاً ، حتى يستطيع الفنان أن يفهم شخصية بلده ويحس بشخصية الانسان فى بلده ويعرف طبيعة الشعب ونفسيته وتاريخه .. ولذا فان السينما فى قطر تحتاج الى جيل مدرب ، قارىء لتاريخ بلاده ، متحمس لمسيرتها على دروب التطور والنهضة الشاملة ..

حول السينما

ويتطرق الحديث مع اسماعيل خالد الى عدة نقاط حول السينما ، لنصل معه الى عدة حقائق :

● الفيلم الجزائري بدأ عالمياً وهو يتجه الآن ـ للأسف ـ اتجاهاً جماهيرياً يفقده الكثير من السمعة العالمية التى وصل اليها عبر رحلة من العمل والعرق.

● لماذا لا تشارك وزارات إعلام دول الخليج فى انتاج فيلم روائي يخدم القضية الفلسطينية ويشترك فيه كبار النجوم فى العالم ؟ ... إن هذا الفيلم يمكنه ، لو عولج بطريقة فنية ، بعيدة عن المخاطبة المباشرة ، أن يلعب دوراً إعلامياً فعالا فى العالم كله ..

● الانصراف عن انتاج فيلم أخناتون يعتبر نكسة للأفلام العربية النظيفة ، خاصة وأن مخرجه شادى عبد السلام سبق أن أذهل العالم بفيلمه العالمي «المومياء» .. فلماذا نحاول دائماً تعطيل وحجب الأشياء الساطعة فى حياتنا ؟!

● كان جريرسون رائد السينما التسجيلية يقول دائماً ، تاريخ السينما حافل بالأفكار والأدوار التى بدأت طيبة ولكنها فقدت قيمتها واتجاهاتها نتيجة لتفاهة رجال العرض وتدخلهم فى الانتاج .. وهي عبارة تحتاج من كل السينمائيين فى العالم العربي إلى وقفة نتساءل فيها جميعاً عن الطريقة التى تمكننا من تنمية أدوارنا وتطوير فنوننا بصورة تخاطب عقل وضمير العالم كله !

● كانت أول مرة تظهر فيها كلمة الأفلام التسجيلية فى مقال كتبته مجلة « نيويورك صن » فى فبراير عام ١٩٢٦ ، وكانت مقتبسة عن تعبير فرنسى يطلقونه على أفلام الرحلات ، وقيل فى المقال ان الفيلم التسجيلي هو الذى يعالج الأحداث الواقعية الجارية بأسلوب فيه خلق فني .. غير أن هذا التعريف سرعان ما اتسع نطاقه لتصبح رسالة الفيلم التسجيلي أكبر وأوسع مجالا ..

● ● ●

وهكذا نرى أن الحديث مع اسماعيل خالد يمتد الى أكثر من موضوع .. بداية من التجربة الجديدة التى تعاصرها مدينة الدوحة .. الى رسالة السينما فى عالمنا العربي وأهمية دورها فى إبراز قضايانا ..

دولة قطر
وزارة الإعلام
إدارة الثقافة والفنون

إعلان

٧

أصوات فى القصة القطرية الحديثة
« من أجل اكتشاف المواهب الابداعية ورعايتها »

تعلن ادارة الثقافة والفنون ـ عن تنظيم مسابقة فى كتابة القصة القصيرة :

شروط الاشتراك :

١ ـ الاشتراك مفتوح للقطريين من الجنسين .
٢ ـ للمشترك حرية اختيار الموضوع الأدبي
٣ ـ يحق لكل متسابق الاشتراك بقصة واحدة لا تتجاوز عشر صفحات فلوسكاب .
٤ ـ ألا تكون القصة قد سبق نشرها بأية وسيلة أخرى .
٥ ـ تقدم القصة على ثلاث نسخ مطبوعة على الآلة الكاتبة أو مكتوبة بخط واضح ـ مع الانتباه الى ضرورة عدم كتابة اسم المشترك أو عنوانه على أية نسخة من النسخ المقدمة .
٦ ـ ترفق مع كل قصة ـ ورقة موضحاً بها اسم المتسابق وعنوانه كاملين ـ ثم توضع فى ظرف مغلق وترسل بالبريد المسجل ـ ويراعى أن يكتب على الظرف العنوان الآتي :

ادارة الثقافة والفنون ـ مسابقة القصة القصيرة
ص . ب ٣٣٣٢
الدوحة ـ قطر

٧ ـ تبدأ المسابقة اعتباراً من تاريخ نشر هذا الاعلان ـ وتنتهي بتاريخ ١٩٨١/١٢/٣١م .
٨ ـ سوف تشكل لجنة تحكيم من كبار الكتاب والنقاد فى الوطن العربي تتولى عملية التحكيم فى المسابقة وإعلان أسماء الفائزين .
٩ ـ الادارة غير مسئولة عن إرجاع القصص الى أصحابها سواء فازت أو لم تفز .
١٠ـ ستقوم الادارة باصدار القصص الفائزة بالمراكز السبعة الأولى فى كتاب بعنوان (٧ أصوات فى القصة القطرية الحديثة) .

الجوائز :

سوف تمنح القصص الفائزة بالمراكز السبعة الأولى الجوائز الآتية :

١ ـ الجائزة الأولى : ٦٠٠٠ ريال
٢ ـ الجائزة الثانية ٤٥٠٠ ريال
٣ ـ الجائزة الثالثة : ٣٥٠٠ ريال
٤ ـ الجائزة الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة : ٢٥٠٠ ريال .

مع تحيات
إدارة الثقافة والفنون
وزارة الإعلام

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة المالية والبترول / ادارة شئون الموظفيـــــن / الدوحة/قطر ص.ب ٣٦

إعـــلان

تعلن ادارة شئون الموظفين بوزارة المالية والبترول بدولة قطر عن حاجتها لشغل الوظائف التالية للعمل بالمجلس الأعلى لرعاية الشباب ووزارة الشؤون الاجتماعية ووزارة الزراعة والصناعة .

أولا : المجلس الأعلى :

اسم الوظيفة والراتب	الشروط الواجب توافرها فى المرشح
١) مشرف فنى (لبيوت الشباب) الراتب الأساسى من ٣٧٥٠ الى ٤٥٠٠ ريال قطرى .	مؤهل جامعى مع خبرة لا تقل عن ١٠ سنوات فى مجال العمل .
٢) مشرف فنى : الراتب الأساسى من ٣٧٥٠ الى ٤٥٠٠ ريال قطرى .	بكالوريوس تربية اجتماعية مع خبرة لا تقل عن ١٠ سنوات فى مجال العمل بالهيئات الشبابية والخدمة العامة .
٣) مشرف تربية فنية : الراتب الأساسى من ٣٧٥٠ الى ٤٥٠٠ ريال قطرى .	بكالوريوس تربية فنية مع خبرة لا تقل عن ١٠ سنوات فى مجال العمل .
٤) مشرف مسرحى : الراتب الأساسى من ٣٧٥٠ الى ٤٥٠٠ ريال قطرى .	بكالوريوس المعهد العالى للفنون المسرحية أو التمثيل مع خبرة لا تقل عن ١٠ سنوات فى مجال العمل .
٥) مشرف موسيقى : الراتب الأساسى من ٣٧٥٠ الى ٤٥٠٠ ريال قطرى .	بكالوريوس المعهد العالى للموسيقى مع خبرة لا تقل عن ٨ سنوات فى مجال العمل .
٦) مشرف فنى : الراتب الأساسى من ٣٧٥٠ الى ٤٥٠٠ ريال قطرى .	مؤهل جامعى مع خبرة فى مجال الاشراف الفنى بالمنشآت الرياضية لا تقل عن ١٠ سنوات .
٧) مصور سينمائى : الراتب الأساسى من ٣٧٥٠ الى ٤٥٠٠ ريال قطرى .	مؤهل جامعى مع خبرة لا تقل عن ٨ سنوات فى مجال العمل .
٨) محرر صحفى : الراتب الأساسى من ٣٢٥٠ الى ٣٦٥٠ ريالا قطرياً	مؤهل جامعى مع خبرة لا تقل عن ٥ سنوات فى مجال العمل .
٩) مصور فتوغرافى : الراتب الأساسى من ٣٢٥٠ الى ٣٦٥٠ ريالا قطرياً.	مؤهل متوسط مع خبرة فى مجال العمل لا تقل عن ٨ سنوات .
١٠) محمض أفلام : الراتب الأساسى من ٢٨٥٠ الى ٣٢٥٠ ريالا قطرياً	مؤهل متوسط مع خبرة فى مجال العمل لا تقل عن ٥ سنوات .
١١) أمين مكتبة فنية : الراتب الأساسى من ٣٢٥٠ الى ٣٦٥٠ ريالا قطرياً.	ليسانس آداب قسم مكتبات مع خبرة فى مجال العمل لا تقل عن ٥ سنوات .
١٢) مترجم : الراتب الأساسى من ٣٧٥٠ الى ٤٥٠٠ ريال قطرى .	ليسانس آداب قسم لغة انجليزية مع خبرة فى مجال العمل لا تقل عن ٨ سنوات .
١٣) محاسب ميزانية : الراتب الأساسى من ٣٧٥٠ الى ٤٥٠٠ ريال قطرى .	بكالوريوس تجارة شعبة محاسبة مع خبرة فى مجال العمل لا تقل عن ٨ سنوات .
١٤) محاسب : الراتب الأساسى من ٣٧٥٠ الى ٤٥٠٠ ريال قطرى .	بكالوريوس تجارة شعبة محاسبة مع خبرة فى مجال العمل لا تقل عن ٥ سنوات .
١٥) احصائى : الراتب الأساسى من ٣٧٥٠ الى ٤٥٠٠ ريال قطرى .	بكالوريوس تجارة قسم احصاء مع خبرة فى مجال العمل لا تقل عن ٨ سنوات .
١٦) باحث فنى : الراتب الأساسى من ٣٧٥٠ الى ٤٥٠٠ ريال قطرى .	مؤهل جامعى مع خبرة فى اعداد البحوث الخاصة بالأنشطة الشبابية والرياضية لا تقل عن ١٠ سنوات .

ثانياً : وزارة العمل والشؤون الاجتماعية :

اسم الوظيفة والراتب	الشروط الواجب توافرها فى المرشح
١ ــ مدير عدد (٢) ومديرة عدد (٢) لمراكز اجتماعية : الراتب الشهرى من ٣٧٥٠ ــ ٤٥٠٠ ريال قطرى .	جامعى خريج اجتماع أو علم نفس على أن يكون قطرى الجنسية .

٢ ـ مرشد اجتماعى عدد (٢) ومرشدة اجتماعية عدد (٦) : الراتب الشهرى من ٣٧٥٠ ـ ٤٥٠٠ ريال قطرى .	جامعى خريج اجتماع أو علم نفس مع خبرة لا تقل عن (١٠) سنوات فى مجال العمل .
٣ ـ باحث اجتماعى عدد (٨) : الراتب الشهرى من ٣٧٥٠ ـ ٤٥٠٠ ريال قطرى .	جامعى خريج اجتماع أو علم نفس مع خبرة لا تقل عن ١٠ سنوات فى مجال العمل .
٤ ـ وكيلة مديرة المركز الاجتماعى : الراتب الشهرى من ٣٧٥٠ ـ ٤٥٠٠ ريال قطرى .	جامعية خريجة اجتماع أو خدمة اجتماعية على أن تكون قطرية الجنسية .
٥ ـ مدربات فى فن التفصيل والخياطة وأشغال الابرة عدد (٣) : الراتب الشهرى من ٢٨٥٠ ـ ٣٢٥٠ ريالا قطرياً	بدبلوم أحد المعاهد المعترف بها مع خبرة لا تقل عن ٦ سنوات فى مجال العمل .

ثالثا : وزارة الصناعة والزراعة :

الوظيفة والراتب الأساسى	المؤهل والخبرة
اخصائى تراخيص صناعية : من ٤٥٠٠ ـ ٥٢٥٠ ريالا قطرياً .	بكالوريوس هندسة تخصص انتاج أو هندسة صناعية مع خبرة لا تقل عن ٧ سنوات فى مجال التراخيص الصناعية وتقييم المشروعات
أخصائى رقابة صناعية : من ٤٥٠٠ ـ ٥٢٥٠ ريالا قطرياً .	بكالوريوس هندسة مع خبرة لا تقل عن ٧ سنوات فى مجال الرقابة الصناعية .
باحث اقتصادى صناعى : من ٣٧٥٠ ـ ٤٥٠٠ ريال قطرى .	بكالوريوس اقتصاد مع خبرة لا تقل عن ٧ سنوات فى مجال تقييم المشروعات الصناعية .
باحث أخصائى صناعى : من ٣٧٥٠ ـ ٤٥٠٠ ريال قطرى .	بكالوريوس احصاء مع خبرة لا تقل عن ٥ سنوات فى مجال العمل الاحصائى وتنظيم المعلومات الصناعية .
مهندس وقاية صناعية : من : ٣٧٥٠ ـ ٤٥٠٠ ريال قطرى .	بكالوريوس هندسة انتاج مع خبرة لا تقل عن ٥ سنوات فى مجال أعمال الوقاية الصناعية والسلامة المهنية .
مهندس زراعى : من ٣٧٥٠ ـ ٤٥٠٠ ريال قطرى .	بكالوريوس زراعة تخصص بساتين (فاكهة) مع خبرة لا تقل عن ١٠ سنوات فى مجال التخصص .
أخصائى مكافحة الحشرات الزراعية : من ٥٥٠٠ ـ ٦٢٥٠ ريالا قطرياً .	دكتوراه زراعة تخصص وقاية نباتات مع خبرة ميدانية حقلية لا تقل عن ٥ سنوات بعد الدكتوراه .
خبير زراعة غابات مناطق صحراوية : من ٥٥٠٠ ـ ٦٢٥٠ ريالا قطرياً	دكتوراه فى زراعة الغابات مع خبرة لا تقل عن ٥ سنوات بعد الدكتوراه فى العمل الحقلى ويفضل من لديه خبرة فى مجال المراعى أو دورات فى هذا المجال .
أخصائى تربية أغنام : من ٣٧٥٠ ـ ٤٥٠٠ ريال قطرى .	بكالوريوس فى الانتاج الحيوانى أو ما يعادلها من جامعة معترف بها مع خبرة لا تقل عن ٥ سنوات فى مجال تربية الأغنام ورعايتها ويفضل من لديه اختصاص فى تربية الأغنام .
مساعد خبير محاصيل حقلية : من ٣٧٥٠ ـ ٤٥٠٠ ريال قطرى .	بكالوريوس زراعة تخصص محاصيل حقلية بالاضافة الى ماجستير فى نفس التخصص مع خبرة لا تقل عن ٨ سنوات وله خبرة ودراية بأعمال تصميم وتحليل التجارب وأن يكون له أبحاث علمية منشورة .

تقدم الطلبات باسم السيد / مدير ادارة شئون الموظفين بوزارة المالية والبترول (قسم التعيينات ـ وحدة الاعلانات) ص.ب ٣٦ الدوحة / قطر وذلك خلال ٣٠ يوماً من تاريخ نشر هذا الاعلان على أن يتضمن الطلب جميع البيانات الخاصة بالطالب كالسن / الحالة الاجتماعية / المؤهل / العمل الحالى والسابق / التفاصيل الكاملة عن جواز السفر وصور عن المؤهلات العلمية والخبرة العملية معتمدة من السلطات المختصة غير قابلة للرد لصاحبها .

ملاحظة : ـ

يكتب على الظرف الخارجى (طلب وظيفة) .

لا يلتفت الى الطلبات غير المعتمدة وكذلك الطلبات غير المستوفاة .

● دراسة تاريخية ●

وعد بلفور بعد ٦٤ سنة

عندما قالت إنجلترا لزعيم اليهود:

"إنه صبي يا دكتور وايزمان"

بقلم: عصام شريح

يمثل وعد بلفور فى التاريخ العربى الحديث ، أكبر طعنة غادرة تلقتها الأمة العربية ، ممن كانت تظن أنهم حلفاؤها، ويؤمنون حقاً بحق تقرير المصير للأمم والشعوب ، ويلتزمون بالوعود التى قطعوها على أنفسهم أكثر من مرة ، وفى أكثر من بيان أو وثيقة واحدة .

فبموجب هذا الوعد المشؤوم ، منحت دولة استعمارية هى بريطانيا ، أرضاً لا تملكها هى فلسطين ، الى جماعة لا حق لها فيها هى الصهاينة ، وذلك على حساب من يملكها إرثاً عن آبائه وأجداده منذ ألوف السنين ، ويملك حقاً مطلقاً فيها ، هو الشعب العربى الفلسطينى ، مما أسفر عن اغتصاب جزء من الوطن العربى ، هو بمثابة القلب من الجسم ، وتشريد شعب بكامله من أرضه ، فى سابقة لم يحدث لها مثيل فى التاريخ الانسانى . وقد علق الزعيم العربى الراحل جمال عبد الناصر ، على وعد بلفور ساخراً ، فقال : «لقد أعطى من لا يملك وعداً لمن لا يستحق ، ثم استطاع الاثنان : من لا يملك ومن لا يستحق ـ بالقوة والخديعة ـ أن يسلبا صاحب الحق الشرعى فيما يملك وفيما يستحق» .

الوعد المشؤوم

كان ذلك فى ٢ تشرين الثانى (نوفمبر) من عام ١٩١٧ ، والوزارة البريطانية برئاسة «لويد جورج» تعقد جلسة حاسمة فى تلك اللحظات الحرجة وكان الدكتور حاييم وايزمن الناطق الرسمى باسم الحركة الصهيونية العالمية ، حاضراً تلك الجلسة ، وبعد مناقشة لم تستغرق طويلا ، اقترب المستر سايكس من الدكتور وايزمن ، وقدم له الوثيقة ـ وعد بلفور ـ قائلا : «إنه صبى يا دكتور وايزمن» .

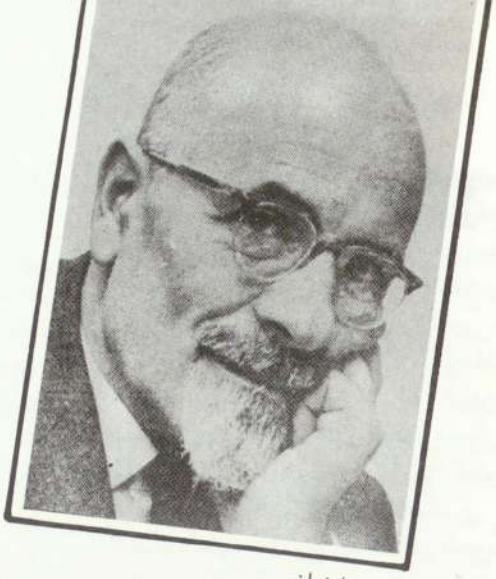
ومع أن وايزمن لم يحب «الصبى» كثيراً أول الأمر ، لأنه لم يكن «الصبى» الذى كان ينتظره ، فانه مع ذلك اعتبره حدثاً عظيماً ، فقام من مقعده ، وغادر قاعة الجلسة ، واتصل بزوجته مهنئاً إياها «بالمولود الصهيونى» ، ثم جرى بسرعة للاجتماع «باحاد هاعام» أحد أقطاب الحركة الصهيونية ، حيث زف اليه البشرى «بوعد بلفور» ، الذى أصبح فيما بعد حجر الأساس الذى بني عليه الكيان الصهيونى على أرض فلسطين المغتصبة . لكن .. ما هو «وعد بلفور» هذا ؟؟



لويد جورج



بلفور



حاييم وايزمان

Foreign Office
November 2nd, 1917.

Dear Lord Rothchild,

I have much pleasure in conveying to you, on behalf of his Majesty's Government the following declaration of sympathy with Jewish Zionist aspirations which has been submitted to, and approved by the Cabinet.

His Majesty's Government view with favour the establishment in Palestine of a national home for the Jewish people, and will use their best endeavours to facilitate the achievement of this object. it being clearly understood that nothing shall be done which may prejudice the civil and religious rights of existing non-Jewish communities in Palestine, or the rights and political status enjoyed by Jews in any other country.

I should be grateful-if you would bring this declaration to the knowledge of the Zionist Federation.

(Facsimile reproduction of)
(the Balfour Declaration)

نص الخطاب الذى أرسله بلفور إلى اللورد روتشيلد

● وثيقة ● الصيحة الأولى

نداء الى العالم عامة وابناء العرب خاصة

«مفتى فلسطين »
منشور وزع فى دمشق فى عام ١٩١٨

الصيحة الأولى التى وزعت فى منشور عام ١٩١٨

لقد صدر الوعد المشؤوم بموافقة بريطانيا ، على اقامة «وطن قومى لليهود» فى فلسطين العربية ، باعتبارها الدولة المنتدبة عليها ، وقد جاء النص فى صيغة كتاب موجه من وزير خارجية بريطانيا اللورد آرثر بلفور الى البارون روتشيلد ، أحد زعماء الصهيونية ، وهذا هو نص الكتاب :

«يسرنى جداً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالته ، التصريح الآتى ، الذى ينطوى على العطف على أمانى اليهود القومية ، وقد عرض على الوزارة ، وأقرته :

«إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين ، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، على أن يفهم جلياً ، أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يغير الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن فى فلسطين ، ولا الحقوق أو الوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلدان الأخرى» .

أسباب الوعد

وتعود قصة وعد بلفور المشؤوم الى الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ حيث أثارت الروح الاستعمارية التى سيطرت على الدول الأوروبية فىأواخر القرن الماضى ومطلع القرن الحالى ، بالاضافة الى خوض الامبراطورية العثمانية لغمار الحرب الى جانب المانيا

وعد بلفور بعد ٦٤ سنة

ضد الحلفاء (بريطانيا وفرنسا ثم الولايات المتحدة ...) ثارت آمالا لدى اليهود باغتصاب فلسطين العربية ، وجعلها منطلقاً لتحقيق الفكرة الصهيونية الأساسية القائلة بان اسرائيل الكبرى ، إنما تمتد من الفرات الى النيل .

وعندما صحت النية على زحف الجيوش البريطانية على فلسطين وبلاد الشام فى شباط (فبراير) ١٩١٧ ، فتح باب المفاوضات الرسمية بين زعماء الحركة الصهيونية والحكومة البريطانية ، وتلتها مفاوضات أخرى مع فرنسا وايطاليا ، فتمت الموافقة رسمياً على المشروع الصهيونى فى كل من باريس وروما ، كما فى لندن ، وأرجىء نشر هذه الموافقة حتى وقت لاحق . وعندما لاح فى الأفق ، أن انتصار الجنرال اللنبى فى حملته على فلسطين ضد الجيوش العثمانية ، قد أصبح أمراً محققاً ، عمدت الحكومة البريطانية برئاسة لويد جورج ، الى نشر وعد بلفور فى الثانى من تشرين الثانى (نوفمبر) من عام ١٩١٧ ، وقد اقترن المشروع بموافقة الرئيس الأميركى ولسن قبل نشره ، كما أيدته كل من فرنسا وايطاليا فى العام التالى (١٩١٨) .

وفى محاولة لتبرير جريمة وعد بلفور قال رئيس الحكومة البريطانية آنذاك لويد جورج ، ان الأسباب التى أدت الى اصدار هذا الوعد ، إنما تعود «الى الأحوال الصعبة التى اجتازها الحلفاء، وانهزام الجيشين الروسى والايطالى أمام الألمان ، وتفكك الجيش الفرنسى ونشاط الغواصات الألمانية الهائل ، وتأخر وصول الفرق الأميركية الى الخنادق الأوروبية ، وموجة العطف القوية على «أمانى اليهود القومية» فى كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأميركية بصورة خاصة .. إن كل ذلك أدى الى الاعتقاد بأن كسب عطف اليهود أو مناوأتهم ، قد يكون له أثره الفعال فى توجيه كفة الميزان نحو قضية الحلفاء أو ضدهم ، كما أن عطف اليهود من شأنه أن يضمن على الأخص معاضدة يهود الولايات المتحدة الأميركية للحلفاء» .

وتابع لويد جورج تبريره لاصدار وعد أو تصريح بلفور المشؤوم ، فقال موجهاً كلامه الى الزعماء الطليان : «إن زعماء الصهيونيين قطعوا لنا وعداً أكيداً مآله أنه فى حال أخذ الحلفاء على عاتقهم تسهيل إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ، فانهم أى الزعماء الصهيونيين ، سيفعلون كل ما بوسعهم لايقاظ عاطفة اليهود فى أنحاء العالم ، وتاليبهم لمعاضدة قضية الحلفاء ، وقد برؤا بوعدهم هذا» !!

فى الواقع هناك ظلال من الحقيقة فى هذه التبريرات التى قدمها لويد جورج ، لكنها لا تفصح عن الدوافع الحقيقية الكامنة وراء إصدار الحكومة البريطانية لوعد بلفور الفريد من نوعه فى التاريخ الانسانى . كما أن اليهود الصهيونيين أنفسهم حاولوا طمس الأسباب الحقيقية لاصدار الوعد المشؤوم ، بالادعاء انه كان (أى الوعد) مكافأة للدكتور حاييم وايزمن على اختراعه نوعاً جديداً من المتفجرات آنذاك ، ثم القول انه جاء نتيجة لاستغلال اليهود لنفوذهم المالى والسياسى ليجروا الولايات المتحدة الى الحرب فى جانب الحلفاء وضد دول المحور ، فكان الوعد مكافأة لهم على الخدمات الفعلية التى قدموها ، وأخيراً لا آخراً القول بان وعد بلفور صدر لقاء وعود بتقديم إعانات مالية كبيرة دفعتها المصادر اليهودية لشراء سندات ديون الحرب . لكن هذه الادعاءات والأقوال لم تخرج عن كونها مزاعم تستهدف حجب الاجابة الصحيحة فى جانب الأساطير والدعايات .

والحق ان الحكومة البريطانية (حكومة لويد جورج) إنما دفعت الى إصدار وعد بلفور بعاملين : أولهما سياسى ، وهو أن تكسب العناصر الصهيونية القوية فى ألمانيا والنمسا ـ وهو ما ورد على لسان لويد جورج فيما تقدم ـ وكانت تلك العناصر تفاوض دول المحور فعلا ، لكى تصدر تركيا وعداً ـ شبيهاً بوعد بلفور ـ فأرادت بريطانيا أن تصرف العناصر الصهيونية تلك عن دول المحور ، وتضمها الى جانب الحلفاء ، وتخفف فى نفس الوقت من عداء اليهود القاطنين فى بلاد الحلفاء نحو روسية ، وتحفز أولئك اليهود الذين كانوا ضالعين فى قلب النظام القيصرى ، ليعملوا على استمرار روسية فى الحرب وثانيهما دافع استعمارى ، كان يرى فى اتخاذ فلسطين أو جزء منها درعاً تحمى مركز البريطانيين فى مصر ، وحلقة وصل برية تربطها بالشرق .

ويقول «جورج أنطونيوس» فى كتابه «يقظة العرب» إن هذا الدافع كان أقوى العوامل ، ومهما يكن دور العوامل الأخرى ، مالية كانت أو سياسية أو دينية أو انسانية ، فان ذلك العامل الاستعمارى كان وحده كافياً ، دون ريب ، لاصدار وعد بلفور . ولاشك فى أن وقوع فلسطين قريباً من قناة السويس ، قد عزز المطامع البريطانية فى فلسطين من أجل تحويلها الى حاجز (بشرى) منيع ، يحول دون المطامع الفرنسية فى بلاد الشام ، والتى كانت تطالب بجعل فلسطين اضافة لسوريا ولبنان خاضعة للانتداب الفرنسى ، اضافة الى كون هذا الحاجز البشرى سيشكل فى حال قيامه أداة مثالية لضرب حركة النهوض العربى ، أو أى مسعى بين عرب المشرق وعرب المغرب للتحرر وتحقيق وحدة عربية شاملة .

وهكذا .. فان لويد جورج عمل على أن يكون الحاجز الذى يحمى قناة السويس من أى هجوم يأتى من الشرق عبر فلسطين ، ويحول دون قيام وحدة عربية فى المستقبل ، عمل على أن يكون هذا الحاجز بريطانى التبعية إن أمكن ذلك ، ومن ثم صدر وعد بلفور ، فمهد السبيل أمام بريطانيا لتقول من بعد عند إحراز الحلفاء النصر كاملا على دول المحور ، إنها قد منحت الصهيونيين تعهداً جدياً فيما يتعلق «بوطن قومى» فى فلسطين ، وأنها من أجل تحقيق ذلك التعهد ، ترى من الأنسب أن تأخذ على عاتقها عبء حكم فلسطين .

ويؤيد «ابراهام ليون» فى كتابه

«تاريخ اليهود» ، كون العامل الاستعمارى لدى بريطانيا هو العامل الطاغى الذى فرض صدور وعد بلفور ، فيقول : «كانت الاتفاقات زمن الحرب (الأولى) تتغير بسرعة ، وكانت التعديلات ترافق كل حدث حربى ، والوعود لم تكن سوى حركات فى اللعبة الدبلوماسية ، فكل دولة كانت منهمكة بمناورات معقدة من وراء ظهر الأخرى ، فى محاولة لضمان مصالحها السياسية والاقتصادية ، ووسط هذه المؤامرات والمفاوضات أعلنت بريطانيا تأييدها للصهيونية ، وتحول الحلم الصهيونى فجأة الى حقيقة واقعة» .

وأضاف ليون قائلا : «إن بريطانيا كانت ستقدم على شطب وعد بلفور لو استدعت مصالحها إعادة النظر فى سياستها» .

وفى الواقع ، فانه الى جانب المصالح السياسية والاقتصادية والعسكرية البريطانية التى أملت اصدار وعد بلفور فان الحكومة البريطانية كانت تنظر الى البعيد ، وتحاول دق الأسافين فى وجه حركة التحرر العربية والوحدة العربية وقد رأت فى انشاء كيان صهيونى فى قلب العالم العربى ـ فلسطين ـ الوسيلة الأكثر فعالية لتحقيق هذه الغاية .

يقول ابراهام ليون : «إن المناداة بفيصل ملكاً على سوريا فى عام ١٩٢٠ (وهو ما بشر بنهوض كبير فى مجال حركة التحرر القومى العربية فى بلاد الشام) ، جعلت وعد بلفور حقيقة» .

ولذلك ، فمن المؤكد أن بريطانيا حين أصدرت وعد بلفور ، كانت قد أخذت فى عين الاعتبار امكانية استخدام الصهيونية فى مواجهة حركة التحرر القومى العربية التى كانت قد بدأت تتبلور بوضوح ، وتتحول الى حركة ذات جذور بين الجماهير العربية فى بلاد الشام والعراق وغيرها .

● ● ●

ونضيف الى ما تقدم ، إن الصحافة البريطانية نسجت فى تعليقاتها ومقالاتها خلال الفترة التى سبقت صدور وعد بلفور ثم خلال الفترة التى أعقبته ، على هذا المنوال بكل وضوح . فتحت عنوان «سياسة بريطانيا فى فلسطين ـ ضرورة عبرية بريطانية» ، كتبت صحيفة «صنداى كرونيكل» ما يلى :

«لا يوجد جنس آخر فى العالم كله ، يستطيع أن يقوم بهذه الخدمات لنا غير اليهود أنفسهم .. ولدينا فى الحركة الصهيونية القوة المحركة ، التى ستجعل امتداد الامبراطورية البريطانية الى فلسطين مصدر كبرياء وركن قوة» . كما كتبت صحيفة «إيفننغ ستاندرد» قائلة : «لقد أوضحت المصالح البريطانية منذ وقت طويل ضرورة قيام دولة حاجزة بين مصر وحكومة تركية معادية ، والصهيونية تزودنا بالحل» .

وبعد صدور وعد بلفور ، كتبت صحيفة «غلاسكو هيرالد» قائلة : «ومن وجهة النظر البريطانية ، فالدفاع عن قناة السويس يتم على أفضل وجه باقامة شعب فى فلسطين يكون ملتصقاً بنا ، وإعادة اليهود الى فلسطين تحت الرعاية البريطانية يضمن ذلك» .

أما الزعماء الصهاينة ، فقد دغدغت أحلامهم هذه المطامع البريطانية فى المنطقة العربية ، وهم الذين طرحوا «نفسهم أصلا منذ قيام الحركة الصهيونية فى عام ١٨٩٧ لأن يكونوا جزءاً من السور الذى يحمى الحضارة الأوروبية من أخطار «الهمجية والبربرية» المتدفقة من آسيا ، ولذلك نرى نورمان بنثويتش يقول ـ وهو أحد الزعماء البارزين فى الحركة الصهيونية ـ أن حاييم وايزمن قد ربط عجلة الصهيونية بنجم بريطانيا ، معتقداً أن عملية بناء فلسطين يجب أن تكون شركة بين بريطانيا واليهود ، وقد شرح زعيم صهيوني آخر هو «ماكس نوردو» مدلول ربط عجلة الصهيونية بنجم بريطانيا فى عام ١٩١٩ ، وبحضور كبار الزعماء البريطانيين بمن فيهم لويد جورج وآرثر جيمس بلفور ، فقال مخاطباً أولئك الزعماء البريطانيين : «نعرف أيها السادة ما تتوقعونه منا .. تريدون أن نكون حراس قناة السويس ، أن تكون حراس طريقكم إلى الهند عبر الشرق الأدنى ... نحن على استعداد لأن نقوم بهذه الخدمة العسكرية ، ولكن من الضروري تمكيننا من أن نصبح قوة و حتى نقدر على القيام بهذه المهمة» .

وعصبة الأمم !!

ومن سخريات القدر فعلا أن جميع القوى الاستعمارية والشريرة قد تكالبت على الشعب الفلسطيني ، وعملت على إنزال كارثة تهجيره من أرضه ووطنه بالقوة الغاشمة ، من أجل إنشاء دولة يهودية تكون الذراع الضاربة فى المنطقة العربية لمصلحة الاستعمار الغربي . وكان بين هذه القوى ، عصبة الأمم ، التى كان مفترضاً فيها أن تكون



داخل الأرض المحتلة

وعد بلفور بعد ٦٤ سنة

صوت العدل والحق الذى يلجم الأطماع والنزوع الى ارتكاب الشرور من قبل الدول الأعضاء ، ولكن تلك العصبة ، لم تكن فى واقع الحال ، سوى عصابة من الدول الاستعمارية التى ربحت الحرب العالمية الأولى وأرادت اغتصاب العالم وثرواته لمصلحتها ولحسابها فقط .

ففى ٦ تموز (يوليو) ١٩٢١ ، أصدرت عصبة الأمم ، صك انتداب بريطانيا على فلسطين ، وقد صدق على هذا الصك فى ٢٤ تموز (يوليو) من العام التالي (١٩٢٢) ، ووضع موضع التنفيذ فى ٢٩ أيلول (سبتمبر) ١٩٢٣ ، وقد جاء فى مقدمة الصك : « ... إن دول الحلفاء الكبرى ، قد أقرت ملجاء فى تصريح بلفور وزير خارجية صاحب الجلالة ، واعتبرت نفسها مسؤولة عن تنفيذ مضمونه لمصلحة انشاء وطن قومي لليهود فى فلسطين ، ولما كان قد اعترف بتلك الصلة التاريخية التى تربط الشعب اليهودى بفلسطين ، وبالأسباب التى تبعث على إعادة إنشاء وطنهم القومي فى تلك البلاد ، ولما كانت دول الحلفاء ، قد اختارت صاحب الجلالة البريطانية ليكون مندوباً على فلسطين ، لذلك فان مجلس عصبة الأمم ، بعد تأييده الانتداب المذكور ، يحدد شروط نصوصه بما يلي:

● تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن وضع البلاد فى أحوال سياسية وادارية واقتصادية ، تضمن إنشاء الوطن القومي لليهود .

● يعترف بوكالة يهودية ملائمة كهيئة عمومية ، لاسداء المشورة الى ادارة فلسطين ، والتعاون معها فى الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك من الأمور التى قد تؤثر فى إنشاء الوطن القومي اليهودي ، ومصالح السكان اليهود فى فلسطين ، ولتساعد وتشترك فى ترقية البلاد ، على أن يكون ذلك خاضعاً دوماً لمراقبة الادارة .

● على ادارة فلسطين (الانكليزية) ، مع ضمان عدم الحاق الضرر بحقوق ووضع فئات الأهالي الأخرى !!! أن تسهل هجرة اليهود فى أحوال ملائمة ، وأن تشجع بالتعاون مع الوكالة اليهودية المشار إليها ، حشد اليهود فى الأراضي الأميرية (أراضى الدولة) ، والأراضي الموات (غير المستغلة) غير المطلوبة للمقاصد العمومية ، ولابد من الاشارة هنا ، الى أن مواد صك الانتداب على فلسطين العربية ، بلغت ٣٨ بنداً ، وقد اعترفت «لجنة التحقيق» البريطانية التى ارسلت الى فلسطين فى عام ١٩٣٧ ، للتحقيق فى أسباب ثورة عرب فلسطين ضد الانتداب البريطاني واليهود الوافدين على فلسطين من الخارج بقصدالاستيطان فيها ، اعترفت بأن فيليكس فرانكفورتر الصهيوني الأمريكى ، هو الذى وضع صيغة الانتداب بنداً بنداً ، ويتضح من معظم البنود التى أتينا على ذكرها ، أن الصك إنما وضع لأضفاء الصفة القانوية على عملية تهويد فلسطين ، وإكسابه صفة شرعية .

أما النص المتعلق بصيانة وحفظ الحقوق المدنية والدينية للسكان غير اليهود ـ أى للفلسطينيين سكان البلاد الشرعيين والذين كانوا يشكلون ٦/٥ من سكان فلسطين ـ فقد بقيت حبراً على ورق ، وهي فى الأصل انما وضعت للتعمية والتمويه وذر الرماد فى العيون فتعداد اليهود عشية اندلاع الحرب العالمية الأولى ، لم يكن ليزيد فى فلسطين عن ٥٦ ألف نسمة فيما كان عدد العرب فيها ينوف على ٧٠٠ ألف نسمة ، ولعل من المفارقات المضحكة والمبكيةفي أن فى هذه المرحلة من عمر القضية الفلسطينية ، أن أول مندوب سام عين حاكما على فلسطين ، كان أحد الزعماء الصهاينة الانكليز ، وهو هربرت صموئيل .

بريطانيا تخدع العرب

لقد أقدمت الحكومة البريطانية على تقديم وعد بلفور لليهود الصهاينة ، فى الوقت الذى كانت قد قدمت وعداً للشريف حسين ـ شريف مكة ، وقائد الثورة العربية ـ التزمت بموجبه (في عام ١٩١٥) بأن تعترف بدولة عربية فى منطقة لم تستثن منها فلسطين ، وبأن تساند استقلال تلك الدولة .

ولذلك فان صدور وعد بلفور أثار حيرة وفزعاً فى العالم العربي ، أو بعض أجزائه ذات الاتصال المباشر



العائلات النازحة عند بداية الاحتلال



لوحة الغلاف عن وعد بلفور بعد ٦٤ سنة .. اللوحة للفنان حلمي التوني



القدس .. مدينة الأديان وزهرة المدائن

بالحلفاء ، فقد رأى العرب فى « وعد بلفور » البريطاني إنكاراً لحرية العرب السياسية فى فلسطين . وقد حاولت بريطانيا أول الأمر اخفاء نبأ الوعد ، لكن الشريف حسين ، وابنه فيصل عرفا به ، وطلب الشريف حسين تعريفاً لمعنى الوعد المشؤوم ومداه ، وهنا لجأت بريطانيا الى الخداع مرة أخرى ، فأوفدت مبعوثاً من لدنها الى جدة لتهدئة خواطر شريف مكة ، وكان مما قاله المبعوث البريطاني « إن الاستيطان اليهودى فى فلسطين لن يكون مسموحاً به إلا بقدر ما يتفق ذلك مع حرية السكان العرب من الناحيتين الاقتصادية والسياسية» ، وبالطبع فان هذا التأكيد كان مجرد خداع وكذب مكشوف ، ليس لأنه لم يطبق كما حدث فيما بعد فحسب ، بل ولأنه يخالف أساساً نص وعد بلفور الذى لا يضمن للسكان العرب سوى « الحقوق المدنية والدينية » فقط ، ومن المؤسف فعلا أن الشريف حسين انطلت عليه هذه الخدعة ، بل أنه صدق ما قدم اليه من تفسير تماماً ، مما دفعه لأن يتعهد للمندوب البريطاني أن يبذل كل نفوذه لكي يساعد على تحقيق ملجأ من الاضطهاد المزعوم لليهود فى فلسطين وسيوافق على كل تدبير مناسب لتأمين وضع الأماكن المقدسة والاشراف عليها من قبل اتباع كل دين من الديانات التى لها معابد مقدسة فى فلسطين !! ، وأكثر من ذلك فانه أرسل الى قادة الثورة العربية فى بلاد الشام وفى مصر ، يبلغهم أنه تلقى تأكيدات من الحكومة البريطانية بأن توطين اليهود فى فلسطين لن يتعارض مع استقلال العرب فيها !! ويحثهم فى نفس الوقت على الاستمرار فى تصديق الوعود التى قطعتها بريطانيا على نفسها للعرب حول نيل الحرية وقيام دولة عربية مستقلة .

لكن الخداع لا يمكن أن يمتد طويلا ، فقد نسفت ثقة العرب بالتفسيرات البريطانية لوعد بلفور المشؤوم ، حين نشرت الحكومة السوفييتية الجديدة ـ بعد الاطاحة بالقيصر فى روسيا ـ نص اتفاقية سايكس ـ بيكو السرية ، التى اتفقت بموجبها كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا على تقاسم ممتلكات الامبراطورية العثمانية فيما بينها . ويقول المؤرخ البريطاني دزموند ستيوارت : « إنه بعد نشر تصريح بلفور واتفاقية سايكس ـ بيكو « لم يبق لبريطانيا أصدقاء من العرب بل عملاء فقط » .

ومع بداية الانتداب البريطاني على فلسطين ، شرعت الحكومات البريطانية المتعاقبة فيما بين ١٩١٨ ـ ١٩٤٨ ، فى تطبيق نص وروح وعد بلفور ، وتهويد فلسطين عن طريق استقدام المهاجرين اليهود الى فلسطين من جميع أصقاع الأرض ، حتى إذا جاء ١٤ أيار (مايو) ١٩٤٨ ، انسحبت بريطانيا من فلسطين ، بعد أن تأكدت من قدرة اليهود على إعلان كيانهم الصهيوني على تلك الأرض العربية ، وهذا ما حدث فعلا ، وما يزال يهدد المصير العربي برمتـــه .

عصام شريح

فيم العناء؟

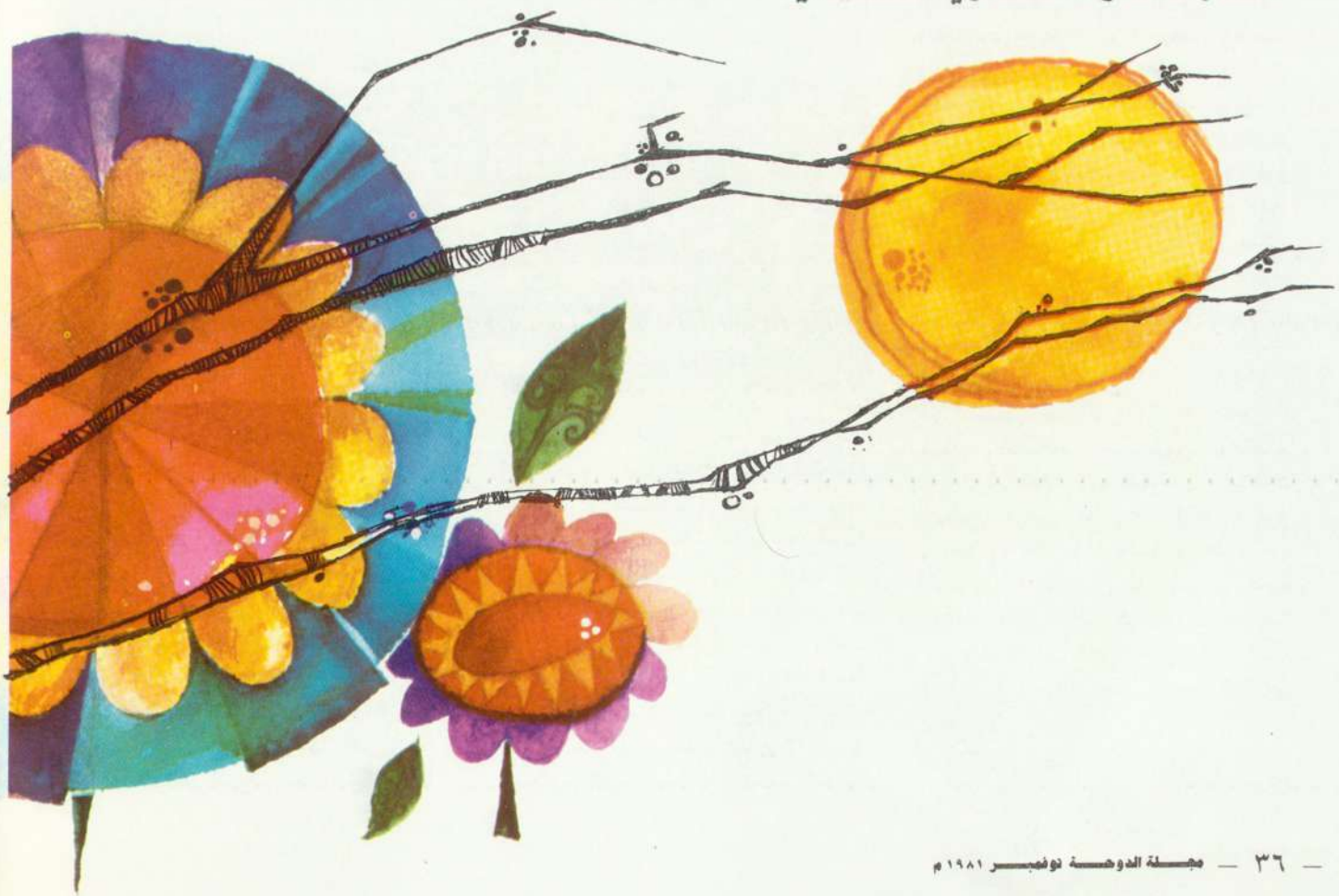


شعر الدكتور: غازي القصيبي

جميعُ المطاراتِ عندى سواءْ
جميعُ الفنادقِ عندى سواءْ
وكلُّ ارتحالٍ قُبَيْل الشروقِ
وبعد المساءِ
سَوَاءْ
وكلُّ الوجوهِ
تطاردُني عند كلِّ وَداعٍ
تلاحقُني عند كلِّ لقاءٍ
سواءْ
ففيمَ العَنَاءْ ؟!

●

أفيقُ مع الفجر
أشربُ شايَ الصباحِ
أسيرُ الى غابةِ الأمسِ واليومِ
حيث تسيل الدماءْ
أصافحُ نفسَ الأيادى المليئةِ
بالعطرِ والمكرِ ... ألمحُ نفسَ الرياءْ
ونفسَ الخداعْ



ونفـــسَ الغبـــاءْ
ففيم العنـــاءْ ؟
ففيـم العنـــاءْ ؟

●

وألهـو بنفـسِ القـــراراتِ
أهـذي بنفـــسِ الخطابـــاتِ
أسمـعُ نفـسَ الغِنـاءْ
أطـــوفُ بنفـــسِ الجمـوعِ
وأبصرُ نفـــسَ الدمـوعِ
وأضحـــك حين يشـاءُ القضـاءْ
وأحـزنُ حين يشـاء القضـاءْ
ففـيم العنـــاءْ ؟
ففيـم العنـــاءْ ؟

●

ولا يعـــرف القفـــر أني
سكبـــتُ دموعـي عليـــهِ

ولا يعـــرف الحـــبُّ أني
ارتميـتُ .. لثَمْـتُ يديـــهِ
ولا يعـــرف الظلـمُ أني
تململـت فى قبضتيـــهِ
ولا يعـرف الناس أني
غضبـــتُ وقد عُـذِّبَ الأبريـــاءْ
وحاربـــتُ حين طغـــى الأدعيـــاءْ

ففيـــم العنـــاءْ ؟
ففيـم العنـــاءْ ؟

●

وحين أغيـبْ
وراء المغيـــبْ
يقولـون كان عنيـــدَا
وكـان يقـــولُ القصيـــدَا
وكان يحـــاول شيئـاً جديـدَا
وراح وخلَّـف هـــذا الوجـــودَا
كمـا كـان قبل غبيـــًّا بليـدَا
ففيـم العنـــاءْ ؟
ففيـم العنـــاءْ ؟





الشيخ الذى يتولى تحفيظ القرآن للأطفال

دارفور

جسر إلى قلب إفريقيا

بقلم:

إبراهيم إسحق إبراهيم

دارفور هو واحد من ستة اقاليم تتمتع بالحكم اللامركزى فى التنظيم الاداري الجديد بالسودان . وهذا الاقليم الذى تبلغ مساحته حوالى ١٥٠ الف ميلا مربعاً يقع بين خطي العرض ١٠ و ١٦ شمالا وخطي الطول ٢٧و٣٠ شرقاً ، وتحده الصحراء الليبية شمالا وجمهورية تشاد غرباً وجمهورية افريقيا الوسطى الى الجنوب الغربي ويجاوره جنوب السودان من الجنوب وكردفان من الجهة الشرقية . المعلم البارز فى طبوغرافيا الاقليم هو خطان من السلاسل الجبلية البركانية الأصل يحتلان القطاع الشمالي والأوسط وأشهرهما جبل مرة وامتداداته الشمالية . تغلب الأراضي الرملية فى كل من الحدود الشرقية والغربية بينما تغطي المنطقة الوسطى أراضي طينية خصبة تتخللها الوديان الموسمية الضخمة .

ممالك فى مجاهل القارة

حينما كانت أوربا منغلقة فى قرونها المظلمة كان وعي المسلمين العرب بشكل الأرض ومراميه وما فيه يتزايد باطراد . فلما وضع العلماء المسلمون فكرة «العالم المعمور» الأغريقية فى حيز التطبيق جاءت مترادفات كتب «المسالك والممالك» و « البلدان » و « أخبار الأمم » و « غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » لتعرف الدارس العربي المتمدين بهيئة الديار التى تجتاحها باستمرار طلائع الفتوحات وينساح فيها العربان والمهاجرون وتأتي منها قوافل التجار بالنفيس . ولعل أول ما ظهر من أخبار الأقليم الذى عرف مؤخراً باسم دارفور فى العربية ما ورد لدى اليعقوبي (ت ٨٩٧م) من أخبار عن وجود مملكة للزغاوة تمتد من شمال دارفور وتبلغ أطراف نهر النيجر غرباً . ولا يزيد المسعودى فى عصره (ت٩٥٦م) شيئاً يذكر على ماقاله اليعقوبي . لكن الشريف الادريسي (ت١١٦٥م) ذكر عاصمتهم ماناں ووصف كثرتهم وحملهم التجارة على إبلهم وصناعتهم ومعايشتهم . وتعتبر اشارة الادريسي الى التاجوين كمملكة تجاور بلاد النوبة غرباً أول بادرة لتمكين فكر علماء التاريخ المحدثين بأن حكم شعب الداجو بدارفور كان معلوماً فى القرن الثاني عشر الميلادي على نطاق المغرب





موقع عين فرح حيث يوجد قصر ضخم قديم وراء الجبل

العربي والمشرق الوسيط . ثم أن المعرفة بالاقليم زادت فى عهد ياقوت الحموي (ت١٢٢٩م) والذى لا يكتفي بضبط اسم وموقع بلاد الزغاوة ومدنهم وعاداتهم بل ويستشهد ببيت لأبي العلاء(ت١٠٥٧م) يقول فيه :

بسبع إماء من زغاوة زوجت
من الروم فى نعماك سبعة أعبد

ولاننا لا نجد أمة لم يسترق منها خلال الحروب والمناوشات الوحشية التى تزحم التاريخ البشري فان وجود الأرقاء الزغاوة السبع فى بلاط الأمير الشامي فى القرن الحادي عشر لا يهم إلا كدليل على انفتاح المعابر الاسلامية واتصالاتها بمجاهل افريقيا فى بواكير تلك الأزمان . فى القرن الثالث عشر يكتب ابن عبد الظاهر (ت١٢٩٢م) عن مملكة فى المغارب لها علاقة ببلاد النوبة وتسمى « أري » . ويرجح علماء التاريخ أن هذه المدينة هى « أوري » التى كانت عاصمة أو محطة تجارية لشعب التنجر المتملكين على شمال دارفور . وبهذا تكتمل صورة الحلقات الأربع التى تتقاسم تاريخ الاقليم . فالزغاوة والداجو تعاصرا فى الحقبة الأولى وعلى الأرجح ما بين القرنين التاسع والرابع عشر الميلادي . وربما قامت هيمنة التنجر على الجزء الشمالي من تلك المناطق فى القرن الحادي عشر . ثم انهم خلفوا على مقعدهم شعب الفور منذ القرن الخامس عشر أو القرن السابع عشر الميلادي .

التجارة مفتاح التعارف

لكن انفتاح دارفور أمام وعي الآخرين بعد القرن الخامس عشر الميلادي لا يقتصر على ادراك العرب لوحدهم . فالتجارة بعيدة المدى كانت قد كشفت عندئذ المنافذ الى داخل القارة الافريقية عبر الصحراء الكبرى وازدحمت طرق القوافل المتقاطعة بالأحمال النادرة المطلوبة فى أوروبا المنتعشة اقتصادياً وصناعياً من دقيق وسن الفيل وريش النعام وقرن الخرتيت والصمغ والجلود والذهب . وهكذا فى هذه الأعصر تنجلى حجب الظلمات عن الأحوال بقلب أفريقيا . بقدر ما أثارت معلومات الادريسي وحسن بن محمد الوزان (ت١٥٤٠م) الشهوة الأوربية لمزيد من التفاصيل عن أعماق القارة الأفريقية فانها فتحت الآفاق لمزيد من جمع المعلومات عن تلك البقاع حتى دون لجوء للمخاطرة بالذهاب اليها . ومن ذلك أن التقويم الجغرافي الذى نشر فى البندقية عام ١٥٨٢م لرجل يدعى لورنزو دانانيا يظهر معلومات جديدة ومثيرة عن دارفور . فالحاكم فى أوري والذى يتمتع بمكانة مثلما للامبراطور ، كان يخضع لأمره

ملوك صغار منهم القائمون على الزغاوة والميما و المساليت والداجو وجماعات أخرى لم يتم التعرف عليها . ويقول ذلك التقويم الجغرافي الايطالي ان حاكم أوري كانت له سطوة وكان حليفاً للاتراك وأن التجار من القاهـرة يمدونه بالسلاح الذى يقايضونه بالذهب . ولما كانت أوري واقعة فى نهاية الطريق التجارى الطويل المعروف تاريخياً بدرب الأربعين والممتد بين مصر ودارفور فالعلماء يرجحون أنها قد كانت وظيفياً خير سلف فى عصر التنجر لخليفتيها الشهيرين فى عهد الفور وهما السوينة و كوبى .

. ثم يؤكد اتساع علم الآخرين بما يصير اليه الحال فى دارفور فى القرن السادس عشر اكتشاف وثيقة تعاقد تجارية من محاكم القاهرة تؤرخ لما بين ١٥٦٣م و١٥٦٩م فحواها أن التجار الجلابـة يستوردون بضائع من « بر السودان وفزارة وغيره » .

الاشارة الى فزارة تلزم رصدنا هذا بتوضيح حول دخول العرب الى دارفور . ويبقى فى غاية الأهمية هذا الربط الجديد بين «بر السودان» والجماعات العربية . فالملاحظ أن الرحالة الفرنسي « بونسيه » فى القرن السابع عشر يشير الى دارفور باسم « مملكة السودان » . والرحالة الانجليزي « براون » فى القرن الثامن عشر يؤكد أن نهاية درب الأربعين تسمى « بر السودان » وهو اسم لا يطلق على موقع مماثل أو مغاير فى كردفان أو سنار . والوثائق السلطانية بدارفور كما يقول علماء التاريخ اعتادت فى القرن الثامن عشر على اطلاق اسم « مملكة العرب والسودان » على دارفور بدلا من الاستعانة بلفظ آخر . والرحالة العربي محمد بن عمر التونسي الذى زار دارفور عام ١٨٠٣م ومكث فيه ثمانية أعوام يكتب كتابه تشحيذ الأذهان فيشير فى عنوانه لدارفور باسم « بلاد العرب والسودان » .

المعتقد الساري هو أن شعب الداجو يرجع فى أصله الى نوبا كردفان . أما التنجر ففيهم ملامح ليبية ولسانهم عربي وفى أوسامهم وعاداتهم آثار من نوبة شمال السودان . ويبدو أن تاريخ الهجرات العربية غربي النيل وانسياحهم فى بلاد السودان ارتبط بعلاقة المماليك المصريـــة بالعربان المجتمعة فى صعيد مصـر . فمنذ عام ١٢٩٠م ساءت العلاقات بينهما وأدى ذلك الى تجريد المماليك لسلسة من الحملات العنيفة ضدهم وممتلكاتهم مما اضطرهم للجلاء جنوباً ومتابعة أخبار المسارح الواقعة فى أرض السود . ويخبرنا ابن عبد الظاهر وابن الفرات (ت١٤٠٥م) والمقريزى (ت١٤٤٥م) بأن الأعوام من ١٣٤٨ والى ١٣٦٥م شهدت المزيد من هذه الاحتكاكات بين عربان الصعيد وغالبيتها يمانية وبين المماليك .. ونعلم أن هذه الاحتكاكات ساقت هؤلاء الاعراب للتخلى عن سكنى الديار المصريـة واللجوء للانسياح بمحاذاة بلاد النوبة غرباً واتباع أودية الساحل الأفريقى الضخمة مثل « وادى الملك » و «وادى المقدم» حتى وصلوا وانتشروا فى المثلث الصحراوى وشبه الصحراوي الواقع بين جبل « العوينات » وجنوباً حتى شمال كردفان ودارفور وبين هضبتي الأندي والتبستي فى شمال تشاد وحدودها مع ليبيـا والنيجر .

وتدل وثيقة قدمها القلقشندى فى صبح الأعشى أن هذه التجمعات اليمانية وغيرها وأظهرها يومئذ جذام كانت من الضخامة والسطوة فى تلك الأصقاع من صحاري تشاد لدرجة أنها عاثت فساداً فى شمال سلطنة البرنو وحتى اضطر الماي عثمان بن ادريس لارسال كتاب فى عام ١٣٩٢م للسلطان المملوكي برقوق يطلب منه فيه كبح جماحهم . وبالرجوع الى الوثائق الشحيحة فى تلك المناطق وهاته التواريخ مطعمة بدلائل من التراث الشفاهي نستطيع التعرف على أسماء أهم تلك التجمعات اليمانية وما دخل فيها من البطون القيسية . فهنالك بعض الهلاليين وبني سليم والاشراف وفزارة وجهينة والأزد وحمير ولخم .



جامع طـره الذى بناه السلطان موسى بن سليمان فى جبل مرة

انتجع هؤلاء العربان مواقع الكلأ وتتبعوا مظان المياه فدخلوا متوغلين فى شمال كردفان ودارفور وتشاد اللاتي أشبهت لهم مناخ البادية العربية فتفرعوا فيها وتشعبت عمائرهم وبطونهم وأضاعوا أسماء كثير من أصولهم وحرفوا بعضها وتمكنوا هنالك . ثم أن التاقلم على البيئة الجديدة فى منطقة السافانا وجنوبها سرعان ما غير مهنة طوائف عدة منهم وحتى غدا أهل الجنوب يسعون بالأبقار فعرفوا باسم «البقارة» . والذين فنيت بهائمهم فى الأمراض والحروب جنحوا للاستقرار فى الحزام الأوسط من كردفان ودارفور وتشاد ومارسوا الزراعة . وخالط الكل أهل السودان من القبائل الأصلية المستوطنة واندرجوا فيهم وكاثروهم وغيروا أنسابهم . وهكذا شهدت الأزمان من القرن الرابع عشر الميلادي وحتى الحاضر استمرار تداخل الأعراق النازلة بتلك المناطق من نوبيين وليبيين وأعراب ومن سواهم واندماجهم المستمر وتشكلهم الدائب اسلاماً واستعراباً حتى لم يعد هناك معنى للثنائية التى كانت فى عبارة « العرب والسودان » .

بلاد أمير المؤمنين

الأصل العربي والدين الاسلامي الصريحان اعلن عنهما فى دارفور فى عهد السلطان سليمان سولونق (١٦٦٠ ـ ١٦٨٠م) . وسولونق فى لغة الفور تعنى العربي أو الأحمر اللون . التراث الشفهي فى دارفور عامة يكاد يجمع على أن والد سليمان هذا ويدعى أحمد المعقور كان اعرابياً من بني هلال . وأن أمه المسماة (خيره) كانت من البيوتات المالكة عند التنجر أو الفور أصحاب الهيمنة يومئذ بتلك المناطق . ويقولون أن لسان غالبية

سكان جبل مرة غير العربي هو الذى حرف الاسم من (خيره) الى (كيرا) وهى صيغة النسبة التى سادت تاريخياً كلما ذكرت هذه العشيرة الفوراوية المالكة . وهذا الاسم والأصل العربي دفعا السلطان سليمان وأخلافه لتشجيع تدفق الأعراب البدو والعرب المهاجرين غير البدو الى بلاده والعمل على نشر الاسلام على طول دارفور وعرضها .

وفى الوقت الذى توطنت فيه الاعراب البدو بشمال دارفور وأخذ بعضهم يتسرب الى الجنوب ويربى الأبقار أو تستقر كانت عملية الأسلمة تسير ببطء فى عصر السلطان سليمان ونسله وسط القبائل الوثنية شمالا وفى الوسط والجنوب . إلا أن سليمان استعان لمعالجة ذلك البطء باستجلاب العلماء وتوسيع نطاق المساجد والخلاوى أو كتاتيب القرآن والعلوم الدينية وعلوم العربيـة .

بين أولى هذه البيوتات التى استجلبها السلطان سليمان وابنه السلطان موسى (١٦٨٠ـ١٦٨٢م) جاءت ثلة متوالية من فقهاء الجوامعة (قبيلة عربية بكردفان) حيث سعوا لنشر الاسلام فى وسط الاقليم من منطقة أراري وأزاقرفا شمال الفاشر الى قمة طرة فى جبل مرة . وفى عهد السلطان أحمد بكر (١٦٨٢ـ١٧٢٢م) بن موسي،كانت التجارة عامرة مع كل الاتجاهات الأربعة . وحينما جاء عهد السلطان تيراب (١٧٥٢ـ١٧٨١م) بن أحمد بكر كان الاسلام واضحاً فى التعريب الذى حدث للمناصب الادارية إذ أصبح هنالك وزير وأمير وقاضى بدلا من القاب الرطانة لهذه المناصب . فى هذا العصر المزدهر كثر استجلاب العلماء الى الاقليم ، فجاء من تونس الفقيه عمر التونسي والد الرحالة المذكور آنفاً . وجاء من فوتا جالون ومن فوتا تورو فى السنغال الفقيه على الفوتاوى والفقيه تمرو وهما من الفلاته وذلك فى عهد أحمد بكر . كذلك شارك الفقيه البرناوى طاهر أبو جاموس فى التعليم الديني خلال عهد السلطان عبد الحميد الرشيد (١٧٨٧ ـ ١٨٠٢م) بن أحمد بكر . كما ظهر فى البلاط السلطاني بالفاشر فى عهد السلطان محمد الفضل (١٨٠٢ـ١٨٣٩م) بن عبد الرحمن الرشيد الفقيه الأزهرى حسين العماري . ويظهر التراث الشفهي بالاقليم أن عصر عبد الرحمن الرشيد كان يمثل إعادة طيبة لحملة الأسلمة وتحسينها التى اجتاحت الدولة فى أيام جده سليمان سولونق . وعاصرت هذه الأنشطة قمة التوسع الذى ضم للسلطنة أجزاء من تشاد ، والجزء الأكبر من كردفان ، وحتى وصلت قوات دارفور الى أم درمان وحاددت نهر النيل .



راية سلاطين دارفور التى ورثها السلطان على دينار

من صلب التكوين الداخلى للسلطنة الفوراوية يجيء لقب سلطان السلاطين أو السلطان الاعظم الممنوح لحاكم دارفور فى خطاباته الرسمية . فالقبائل العربية كانت تحكم بالمشيخات وتدين بالولاء شبه الاسمى للسلطان . أما القبائل المستقرة فقد اختلفت ألقاب حكامها وتعددت مراتب تبعيتها وتشددت قبضة الحكام عليها .. فهنالك ملوك لدى بعض القبائل ، وسلاطين عند آخرين ، و(شراتي) وألقاب غيرها لدى الباقين . هذا الوضع أغرى السلطان الفوراوى بوضع صيغة مناسبة لسطوته على كل هؤلاء الحكام فأطلق عليه كتبته لقب سلطان السلاطين أو السلطان الأعظم . وكانت دارفور مثل سلطنة وداى تعترف بخليفة المسلمين فى الأستانة . ومن هذا الولاء نبعت فكرة الدور الذى يلعبه سلطان الفور كوكيل عن خليفة المسلمين فى أرضه الافريقية . ولهذا تعطيه سجلاته الرسمية لقب أمير المؤمنين(انظر الخطاب في اللوحة)هذا الترادف فى العروبة والاسلام ظل يزداد قوة طوال حكم هذه السلالة بدارفور (١٦٦٠ـ١٨٧٤م) . فلما حلت المهدية عام ١٨٨١م وجدت فى شيوع المذهب المالكي السني بدارفور وانعدام الأثر الصوفي خير سند لها . فالمحاربون والقادة والعارفون من كل قبائل دارفور اشتركوا فى مصائر الدعوة المهدية بهمة ولعبوا دورهم القومي بجدارة . ثم أن الدعوة المهدية اتخذت من دارفور معبراً مناسباً ونشطاً لنقل آرائها الى الغرب فى ديار الهوسا والتكرور .

استوى حظ سلطنتي سنار ودارفور مع حظوظ الديار الاسلامية المعتبرة فى الأهمية الدينية فكان لطلبتهما بالأزهـر الشريف رواقان ، واحد للسناريين والآخر للدارفوريين . وكان هنالك محمل سنوي يقوم به أمير للحج من الفاشر عاصمة الفور ليعبر درب الأربعين يصحبه حجيج الاقليم ومن يلم فيهم من بلاد السودان الغربي حتى يصـل الى القاهـرة . وهنالك ينضم الوفد السوداني للطوف المتزايد من بعثات وحجيج بلاد المغرب العربى فى طريقهم الى الحجاز . بعد ذلك شهد انتعاش موانىء البحر الأحمر فتح الطريق المباشر من بلاد السودان الى سواكن وغيرها فى القرن التاسع عشر . ثم أعقب انهيار الدولة المهدية عودة السلطنة بهيأتها القديمة الى دارفور ممثلة فى السلطان على دينار واستمرارها من عام

١٨٩٩ وحتى عام ١٩١٦ حين تم غزو الاقليم بواسطة قوات الحكم الثنائي وضمه نهائياً للمصير القومى الموحد .

وظائف الكتابة

يبذل العلماء وتلامذتهم المعنيون بالشئون الدارفورية حالياً أقصى جهدهم لاثراء المواد المتوفرة فى المصادر الدراسية عن المنطقة بمزيد من البحث عن المخطوطات والتنقيب الأثرى والجمع الشفهي للتراث . فكتب الرحالة الأجانب وملحوظات الاداريين الانجليز والمصريين التى ورثوها لم تعد تفي بالمطالب العلمية للوعي التاريخي والثقافى بالمنطقة ، وفى السودان عامة . وفى اطار هذا الجهد تعد الآن رسائل جامعية وتجرى أبحاث وتنقيبات قد توسع المدارك قريباً حول الاقليم . ضمن هذه الحركة اشترك كاتب هذا المقال خلال فبراير ١٩٨١ فى رحلة لجمع التراث الاسلامي بدارفور وذلك بجلب مواد لمعرض المخطوطات والجماليات الاسلامية المصاحب لانعقاد المؤتمر العالمي للدعوة الاسلامية بالخرطوم فى مارس ١٩٨١م .

فى نسخة من شرح بهرام الدميري لكتاب المختصر فى الفقه المالكي لخليل ابن اسحق محفوظة بدار الكتب الوطنية بفرنسا ، يوجد تعليق يدل على أن ناسخها المسمى شعيب يوسف كان يعد تلك النسخة استجابة لطلب أحد سلاطين الفور والذى توفى عام ١٦٤٠/٤١م . وقد أظهرت رحلة جمع التراث لعام ١٩٨١ هذى شيوع مخطوطات ملفتة تضم ذخائر من العلوم الدينية وعلوم العربية بدارفور . ففى قرية أزاقرفا شمال الفاشر عاصمة الاقليم وجدت البعثة « تفسير الجلالين » و «توحيد السنوسية» وكتب أخرى الى جانب المصاحف ، وكلها ترجع فى تاريخ نسخها لأكثر من مائة عام . أما عن المصاحف فلا يكاد يخلو بيت بدارفور من مخطوطة قديمة للقرآن مزخرفة ومنمقة .

وفى جبل مرة وجدت « تفسير الجلالين » و « الأجرومية فى الاعراب » و «هدية السامعين فى سيرة سيد المرسلين » و «مختصر الأخضري فى العبادات» و «أرجوزة القرطبي» و « متن الجزرية » وهما فى علوم القرآن . كل هذه نسخت فى القرن التاسع عشر الميلادى ويغلب عليها خط الرقعة .

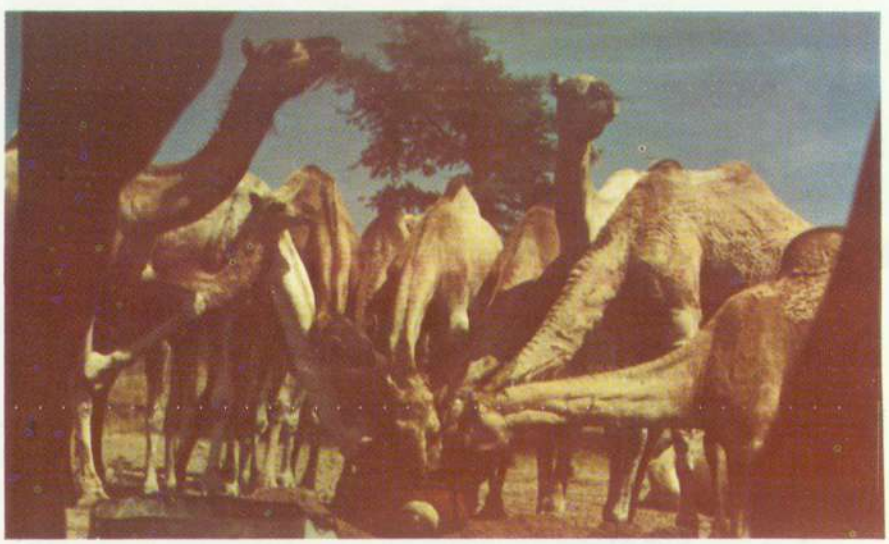
أمافى بلدة «ودعة» جنوب شرق الفاشر فقد وجدت الى جانب المصاحف والراتب للامام محمد أحمد المهدى نسخة من كتاب «تبصرة الحكام فى أصول الأقضية ومناهج الأحكام » للقاضى برهان الدين ابراهيم بن على المعروف بابن فرحون اليعمري المالكي .. وهو كتاب مشهور فى موضوعه شهرة « الأحكام السلطانية » للماوردى ويهدف لارشاد القضاة فى أداء واجبهم ، وقد طبع غير محقق بمصر عام ١٩٣٧ كحاشية لفتاوى الشيخ عليش . وهذه النسخة الفوراوية مؤرخة بعام ١٢٧٤هـ . ومن بلدة كريو ـ كتال جاءت مصاحف برواية ورش وبالخط المغربي ترجع للفترة بين ١٧٥٢ ـ ١٨٠٢م . وفى مدينة الجنينة فى الحدود مع تشاد علمت البعثة بوجود نسخة خطية قديمة من كتاب « بيان وجوب الهجرة على العباد » لعثمان بن فودى وهو كتاب لم ينشر محققاً إلا عام ١٩٧٧م حيث صدر من مطبعة جامعة الخرطوم . وفى الفاشر حصلت البعثة على مصحف برواية ورش وبخط مغربي ومزدان بالشرافات

وقد نسخ منذ حوالي ١١٥ عاماً . ومع هذا المصحف كتاب « شرح النهاية فى بدء الخير وغاية » المعروف بمختصر أبى حمزة فى الأحاديث وهذه النسخة مؤرخة بعام ١١٥٤ هـ . ومعهما أيضاً كتاب «شرح الشاطبية المسمى سراج القارىء المبتدىء وتذكرة المقرىء المنتهى» وهو متن وشرح فى التجويد وقد نسخ منذ عام ١٣٤١ هـ . هذه الحصائل من المخطوطات التى جمعت فى أقل من سبعة أيام فى منطقة لا تزيد على ثلث اقليم دافور وبامكانيات جد ضعيفة تقيم الدليل القوى والوافى على الغزارة العددية والنوعية لكتب القرآن والسنة والعقيدة والعبادات وعلوم العربية وما شاكلها ودورها الأساسى فى تسيير حياة الناس فى تلك النواحى .

لقد بقيت من تقاليد التعليم الدينى غير الرسمى فى دافور حتى الحاضر خلاوى القرآن الكريم العاملة فى كل مرامى المنطقة . والمؤسف أن المساجد التي بناها السلاطين الأوائل باتقان لما يناسب وضعهم الحضاري يومئذ لم تعد تتخذ أغلبها محلا للصلاة الجامعة نسبة لسقوط أسقفها وتهدم بعض جنباتهاوهجران القرى والمساكن لمواقع بعضها وهى خسارة لا تقدر بثمن ...

لكن مساجد جديدة تبنى فى دارفور وحركات الدعوة الدينية لاصلاح العقيدة والشريعة تسير فى الاقليم وعبره فى اتجاه مناطق بكره فى قلب القارة الأفريقية. ولعل خير ما يدل على هذا الدور الذى يلعبه الدارفوريون الآن هو مكانة علمائهم فى تاسيس وانعاش حلقات الدرس وبذور حقول جديدة للاسلام فى تشاد والكاميرون وافريقيا الوسطى

ابراهيم اسحق ابراهيم ـ الخرطوم



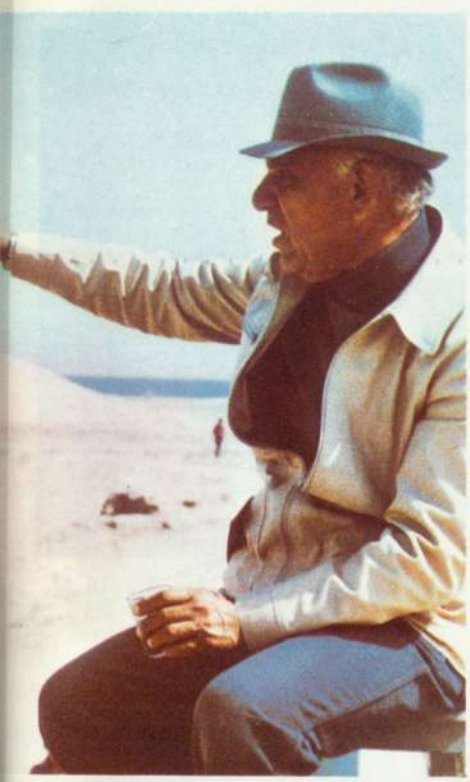
إبل العرب فى دارفور تشرب من عين المياه .

القادسية



فيلم عربي أثبت وجوده في مهرجانين عالميين

المخرج صلاح أبو سيف أثناء تصوير الفيلم

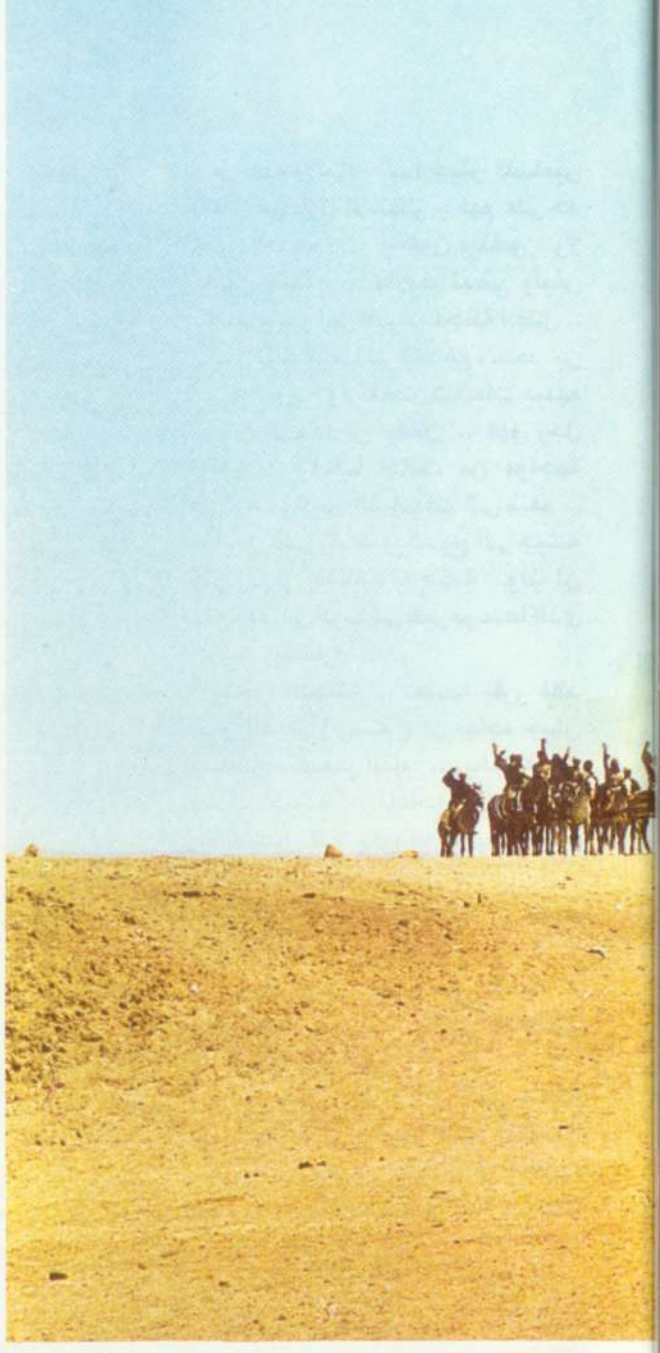


بقلم : رءوف توفيق

وسط أضخم حملة سينمائية .. قدمت العراق فيلمها «القادسية» .. وشاركت به فى أهم مهرجانين للسينما العالمية خلال الشهور الأخيرة .. (مهرجان كان ـ مايو ١٩٨١ .. ومهرجان موسكو ـ يوليو ١٩٨١)

واستطاعت مؤسسة السينما العراقية .. أن تثبت وجودها فى هذين المحفلين الدوليين ، من خلال نشاط وفدها السينمائي .. ومن خلال حملة دعاية مكثفة وذكية ، قامت على منطق الانتشار والابهار .. فارتفعت اللافتات المضيئة تحمل اسم الفيلم « القادسية » ... وكتبت صفحات كاملة فى أهم مجلات السينما العالمية عن الفيلم .. ووضعت في مكاتبها داخل أقسام المهرجان ، كميات ضخمة من المطبوعات الفاخرة التى توضح انتاج مؤسسة السينما العراقية وبالذات فيلم «القادسية» .. صور ملونة ونشرات





لقطتان .. الأولى لمشهد بانورامي فى الصحراء .. والثانية لمجموعة الممثلين الذين شاركوا فى الأدوار الرئيسية فى الفيلم

ومعلومات تهم كل ناقد وصحفي .. وأيضاً كل موزع يرغب فى شراء الفيلم .. هذا بالاضافة الى كمية متنوعة من الهدايا التذكارية التى تحمل اسم الفيلم .. بخلاف حفلات الاستقبال التي تشهد بالكرم والذوق العربي الأصيل .

وهكذا أصبح فيلم « القادسية » .. هو الابن المرموق للسينما العراقية .

وكيف لا يكون كذلك ، وهو الذى أنفق من أجله ، أضخم ميزانية لفيلم عربي .. وجندت من أجله خبرات فنية من مختلف البلاد العربية .. واستغرق الاعداد والتجهيز له أكثر من عامين ، بينهما تسعة شهور أستغرقها تصوير الفيلم في مدينة سينمائية أقيمت خصيصاً فى الصحراء بالقرب من بغداد .. ووسط درجات حرارة تتفاوت بين حدودها القصوى .. ما بين خمس درجات تحت الصفر فى ليل الشتاء .. وخمسين درجة مئوية تحت لهيب شمس الصيف .

وفى ظل هذا الاهتمام والجهد .. والرعاية والثراء أيضاً .. خرج فيلم «القادسية» الى الوجود .

ولكن .. هل جاء فيلم « القادسية » على نفس مستوى الأهمية التى أعطيت له ..؟!

موضوع الفيلم

ولنبدأ أولا بالتعرف على موضوع الفيلم .

التاريخ السنة الرابعة عشرة هجرية (الموافق سنة ٦٣٦ ميلادية)

فى تلك السنة وقعت معركة القادسية فى خلافة « عمر بن الخطاب » الذى أعلن حالة الاستعداد لمقاتلة الفرس .. واختار « سعد بن أبي وقاص » لقيادة الجيوش الاسلامية .

فى هذه الأثناء يموت « المثنى بن حارثة الشيباني » قائد الجيوش الاسلامية فى عهد خلافة « أبو بكر الصديق » .. وبموت المثنى ، ترملت زوجته «سلمى» وترك حصانه «الشموس» .

ويتقدم سعد بن أبى وقاص للزواج من سلمى .. إكراماً لذكرى القائد العظيم الذى أوصاه قبل وفاته بمقاتلة الفرس

.. وحدد له أفضل الطرق لمحاربتهم : « أن يقاتل الفرس على حدود أرضهم .. وعلى أدنى حجر من أرض العرب .. لا أن يقاتلوهم بعقر دارهم .. فان يظهر الله المسلمين ، فلهم ماوراءهم .. وإن كانت الأخرى ، رجعوا الى فئة ثم يكونوا أعلم بسبيلهم وأجرأ على أرضهم إلى أن يرد الله الكرة عليهم » .

ويصل سعد بن ابي وقاص الى العراق .. وتتابع إليه الامدادات حتى صار جيشه ثلاثين ألفاً .

وينهمك سعد في تنظيم جيشه وتدريبه .. ونزع الخوف الذى ترسب فى نفوس بعضهم من بأس وسؤدد الدولة الفارسية .

قضية سعد هى بث الشجاعة والاقدام .. ودفع الحماس فى قلب جنوده .. ووسيلته هي اقرار الحق والعدل والمساواة بين الجنود والقواد .. فالجميع يأكلون من طعام واحد ويلاقون نفس المعاملة .. ولهذا أحبه الجميع واحترموه وانتظموا خلف قيادته .

وهو يلتزم بوصية « المثنى » من أنه لا يدع الفرس يستدرجونه الى أرضهم .. ولهذا وضع جيشه على أهبة الاستعداد حتى ينفد صبر الفرس ، ويقومون بالهجوم الأول ، فيلاقيهم على أرضه هو . وطال الانتظار .. وكل طرف ينتظر الآخر ..

جيش الفرس بقيادة « رستم » .

وجيش المسلمين بقيادة « سعد »

ولكن يحدث ما لم يكن فى الحسبان .. تهاجم آلام مرض «عرق النسا» القائد سعد وتصيبه بقروح وبثور .. وتقعده عن الحركة .. ويصبح عذابه الأكبر أنه لا يستطيع الوقوف أو الحركة .. وهو القائد الذى يجب أن يكون بين جنوده – ودائماً – فى روح معنوية عالية !

ويرسل سعد وفداً من جنوده الى ملك الفرس (يزدجرد الثالث) يخيره بين الدخول فى الاسلام ، أو دفع الجزية ، أو الحرب ..

ويثور ملك الفرس على هذا الوفد .. ويسخر منه ، ويكاد يفتك به .. ويأمر أتباعه بأن يحملوا هذا الوفد مقاطف التراب والرمل على رءوسهم .. فهذا هو رده على رسالة سعد بن أبي وقاص !!

وينزعج قائد جيش الفرس (رستم) مما فعله الملك .. ويؤنبه لا لشيء .. إلا لأنه فال سيء .. فالتراب تراب أرضهم .. ومعنى ذلك أنه يفرط فى تراب أرضه !! ويفيق الملك على هذه الحقيقة .. ويجرى وراء الوفد الذى كان قد اختفى عن الأنظار !

وتتوالى الوفود بطلب من رستم .. وتتخذ المناقشات طابع المجادلات الكلامية بين الفرس والعرب المسلمين .. ولا جديد فى الأمر .. سوى مرور الأيام .. وكل يحاول اقناع الآخر والحط من شأنه

فى هذه الأثناء .. بدأ جيش المسلمين يتململ من طول الانتظار .. فهم على حد تعبير أحدهم .. « يأكلون وينامون ولا يفعلون شيئاً » .. فالأيام تمضى وليس هناك ما يشير الى اقتراب لحظة القتال .. بل بدأ الشك أيضاً في قائدهم « سعد بن أبى وقاص » وارتفعت شائعات بينهم تقول إن سعداً لن يقاتل .. فهو رجل مريض .. وأيضاً خائف من مواجهة الفرس ، وتصل الشائعات الى سعد .. فيتحامل على نفسه ويخرج الى جيشه يعلن لهم أن انتظاره له حكمة .. وأنه لن يدفع بهم الى حرب فى غير موعدها الذى يحسبه وينتظره ..

وتأتي اللحظة .. عندما يقرر قائد جيش الفرس (رستم) أن يهاجم جيش المسلمين .. فيعبر النهر .. ويخبىء بين صفوف جيشه . المفاجأة المذهلة .. ثمانية عشر فيلا يقودها بعض جنوده المدربين على قتال الأفيال .

ويرصد جيش المسلمين .. تحرك الفرس نحوهم .

ويصعد سعد فوق سور قلعته .. ويكبر ثلاث مرات .. وتكون هذه هي اشارة بدء القتال ..

وبعد مبارزات فردية .. تظهر الفيلة التى تثير الفزع فى قلب المقاتلين المسلمين .. ويحدث الارتباك فى صفوف المقاتلين .. وينتهز العدو هذا الارتباك



الممثلون طعمه التميمي
وعزت العلايلي وشذى سالم



سعاد حسني في لقطة
من فيلم القادسية

فيلحق خسائر جسيمة بجيش المسلمين الذى استمر يقاتل حتى غروب الشمس .. ويتساقط الضحايا من الجانبين ولكن خسائر جيش المسلمين كانت حوالي خمسمائة شهيد .

وعاشت معسكرات جيش المسلمين ، ليلة طويلة وقاسية مابين دفن الشهداء .. وتضميد جراح المصابين .

أما « سعد بن أبى وقاص » فقد كان يعلم أن الحرب ستطول ، وعليه أن يستعد لذلك .. فأرسل فى طلب المدد .. وانهمك فى وضع خطط الجولة التالية ، والاطمئنان على الروح المعنوية لجنوده التى ارتفعت الى أقصى حدودها رغبة فى النصر .

وفى صباح اليوم التالي (الذى يسمى يوم أغواث) ظهرت الامدادات القادمة من الشام .. وعلى رأسها هاشم بن عتبة والقعقاع بن عمرو التميمي .

وبدأت المعركة بالمبارزات الفردية .. والتى قدم فيها القعقاع فصلا من فصول البطولة الرائعة حيث هزم منافسه من الفرس وقتله .. وتولى القعقاع تنفيذ مخطط ذكي .. حيث قسم جيشه الى كتائب أحاطت بجيش الفرس .. وألبس الأبل براقع سوداء وجلاجل أحدثت ارتباكاً فى صفوف المقاتلين الفرس .. وفعلت ما فعلته الفيلة فى الجيش الاسلامي .. وخرج الشاعر السكير «أبو محجن» من سجنه بمعونة سلمى زوجة سعد ، ليساهم بدوره فى المعركة ، وعلى حصان سعد «البلقاء» !!

وقد كانت مفاجأة مذهلة لسعد وهو فى مكانه راقد من آلام ساقيه .. أن يرى فى المعركة سجينه « أبو محجن » على فرسه الخاص يحارب بصلابة ورجولة وبراعة !

ويأتي اليوم الثالث (يوم عماس) والقعقاع لا يزال ينظم الجيش ، وإذ بالفرس يعودون بالفيلة .. ولكن سعداً كان قد اكتشف الأسلوب الذى يحارب به هذه الفيلة .. بأن يضرب السهام الى عيونها ، فتفقد الرؤية وترتبك .. ويطلب سعد من قائديه « القعقاع » و «عاصم بن عمرو» أن يتوليا أمر الأفيال .. وتنجح الخطة .. وتثور الفيلة .. وتقلب المقاتلين من على ظهورها وتدوسهم باقدامها .. وتفر مذعورة داخل صفوف الفرس التى تحدث بينهم الرعب .

وتستمر المعارك طوال الليل .. وهذا شيء غير مألوف فى الحروب وقتها .. ولكن حماس جيش المسلمين كان لا يعرف الفرق بين النهار أو الليل .. فقد لاح النصر وعليهم ألا يتوقفوا .. وهكذا أمتد القتال طوال الليل (والتى تسمى ليلة الهدير) .. حتى وصل جنود المسلمين الى مقر قيادة جيش الفرس .. وتمكن « هلال بن علفة » من قتل رستم .. وبموت قائد الفرس ، انهارت عزائم الجيش .. وتشتتت صفوفه .. ونال المسلمون علم الفرس .

وهكذا تنتهي معركة القادسية .. بفوز جيش المسلمين بقيادة « سعد بن أبى وقاص » الذى أقام فى القادسية لمدة شهرين .. ثم سار الى المدائن ، حيث قصر الفرس الذى مازال يختبىء فيه الملك وعائلته .. ويحاول أن يتشبث بكرسيه وجواهره .. ولكن مع دخول أول كتيبة من جيش المسلمين الى قصره .. ينهار تماماً ..

ويأتي سعد بن أبي وقاص ليصلى فى ايوان كسرى .. وينتهي الفيلم بين تكبيرات الصـــلاة .

● أهم ما يحسب للفيلم

هذا هو ملخص فيلم القادسية ، الذى أخرجه واحد من أهم مخرجي السينما المصريـــة والعربية .. المخرج «صلاح أبو سيـــف » .

وما يحسب لهذا الفيلم أولا وقبل كل شيء .. هو اختيار تلك الفترة التاريخية الهامة ، ومحاولة إحيائها بكل مفاهيمها فى الحق والقوة والشجاعة ..

القادسية

فيلم عربي أثبت وجوده في مهرجانين عالميين

وبمضمونها الجوهري في وحدة الجيوش الاسلامية لمواجهة الخطر .

والفيلم يؤكد على معنى القيادة الواعية والحكيمة والعادلة .. والتى تنجح فى جمع الصفوف بالحب ، وعدم الاعتراف بالفوارق ، والايمان الكامل بالمساواة .. وأيضاً مواجهة الشكوك بقوة المنطق ، وليس بقوة القمع والسلاح (مشهد التشكيك فى نية القائد سعد بن أبي وقاص فى القتال نتيجة الانتظار الطويل) .

ولذلك فالفيلم يقوم على رسالة هامة يود أن يبلغها لنا .. والرسالة عبرة من الماضي .. ودرس للحاضر والمستقبل .

التطويل الشديد

ولكن هناك ملاحظتان حول الفيلم ، الأولى أن الفيلم يقدم هذه الرسالة بتطويل شديد (الفيلم مدته ثلاث ساعات) .. ولو تم اختصار بعض مشاهد المعارك المكررة .. لأحسست أكثر بالتركيز وبقوة الرسالة (ملحوظة .. قام باخراج المعارك .. المخرج الأسباني بينتو رابال) .

والملاحظة الثانية حول وجهة النظر التى يقدم فيها الفيلم صورة أعداء العرب والمسلمين فى شخصية مهزوزة ، جبانه ، تتصرف بطفولة وعصبية مبالغ فيها .

والرمز هنا لا يتفق أبداً مع شراسة المعارك ، واستمرارها طوال ثلاثة أيام وليلة . خاصة وأن كل المعلومات التاريخية تقول إن معركة القادسية .. كانت بين جيش الفرس الذى بلغ قوامه مائة وعشرين ألف مقاتل مجهزين بأحدث الأسلحة وقتها .. بينما جيش المسلمين لا يتجاوز ثلاثين ألف مقاتل . أى أن المعركة غير متكافئة عدداً وسلاحاً .. ومن هنا كان انتصار جيش المسلمين انتصاراً لقضية ورسالة .. وهذا الانتصار لم يأت بسهولة ، ودون مئات الشهداء وآلاف الجرحى .

ولا أدرى كيف وقع المخرج « صلاح أبو سيف » فى هذا الخطأ .. وهو المخرج الاستاذ صاحب المدرسة السينمائية المتميزة ، والتى قامت على « الواقعية » .. والواقعية لا تعني المكان سواء أكان حارة شعبية ، أو بيتاً متواضعاً .. ولكنها تعنى أساساً واقعية التفكير

السيناريو

وقد اشترك المخرج صلاح أبو سيف مع الكاتب محفوظ عبد الرحمن فى كتابة السيناريو .

ومحفوظ عبد الرحمن يخوض بهذا الفيلم التجربة الأولى فى كتابة السيناريو للسينما .. وهو صاحب الرصيد الواضح من الأعمال التليفزيونية التى كتبها وكانت على مستوى رائع .

ومن الواضح تماماً .. الجهد المبذول ، والدراسة المتعمقة فى البحث عن تفاصيل الوقائع التاريخية لمعركة القادسية .. ومن الواضح أيضاً التزام كاتبي السيناريو بسرد تلك الوقائع كاملة .. ولكن ما افتقدته فى سيناريو الفيلم كما عرض على الشاشة .. هو الجانب الانساني و الظروف الاجتماعية المرتبطة بتلك الفترة .. فالفيلم كما أفهم لا يقدم مجرد حركة .. ولكنه يقدم شريحة تاريخية يعيش فيها بشر .. بكل ما في حياتهم من تفاصيل ومعاملات .. وبكل مافي تكوينهم من أفكار وأحلام .. وكما أفهم فالفيلم موجه الى المشاهدين العرب وأيضاً الى المشاهدين الأجانب .. ومعنى هذا أن الفيلم يريد أن يعطى للعالم صورة عن التاريخ العربي الاسلامي .. وأن يوضح لمن لا يعلم .. من هم العرب .. وكيف يفكرون ؟!

مواقف انسانية

هناك على سبيل المثال أزمة القائد الذى يداهمه مرض يقعده عن الحركة فى أشد الأوقات احتياجاً للحركة .. هذه الأزمة كما يشعر بها .. وكما تنعكس على رفاقه .. ولكن ماشاهدناه أن هذا القائد (لعب الدور عزت العلايلي) يتلوى فجأة من الألم .. ثم يصبح غير



سعاد حسنى
امام الخيمة قبل المعركة



ليلى طاهر وكنعان حسني فى معسكر الفرس

قادر على الحركة ، دون أن نفهم بالضبط ماالذى أصابه وماهي حدود هذا المرض .. ثم نراه فى نهاية الفيلم يسترد صحته .. ويقف على قدميه

وهناك أيضاً العلاقة بين هذا القائد والمرأة التى تزوجـها بعد وفاة زوجها (لعبت الدور شذى سالم) .. انها علاقة غير واضحة !

وما أقصده هنا هو اعطاء بعض التفاصيل من داخل العلاقة .. لغة الحوار .. اسلوب التعامل .. نوع الحب فى تلك الظروف .. باعتبار أنها النموذج الوحيد فى الفيلم الذى يجمع بين لزوجين .

وعلى نفس المستوى .. أسرع السيناريو فى تقديم شخصية «الخنساء» الشاعرة (لعبت الدور سعدية الزيدى) والتى فقدت أبناءها الأربعة فى ليلة واحدة .. وكان من الممكن أن تكون نموذجاً رائعاً ومليئاً بالمشاعر للأم العربيـة الانسانـه .

معركة الأفيال

إن بعض التفاصيل الانسانية .. كان من الممكن أن تجعل نسيج الفيلم يشع أكثر بالحياة والنبض والمشاعر ..

لا أنكر أن الفيلم حاول أن يقدم هذه التفاصيل فى بعض المشاهد .. ولكن كان كمن يتعجل تقديمها والانتهاء منها ، حتى يفسح المجال والوقت لمشاهد الخيول والسيوف .

ورغم اعتراضي على تكرار مشاهد المعارك .. إلا اننى اتوقف بالاعجاب الشديد لتنفيذ معركة الأفيال .. فهي من أجمل مشاهد الفيلم تصويراً وإخراجاً ومونتاجاً .!

الاخراج

لا شك أن المخرج صلاح أبو سيف قد قدم جهداً عظيماً فى قيادة هذا العدد الكبير من الممثلين الذين اختارهم من مختلف البلاد العربية .

أنه هنا لا يتعامل مع وجوه مألوفة لديه .. أو سبق التعامل معها .. بل يضع نفسه فى امتحان صعب .. عندما يجد أمامه ممثلين من العراق ، وسوريا ، والكويت ، والمغرب ، وتونس ، بالاضافة الى الممثلين المصريين .. وكل منهم له

القادسية

فيلم عربي أثبت وجوده في مهرجانين عالميين



القائد سعد ابن أبي وقاص
عندما أقعده المرض

أسلوبه الخاص .. ولهجته الخاصة .. ثم يصهر كل هذه الاختلافات في بوتقة واحدة ليخرج منها سبيكة متجانسة .. لا نشاز فيها .. أنه أشبه بقائد الأوركسترا الذى يخرج لنا لحناً عذباً من آلات موسيقية كل منها جاء من بلد .

إن هذا يعنى جهداً خارقاً فى البروفات .. وصبر استاذ حريص على سمعته وتاريخه .

● الممثلون

لمع فى هذا الحشد من الممثلين .. الفنان عزت العلايلي ، الذى لعب دور القائد سعد بن أبي وقاص ، بتعبيرات وجهه الفنية الطيعة والتى تتراوح بين الصلابة والقوة والحزن .. والتى يعرف كيف يضعها فى خدمة الشخصية التى يتقمصها دون افتعال أو معاناة .. ولذلك نراه فى لحظة كمقاتل عنيد .. وفى لحظة

أخرى كشاعر حزين .. ساعده أسلوبه المتميز في الالقاء ، وصوته المحدد النبرات والذى يتذوق الكلمة قبل أن ينطقها !

وقدمت الفنانة العراقية « شذى سالم » دورا بارزاً لا تخطئه العين .. ينم عن موهبة أصيلة ووجه سينمائى معبر ، أهم ما يميزه هذه النظرات المحددة .

بينما توارت « سعاد حسني » فى دور ظلمهافيه السيناريو ، بحيث لم تستطع أن تثبت وجودها بما يليق مع خبراتها الطويلة والثرية فى التمثيل .

ولمع الممثل العراقي طعمة التميمي .. والممثل الكويتي محمد المنصور والممثلة المصرية ليلى طاهر .

وأشار الفيلم الى موهبة الممثل المغربي حسن الجندى فى دور قائد جيش الفرس .. بالرغم من سيناريو الفيلم الذى ظلم كل شخصيات جانب الفرس فى محاولة تصويرهم بهذا المنظر الكاريكاتيري الساخر .

● الفنيون

وكما نجح صلاح أبو سيف فى قيادة هذا الحشد الضخم من الممثلين من مختلف البلاد العربية .. نجح أيضاً فى اختباراته لمن يقومون بالعمل خلف الكاميرا .

فى التصوير .. جمع بين المصور الفنان العراقي عبد اللطيف صالح .. و الفنان المصري مصطفى امام .. واستطاع تعاون الاثنين أن يخلق عملا متميزاً خصوصاً في مشاهد المعارك (وبالذات معركة الأفيال) ومشاهد ساحة المعركة ليلا والتى تشهد بقدرة السيطرة على الاضاءة وتوظيفها دراميا .

وقدم الفنان (أنسي أبو سيف) استعراضاً رائعاً للملابس والاكسسوارات المرتبطة بتلك الفترة .. وبقدر تعمده البساطة والوضوح والخطوط المستقيمة وتوازن الألوان فى تصميمات ملابس جيش المسلمين .. تعمد أن يوضح البهرجة والابهار فى ملابس قادة الفرس والتى تدل على الثراء والترف والاسترخاء .

أما الديكور فقد صممه ونفذه الدكتور مختار عبد الجواد .. ورغم الجهد الشاق فى بناء ديكورات مدينة كاملة فى الصحراء .. إلا أن أهم ما كان يعيبها أنها توحي بأن عمال الطلاء رفعوا أيديهم عنها قبل التصوير بدقائق .. فكل شيء طازج ونظيف ولامع ، ولم يدخله بشر من قبل (خصوصاً ديوان إيوان كسرى) !

ولعب الماكياج (عبد الوهاب قطب وابراهيم عبد الفتاح) دوراً رئيسياً وهاماً فى الفيلم .

إن كل واحد من هؤلاء .. كان يساعده عشرات الفنيين والعمال ..

ولو تصورنا حجم العمل قبل البدء في التصوير .. والاستعدادات المطلوبة .. ثم ما يستجد منها أثناء التصوير .. ومرحلة تشطيب الفيلم .. لأدركنا مدى ضخامة هذا المشروع الفني ، وحجم الانفاق عليه .. ومدى مسئولية المخرج صلاح أبو سيف فى السيطرة على كل هذه التفاصيل !

رءوف توفيق

حيرة..



شعر: محمد الفهد العيسى



يؤرّقُني الشَّكُّ منكِ ..
ويغتال فى أضلعي .. انْثِيَالَ القصيدْ
ويحتار حَرْفِيَ بين الدّروب ..
أىّ طريق يؤدّى إليكِ .؟!

أىّ غُيَيْمَة حُبٍّ ..
تناثرُ شوقاً .. عليكِ

●●

هويتُ .. أتيتُ !!
بلغت السُّهَىٰ .. والسُّهىٰ فى يَدَيَّ
احتضنت النُّجَيْماتِ من حَوْلِها ..
همستُ بوابلِ (حبِّي) وشِعري
وعلّقْتُه كما ـ جاهليّ ـ
ونامتْ ..
وقلتْ إليكِ انتهيتُ ..

●●

يلفحني الشَّكُّ منكِ ..
كحلمِ حَصَادِ قتادٍ
وتجفل فى مرتعى شَرْنَقَاتُ القصائدْ
وبعد غدٍ
بعد عامٍ
تكونُ ـ شرائدْ ـ

●●

يعذّبني الشكُّ منكِ .
وخوفاً عليكِ
وحبُّكِ غاباتُ نَخْلٍ بصدري
وتُروىٰ بحُزني .
ومن نهرِ .. « لا .. لستُ أدري »
ونبعٌ تدفّقُه من يديكِ

●●

دونَكِ اسمي :
مُذْ وُلدتُ ..
الى مِذْوَدِ الحُزنِ .. وفيه .. ومنه ..
رضَعْتُ ... رُبيتُ ..

قضيـــة..

نقـــل التكنولوجيا

التكنولوجيا ، أو التقنولوچيا ، أو التقنية كما كان يحلو لاستاذنا الدكتور أحمد زكي ، يرحمه الله ، أن يسميها ، اشتقاقاً فيما اعتقد ، من كلمة (تقن) بفتح التاء وتسكين القاف ، وهو الرجل (الحاذق الماهر) هي : فن تطبيق العلم : بمعنى ... الحذق والمهارة ، فى استخدام ما يتوصل اليه العلم من معرفة نظرية ، فى صفات المادة فزيائياً وكيمائياً ، لصناعة وانتاج احتياجات حضارية يواصل بها الانسان مسيرته الحياتية فى مراحل تاريخه على الأرض ... فعلى سبيل المثال ...

أكتشف الانسان أن خليطاً من الفحم والكبريت وملح البارود ، إذا احترق فى حيز محدود فانه ينفجر ، ويسمى بذلك (البارود) فذلك علم ، والتوصل الى النسب الصحيحة للخليط من المواد الثلاثة لصناعة بارود يمكنه توصيل قذيفة الى مكان بعيد أو نسف جبل للحصول على حجارة نافعة منه أو لشق نفق أو طريق فيه ، هو (تكنولوجيا) ...

وإذا أكتشف العلم أن جسماً ينطلق من سطح الأرض الى الفضاء بسرعة تزيد قليلا عن احد عشر ميلا فى الثانية الواحدة يمكنه أن يخرج من نطاق الجاذبية الأرضية وينفلت منها الى الفضاء الخارجى ، فان التكنولوجيا ، هي التوصل (بفن وحذق ومهارة) الى كيفية تحقيق ذلك الاكتشاف (النظرى) عملياً ، وصناعة صواريخ تحمل قنابل أو اقمارا صناعية الى الفضاء ... وهكذا فان التكنولوجيا هى قدرة ممتازة ، وفن صناعة ، فى كيفية الاستفادة مما يكتشفه العلم من خواص المادة ... أو هي تطبيقات عملية للمعرفة النظرية الاكاديمية ، وهما متلازمتان لا يمكن لاحداهما أن تنشأ فى واد بعيد عن الوادى الذى تنشأ فيه الأخرى ، فالتكنولوجيا التطبيقية للعلم البحت ، كوجهى قطعة من العملة لا يمكن أن تكون تلك العملة نافذة المفعول مؤدية الغرض بوجه واحد فى المكان الواحد ...

ومن مسيرة العلم خلال القرون منذ العصور الحجرية الى يومنا هذا ، وجد العلماء أن أى تفاعل كيماوي ، على سبيل المثال ، لا يمكن أن يؤتي أكله ، بأن نتوصل به لصناعة مادة ما ، إلا بعد أن تتوفر له شروط ثابتة لا مجال فيها للارتجال أو التحايل أو المماطلة أو الخداع ، من حيث درجة الحرارة ، ومقدار الضغط الواقع على المواد المتفاعلة ، وقدر تركيز المواد الأولية ونسب أوزانها لبعضها البعض ، وتركيز أيون الأيدروجين ، وطول موجات الضوء المؤثرة فى التفاعل ، ونوع الاناء الذى يجرى فيه التفاعل ، وأى إخلال مهما كان يسيرا أو ضئيلا ، فى أحد تلك الشروط ، سوف يؤدى بالتأكيد الى فشل محقق فى تلك الصناعة ... وكل عمل حضاري ، فى أى عصر من عصور التاريخ ، لكي يتسنى لجماعة من الناس ، في أي صقع من الأرض ، أن تنجزه لابد وأن تتوفر له شروط ، كثيرة ، كشروط أى تفاعل كيماوى أو فزيائي ، وتلك سنة من سنن الله تعالى فى خلقه لا تبديل لها ، حتى يرث سبحانه الأرض ومن وما عليها ... ولن يستطيع أحد من البشر ، بثورة أو مجرد مال وفير أو قرار سياسي ارتجالي ، أو رغبة فردية ، أو نزعة حزبية ، أن يوجد تحويلا لتلك السنة الكونية ، مهما علا صوته ، أو كبرت شعاراته ... فلكي ننقل (التكنولوجيا) للعالم الثالث لابد وأن يكون فيه قاعدة علمية ، ولكي تكون لدى العالم الثالث قاعدة علمية ، لابد من شروط ، وأى ثغرة فى تلك الشروط بعضها أو كلها ، سوف لا تكون محمودة العواقب ، وسوف تكون مجلبة للمتاعب والمصاعب والتعقيدات ، بدل الفوائد المرجوة والمرتقبة ... ولعل أهم الشروط ، التى ينبغي توافرها لدى أقطار العالم الثالث المتطلعة الى (نقل التكنولوجيا):

● أن تتطور فيها اساليب التعليم ، فى كل مراحلها ، دون مساس بقيمها وتراثها السليم ، بحيث تستطيع تربية (العلماء) وبالتالي (التقنيين) بطريقة صحيحة تتدارك الموضوعيات من أخطار الشكليات والرخص والجوازات ، وتفصل تماماً وبحزم فى قضية (ارتباط) الحصول على الرزق مع البحث العلمي ، وتجعل التقييم العلمي مبنياً على (الكيف) لا على (الكم) وتوفر للعلماء والتقنيين ، الذين يثبتون على مستوى

بقلم:

درويش مصطفى الفار

عالمي واضح المعالم ، قدرات صادقة فى مجالات اختصاصاتهم ، سبيل الرزق ، دون أن تحوجهم الى التحايل والالتفاف والوصولية ، ليعيشوا معيشة توفر لهم الانطلاق بلا هموم معوقة ، نحو الاستزادة من العلم والمعرفة والانتاج العلمي (الكيفي) السليم ، وهذا ما يسمى بايجاد (المناخ العلمي) ...

● أن يكون قريبا من سدة الحكم ، فى كل دولة من دول العالم الثالث ترغب صادقة فى (نقل التكنولوجيا) ، جماعة من (أفاضل) العلماء المشهود لهم (عالمياً) بالمستوى الرفيع ، للرجوع الى فتواهم فى كل أمر علمي وتكنولوجي ، وأن تؤخذ نصائحهم وآراؤهم المجردة عن الهوى ، ماخذ الجد ، وتمنح قوة القانون ، وتكون لهذه المجموعة التوجيهات المسموعة فى مجالات التعليم ، والصناعة والبحث العلمي ، ونشر الثقافة العلمية ...

● أن تكون هناك قناعة وعقلانية ، بانه ليس شرطاً أن يصنع كل قطر فى العالم كل شيء من مثل شعار (من الابرة الى الصاروخ) وأن لكل شعب قدرات معينة ، يمكن أن يبرز فيها ويمتاز ويفيد الاسرة البشرية كلها ، وأن أخطر ما تعانيه الأسرة الانسانية اليوم ناجم بالدرجة الأولى عن تحول (القدرات التكنولوجية) الى سعار ونهم ، اقتضتهما ظروف جعلت (السياسيين) يدفعون بعجلة الصناعة فى بلادهم دفعاً أدى الى (انتاج أكثر للتصدير) يواكبه عمل خفي وتخطيط شيطاني يمنع الآخرين من ولوج مضمار (الانتاج) لتظل أسواقهم مفتوحة الى يوم القيامة ، لما تنتجه مصانع تلك الأقطار (للتصدير) مهما كان ذلك الانتاج ، غثاً أو سميناً ...

● إعادة النظر بجدية وبصيرة ، فى أهميات منتجات (التكنولوجيا) المعاصرة ، من حيث حقيقة فوائدها ، وموقفها من نضوب الموارد الطبيعية من معادن وتربة زراعية وماء وحيوانات ومزروعات ومن تلويث البيئة جوا وبرا وبحراً ، والدعوة الملحة الجادة على كل المستويات الاجتماعية والسياسية ، للاتفاق عالمياً على نبذ ورفض وايقاف موضوعات تكنولوجية بعينها والاستزادة من موضوعات أخرى بعينها واعطاء أولويات لأبحاث وتكنولوجيات فى أمور كتحلية مياه البحار ، أو استنقاذ أراض قاحلة أو صحراويةلزراعتها واعمارها ...

●عدم الانطلاق من مبدأ القناعة ، لدى أهل العالم الثالث ، بان كل ما صنعته وتصنعه الدول الصناعية التكنولوجية ، هو (غاية المراد من رب العباد) بل تكون لتلك الدول النامية فلسفة خاصة واضحة مؤداها استعمال العقل لا مجرد التقليد والنقل ....

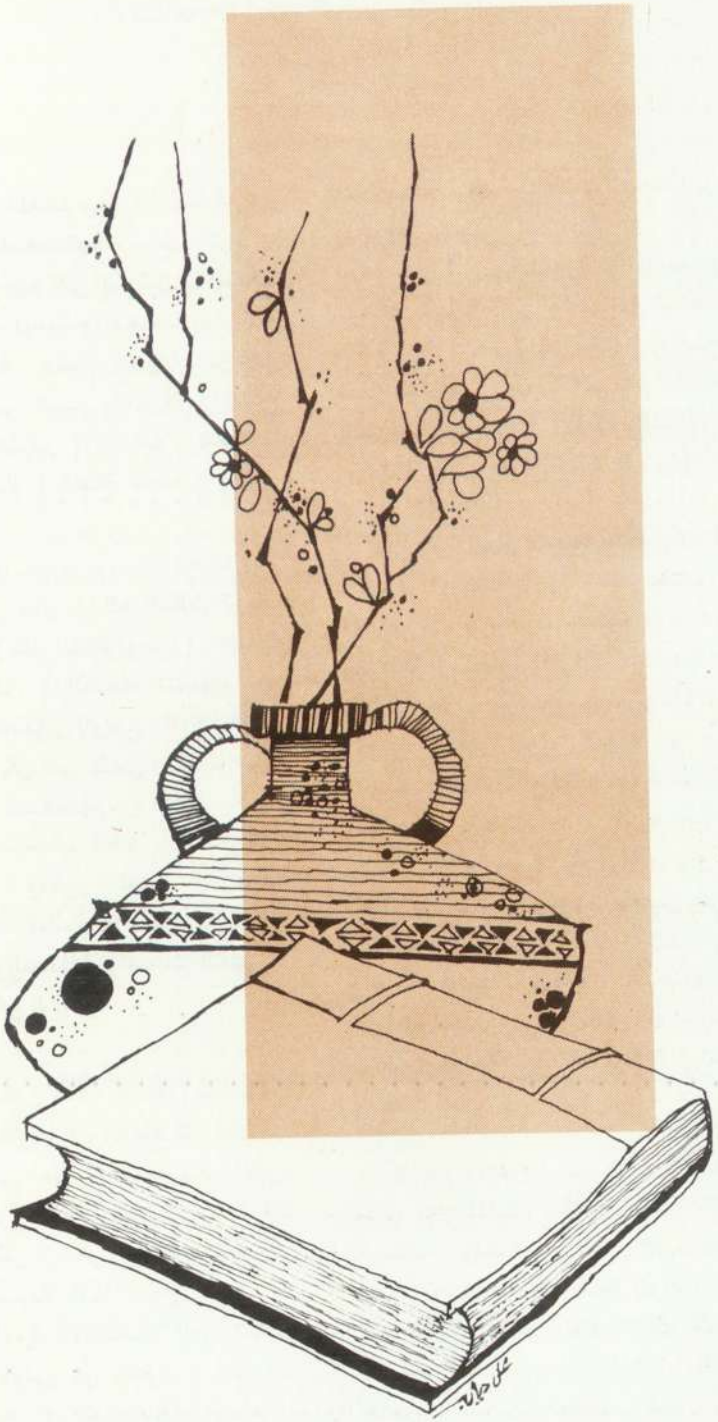
العدد

في العدد القادم والأعداد التالية

- محمد الفهد العيسى
- شفيق الكمالي
- نعمان عاشور
- محمود شيت خطاب
- عبد الرزاق البصير
- يوسف الشاروني
- م. كجراي
- محمد الغزب موسى
- سهيل الخالدي
- د. الطاهر أحمد مكي
- د. عبد العزيز جادو
- سمير فريد
- عبد الوهاب داود
- أحمد عامر
- أحمد شفيق أبو عوف
- جمال الغيطاني

كتاب على الرف

بقلم : عباس خضر



قبل أن أوجد . وقبل أن أعرف باسمي «اللآلىء فى البحر الزاخر » ـ كنت أفكاراً سابحة فى ذهن مؤلفي ، طالما جلت فى خاطره ، وطالما أرقته أفكاري .. مسكين مؤلفي ! تعب كثيراً فى لم أشتاتي وتبويب أبوابي .. لم يكن يحفزه على ذلك كسب مادي أدره عليه كما تفعل المشاريع ، مع أن هذه ربما لا تأخذ من أصحابها جهدا كالذى يبذله المؤلفون ، وأي مشروع غير الكتب يسهر فيه صاحبه الليالي ويعتصر فيه أفكاره ويسجلها على الورق ! .

ومما كابده مؤلفي المسكين أن راح يبحث عن ناشر ينشرني .. ثم تمخض البحث والأخذ والرد عن مبلغ تافه من المال دفع اليه حقاً للنشر ، بعد أن ازدرد كل ما قاله الناشر من أن «الحال واقف» والكتاب يتكلف ورقاً وطباعة وتدبيساً وتغليفاً ، وما يقتضى ذلك من مواد غالية وعمال مرتفعي الأجور ، وأضاف هو فى نفسه : ومؤلف رخيص الثمن إن كان له ثمن !

ولم يهنأ بذلك المبلغ ، إذ لاحقته «الضرائب » وأخذت بتلابيبه بيد من «حرير» هي يد فتاة « مأمورة الضرائب » .

نهاية الأمر .. بعثت أنا برغم ذلك كتاباً سوياً ، فرح بي المؤلف كل الفرح ، صار له كتاب مطبوع غلافه محلى بصورة يرجى أن تجذب القاريء ، ووضع اسمه عليه ، ما أحلاه ، .. بل ما أعظمه !

اشترى من السوق نسخاً تضاف الى النسخ التى يجود بها الناشر ، كي تكون هدايا ، كأنه كان يعمل فى بلد نفطي وعاد .

النجار ـ مثلا ـ يصنع ما يصنع ، ولا يهدى الى أحد دولاباً ولا كرسياً ولا حتى « طبلية » مطبخ ، أما المؤلف فهم

يقولون له فى الظاهر : أيها المؤلف العظيم .. وفى الباطن : هات الكتاب ، فنحن لا ندفع مالا فى كتب !

ثم كانت نهاية المطاف أن أوضع على الرف ..

لم يقرأني صاحبى الذى أنا فى بيته ولا غيره ، لم يهتم أحد بأن أكون صديقه وخير جليس له ، كما قيل قديماً : الكتاب خير جليس وأخلص صديق ، وكم تحتوى دفتاي على كثير من هذه الأقوال ، ولكنه كلام يقال ويقرأ ولا يعمل به ، ولهذا يعرضون عنى ولا يأبهون بي .

الاهتمام كله موجه الى ذلك القابع المرابط فى ركن الردهة .. المسمى «تليفزيون» ، الكبير والصغير ، والرجل والمرأة ـ كلهم يتجهون اليه حينما يعمل : حينما يدار فتعكس شاشته الصور والمناظر ، ويتحدث به المتحدثون . فى أحيان قليلة يتحدثون فى ندوة من ندواته حديثاً خاطفاً عن كتاب ، ولكن من يقرأ ومن يسمع ، كما يقولون ..

على غلافي صورة جميلة ، قد تجتذب بعض الأنظار ، فتمتد الي اليد وأنا قابع على الرف ، فأقول فى نفسي : جاءك الفرج ، فهذا زبون فتح الله عليه فجاء يفتحنى ، ولكنه لا يفعل أكثر من النظر الشذر فى بعض صفحاتي ثم يطويني ويضعنى كما كنت ، وأحياناً يكون ذلك عندما يريد أحدهم أن يتسلى بأى شيء قبل إعداد المائدة .. ولتكرر هذا صرت لا أعبأ بهؤلاء ، وأكاد أقول لهم : دعوني !

● ●

بجواري زميل مجلد تجليداً فاخراً آل إلى صاحبنا بالميراث ، من مكتبة والده المرحوم ، تحدث الى مرة هذا الزميل قال:

كان صاحبي الأول يقتني الكتب بعد تجليدها وكتابة اسمه على كعوبها بماء الذهب ، ويعرضها فى أناقة ، بحيث تكون كعوبها هي الظاهرة البارزة ، كي تراها العيون أول ما ترى .. وكان ذلك الصاحب يقرأ أحياناً ليتسلى ، فلم يكن هناك تليفزيون ، ولهذا كان يبدو على مستوى ثقافي لا بأس به ، كان يعرف من الاطلاع علينا ما لا يعرف الآن هذا الجيل ثم صرنا وصاروا الى هذا الحال كما ترى لا أحد يريد أن يتثقف بقراءتنا ، ولا نحن نتحرك من مواضعنا ، إلا عند التنفيض .

ثم يتنفس ذلك الزميل القديم ويقول : هيه .. رحم الله أيام زمان !

القوم جميعاً يجلسون الى التليفزيون الرجال والنساء والأولاد ، ضيوفاً أو أصحاب منزل . والنساء يثرثرن بالرغم من أنهن يسمعن ويشاهدن .. والغريب انهن يَعِينَ هذا وذاك .. كما تعي الواحدة منهن كلام اثنتين أو أكثر يتكلمن معاً ! وكثيرا ما يعلقن على ثياب الممثلات و «موداتها» و «الباروكات» وأنواعها وأثمانها ..

● ●

قد تمتد الأيدي الى الرف حيث نرقد ، وتنظر العين الى العنوان وبعض الصفحات ، ولكن سرعان ما يعاد الواحد منا الى مكانه ، ماعدا ولداً واحداً طالباً في الجامعة ، هو ابن أخت صاحب الشقة ، ولكنه بخلاف خاله يحب القراءة ، عندما يأتي الى هنا تكون عينه دائماً متجهة الى الرف حيث نرقد ، وكثيراً ما أخذني بين يديه وانشغل بقراءتي عن كل شيء ، قال مرة لصاحبنا :

ـ ياخالي ، أنا أبغى هذا الكتاب .

وكنت فى يده ، ولكن الخال رد عليه قائلا :

ـ اقرأ هنا ماشئت ، ولا تأخذ شيئاً معك .

ـ أعيده بعد أسبوع واحد ..

ـ لا ، كما قلت لك . إنني احتفظ به لأنه مهدى الي بخط المؤلف . وإذا أنت أخذته فلن تعيده .. كما حدث في كتب أخرى ..

صاحبي هذا صحفي محرر فى إحدى الصحف اليومية . وقد حرص المؤلف على اهدائي اليه ليكتب عني كلمة .. وبما أن هذا الصحفي ـ مثل كثير غيره من الصحفيين ـ ليس عنده وقت لقراءة الكتب ، بل يكتفى بتصفح الجرائد والمجلات ، كما ينشغل بالكتابة عن القراءة .. فقد نظر الى فهرسي، وجشم نفسه قراءة المقدمة ، ثم كتب عني كلمة فى ركن الثقافة ، مستمدا ما كتبه من المقدمة والفهرس !

● ●

الولد الطالب بالجامعة « سوسة القراءة » شغف بي حباً ولا فخر .. كان ينظر الي من طرف خفي ، أعرف هذه النظرة : خائنة الأعين .. فى محتوياتي كلام عنها وعن مثيلاتها ، اكتسبت معرفة من هذه المحتويات .

ـ يريد أن يأخذني ، ويتردد : أتكون هذه سرقة ؟ أما أنا شخصياً فلا مانع عندى ، بل إني أرحب ، وهو يقول في نفسه : إن خالي لا يقرأ فى هذا الكتاب وأنا أريد أن أقرأه ، فأنا أحق به ، أليس هذا مبرراً ..؟ .

وبرغم ضيقي بهذا السجن ، وارتياحي الى أن ينقذني منه ، وجدت نفسي فجأة أصيح بصوت مبحوح : لا ...

فزع الزميل المجاور لي قائلا :

ـ ماذا ؟ مالك ياكتاب « اللآلىء فى البحر الزاخر » ؟ لم أرد عليه ، وقلت فى نفسي وقد هدأت :

ـ وأنا مالي !

تابع جاري الزميل على الرف :

ـ مالك ؟ ليس بعضك على بعض ..

أجبت مع شيء من التحفظ :

ـ ان شيئاً سيقع ..

ـ خير ان شاء الله ؟

ـ خير .. نعم خير . إفراج ..

ـ إفراج ؟ لا أفهم .

ـ لا يهم ، ربما فهمت .

انتهز الشاب فرصة انهماك الجميع فى مشاهدة ماجذبهم فى التليفزيون ، والظلام الذى تبدد الشاشة بعضه ، ودلف الى ناحيتي على بصيص الشاشة وفى لمح البصر خطفني ودسني فى حقيبة صغيرة معه ..

وافرحتاه .. عما قليل سأشم الهواء الطلق .. ساكون بحق : كتاب اللآلىء فى البحر الزاخر ..

عباس خضر

لماذا يكذبون على تاريخ الأدب ؟!

هل تكلم طه حسين هكذا لآخر مرّة ؟!

بقلم الدكتور : محمد الدسوقي

طه حسين هل هو صاحب كل الكلمات والأفكار التي جاءت في هذا الحديث .



نشرت مجلة «الثقافة العربية» في العدد التاسع من السنة الأولى حديثاً مع عميد الأدب العربي تحت عنوان «هكذا تكلم طه حسين لآخر مرة » ، وقد أجرى هذا الحديث الأستاذ غالي شكري ، وذكر في مستهله انه جلس مع العميد نحو أربعين ساعة وتردد على «رامتان» يومياً لمدة ثلاثة أسابيع ، ودار الحديث بوجه عام حول نقطتين هما : قضية التراث والمعاصرة ، وقضية الديمقراطية .

وبعد نشر هذا الحديث فى تلك المجلة طلب مني أمين تحريرها وكان فى ذلك الوقت الأستاذ صالح أبو اصبع أن أعقب على ما نسبه الاستاذ غالي الى العميد ؛ لأن هيئة تحرير المجلة يساورها الشك فى صحة كل ما اشتمل عليه هذا الحديث من آراء وأقوال ، وأنها جميعها صدرت عن الدكتور طه حسين .

وكتبت تعقيباً موجزاً أومأت فيه الى بعض الحقائق التى أعرفها عن طه حسين ، والتى تؤكد أن هذا الحديث ليس كله صحيحاً ، وبعثت إدارة المجلة بهذا التعقيب الى المطبعة ، بيد أن يداً مجهولة امتدت اليه فمزقته أو أحرقته ، ومن ثم لم ينشر .

وشغلت بعد ذلك عن الكتابة حول هذا الحديث ، وبيان قيمته العلمية والتاريخية ، وكنت أطمع فى أن أفرغ لكتابة تعقيب أكثر تفصيلا ، وأن أنشره كملحق لكتابي « أيام مع طه حسين » غير أن هذا الكتاب طبع دون أن يشتمل على تعقيب أو رد .

ولما وجدت أن بعض الذين كتبوا عن طه حسين اتخذوا من هذا الحديث مصدراً يعولون عليه فى استنباط الآراء ، واصدار الأحكام كما فعل الدكتور عبد المجيد المحتسب فى كتابه « طه حسين مفكراً » والذى أرجو أن أكتب حوله دراسة تكشف عن مدى التجني ومجافاة الموضوعية ، وتلمس الشبهات وكأنها أمام المؤلف هدف أساسي يسعى اليه ويحرص عليه عزمت على كتابة رد على هذا الحديث كي لا يتخذ وثيقة أدبية عن طه حسين فى آخر أعوامه.

ويجدر قبل التعرض لمضمون ما نشره الأستاذ غالي أن أذكر طرفاً مما لا يعرفه الناس عن حياة عميد الأدب العربي فى العقد الأخير من عمره ؛ لأن لهذا علاقة وثيقة بتوضيح الحقيقة التى لا تعرف الافراط أو التفريط .

كان طه حسين في العقد الأخير من عمره ـ وقد عرفته فيه نحو تسع سنوات قارئاً وسكرتيراً فى بعض الأحيان ـ يعيش حياة صحية مضطربة ومع هذا كان يعكف على القراءة ، وكان يطمع فى أن يمد الله فى أجله ، ويتم عليه نعمة العافية ؛ ليكمل الأيام .. والفتنة الكبرى .. ولكن لكل أجل كتاب .

وكان الرجل فى حياته فى هذا العقد يسير وفقاً لنظام ثابت لا يحيد عنه إلا لضرورة ، فهو يستيقظ من نومه غالباً فى نحو السابعة صباحاً ، وحتى العاشرة والنصف يتناول طعام الافطار ويغير ثيابه ، ثم تبدأ فى نحو الحادية عشرة فترة القراءة الأولى باللغة العربية ، وكانت هذه الفترة تمتد الى الواحدة والنصف ظهراً ، ويقرأ فيها الصحف القاهرية اليومية وبعض المجلات الأسبوعية ، وما يتيسر من بعض الكتب إذا سمح الوقت بذلك .

وفى هذه الفترة الصباحية ما كان يستقبل زائراً اللهم إلا من كانت تربطهم به رابطة خاصة ، ويزورونه دون تحديد موعد معه ، ويلقاهم ولو كان نائماً فى فراشه ، ومن هؤلاء الدكتور محمد كامل حسين جراح العظام الشهير ، وعضو المجمع اللغوى ، وصاحب « قرية ظالمه » رحمه الله .

ومن الواحدة والنصف وحتى الثالثة يتناول طعام الغذاء ، ويغفو قليلا أو يستريح ، ثم تبدأ من الثالثة وحتى الخامسة فترة القراءة الأولى باللغة الفرنسية . وما كانت زوجته تقرأ له فى هذه الفترة ، وإنما كانت تقوم بالقراءة سيدة مصرية تجيد الفرنسية .

وفيما بين الخامسة والسادسة يأوى الى فراشه نحو نصف ساعة ، ويحتسي قدحاً من القهوة المعدة على الطريقة الفرنسية ، وتبدأ من السادسة مساء الفترة الثانية للقراءة بالعربية ، وتمتد الى الثامنة والنصف ، وكان يقرأ فى هذه الفترة أمهات الكتب العربية القديمة كالكامل للمبرد الذى قرأته معه أكثر من مرة ، وعيون الأخبار لابن قتيبة ، والحيوان للجاحظ .. الخ ، وبعض المؤلفات المعاصرة .

وفى هذه الفترة المسائية كان العميد يستقبل زواره وأصدقاءه ، غير انه ما كان يهش للزائر الذى يطيل المكث ، وكان يلوذ بالصمت لا يتكلم إلا لماما علامة على نفوره وضيقه بهذا الضيف الثقيل الذى اسرف فى الجلوس ، واضاع الوقت على حد قول العميد ، ومع هذا كان إذا هَمَّ الزائر بالخروج شد العميد على يديه قائلا : أرجو أن أراك كثيراً !

ويتناول طعام العشاء فى نحو التاسعة مساء ، وتقرأ له زوجته بعد ذلك نحو ساعة ،باللغة الفرنسية ، فما كانت تعرف العربية قراءة أو كتابة ، وكل ما تعرفه منها بعض الكلمات الدارجة تنطقها فى لكنة أعجمية ، وتستخدمها مع الذين يعملون في البيت كالطباخ وسائق السيارة .

وفى نحو الحادية عشرة يأوى العميد الى فراشه للنوم . وكان إذا تأخر أو لم يحضر من يقرأ له فى الفترة الصباحية أو المسائية يستمع الى إذاعة القرآن الكريم ، وكان يروقه فى الترتيل الشيخ الحصري .

وكان إذا رغب أحد الصحفيين أو الكتاب ، أو المذيعين فى لقاء العميد لمعرفة رأيه فى قضية من القضايا ، وأذن له بذلك فانه ماكان يتيح له فرصة الحضور الى «رامتان» أكثر من مرتين في الأسبوع مهما يكن موضوع القضية أو صلة هذا الكاتب أو الصحفي بالعميد ، على ألا يتجاوز كل لقاء نحو ساعة ، وكان هذا قبل عام ١٩٧٠ ، فقد كان العميد قبل هذا العام على الرغم من ضعف صحته يتمتع بقوة ذاكراته ، ولكنه قبل وفاته بنحو ثلاثة أعوام كان ينسى بصورة غريبة ، فقد يزوره من يعرفه معرفة حميمه وبعد خروجه مباشرة يسألني من كان هنا ؟ وكان هذا النسيان يسبب لي أحياناً مواقف حرجة كأن يأتيه زائر فى المساء فيساله : هل قرأت اليوم فى الصحف خبر كذا وكذا ، فيجيب العميد : إن الدسوقي لم يقرأ لي هذا الخبر ، فاذا حاولت أن أذكره باننا قرأنا هذا الخبر ، أصر على موقفه وأحياناً يقسم بالله بأننا لم نقرأه ، فلا أجد بدا من الصمت .

وازدادت صحة العميد فى العام

لماذا يكذبون على تاريخ الأدب ؟!

هل تكلم طه حسين هكذا لآخر مرة ؟!

الأخير من عمره سوءا كما ازدادت ذاكرته ضعفاً . وجاء فى رسالة تلقيتها من أستاذى الدكتور ابراهيم مدكور الذى خلف العميد فى رئاسة المجمع اللغوى بعد إعارتي للعمل بجامعة الفاتح : « يقاسي الأستاذ العميد آلام الشيخوخة فى صبر وجلد ، ويقاومها ما استطاع ، ويتيح لنا فرصة لقائه من حين لآخر ، وفى حديث له لمست تقديره للمدة التى قضيتها بجانبه ، ومعه الآن مرافق مسيحي أرجو أن يستقر به المقام حتى لا يضطر الشيخ المريض الى التغيير والتبديل .. » .

وهذا يؤكد ما أومأت اليه آنفاً من ضعف صحة العميد وضعف ذاكراته ، وأنه فى آخر أعوامه لم يكن يتيح لأقرب الناس اليه فرصة لقائه إلا حيناً بعد حين .

وفضلا عن كل ما أسلفته كانت زوجة العميد تتدخل فى لقائه مع الكتاب والصحفيين ، لكي لا يطول اللقاء ، وذلك خوفاً عليه من الارهاق والاغماء ، وكانت تنبه علي بألا نستخدم أجهزة التسجيل فى أى لقاء ، حتى لا يسجل بصوت زوجها ما قد يسيء إليه ، بسبب نسيانه وضعف ذاكرته .

على أن حالة النسيان التى ألمت بالعميد فى أعوامه الأخيرة لا تعنى أبداً أن الرجل قد اختلط عقله ، أو أنه كان يلبس فى آرائه وأفكاره ، وكل ما تدل عليه أن ذاكرته قد أصابها الوهن ، ولم تعد كما كانت لا تخرم حرفاً مما وعته ، والذى يثير الدهشة أني كنت إذا قرأت له خبراً فى كتاب قديم ، أو مطلع قصيدة لشاعر عباسي مثلا فانه كان يعلق على الخبر ، أو يتلو القصيدة كلها مع ذكر فروق الرواية بين كتب الأدب فى دقة تشهد للرجل بحافظة واعية لا تغيب عنها معلومات مضى على معرفتها أكثر من نصف قرن .

وبعد تلك الحقائق التى يعرفها كل من كان له صلة بالعميد ، كيف يصح ما قاله الأستاذ غالي بأنه جلس مع العميد أربعين ساعة ، وتردد على بيته ثلاثة أسابيع يومياً ، إن هذا يعنى أن لقاءه بالعميد كان يستغرق الفترة المسائية كلها نحو عشرين يوماً متتابعة

وهو أمر لا يمكن قبوله أو التسليم به على ضوء ماذكرته من حقائق .

وإذا سلمنا جدلا بأن غالي شكرى لقى العميد كل تلك المدة ، وأنه عامله بما لم يكن يعامل به أحداً من الذين كانوا يسعون اليه لمعرفة رأيه فى قضية فكرية أو اجتماعية أو سياسية فان نظرة فاحصة موضوعية فى هذا الحديث الذى جاء ثمرة ذلك اللقاء الفريد فى زمنه وعدده تثير كثيراً من الشكوك والشبهات حوله ، فردود العميد على اسئلة الاستاذ غالى كما نسبها اليه تتسم بالافاضة وتشقيق الكلام ، وكثرة اسماء الاعلام من الأدباء والمفكرين العرب وغيرهم ، وما كان العميد فى اجاباته ـ وهو يتمتع بقوة ذاكرته ـ يجنح الى الاسهاب ، وانما كان يجتزىء فيما يسأل عنه بالاجمال دون التفصيل ، والايجاز دون الاطناب ، وما كان يعنيه الاشارة الى علم من الأعلام للتدليل على رأى ، أو دعم وجهة نظر .

وعزا الاستاذ غالي الى العميد عبارات وكلمات كان يضيق بها ، ولا تجرى على لسانه مثل « عدم التسليم الأعمى » و «الغوغائية» ، « ياناس ارحمونا وارحموا أنفسكم » « وأنا رجل فى الظل أطوى أوراقى وسأمضى قريباً » الى غير ذلك من العبارات والكلمات التى كان العميد ينفر منها ، ولا يستسيغ استعمالها .

وإذا تجاوزنا عن ذلك الاستطراد فى الاجابة ، وتلك العبارات التى عزيت الى العميد وما كانت تروقه ، وقلنا بأن الاستاذ غالي التقط الفكرة ثم صاغها صياغة أخرى ، وألبسها حلة قشيبة من التفصيلات الجزئية ، والعبارات المستحدثة ، وإن أخطاه التوفيق فى نسبة بعض هذا الى العميد ، فان ذلك الحديث اشتمل على عدة أخطاء تطعن فى سلامته ، أو تحكم على العميد باضطراب ذاكرته ، وهو ما يفقد الثقة بالحديث كله ، ومن تلك الأخطاء ما جاء على لسان العميد حول انتمائه الى حزب الوفد وعزوفه عن الأحرار الدستوريين بعد عمله معهم نحو عقد ونصف قال : كانت بينى وبين الوفد أشياء وأشياء منذ معركة « فى الشعر الجاهلى » ولاحظت على الأحرار الدستوريين فى كفاحهم الوطني طراوة أبناء الذوات ، وفى سلوكهم السياسى اجحافاً بحقوق الفقراء ، بينما كان الوفد أكثر صلابة وتعبيراً عن مطامح الجموع فاليت على نفسى أن أطوى صفحة وأفتح أخرى أكثر اتساقاً مع ضميرى ...

هذا التعليل لترك حزب الأحرار والألتحاق بحزب الوفد يناقض ما حدثنى به العميد حول هذا الموضوع ، وأثبته فى كتابه « طـه حسين يتحدث عن اعلام عصره » فقد قال وهو فى معرض حديثه عن علاقته بالزعيم مصطفى النحاس :

« فى عهد صدقي سنة ١٩٣٢ تعرضت لأزمة شديدة بسبب موقفى من الحكومة وعدم الاستجابة لها فى منح بعض الساسة درجة الدكتوراه الفخرية وقد أحلت على المعاش دون أن يكون لي معاش ، ولم تكن كتاباتي السياسية تدر



مصطفى النحاس باشا مع أعضاء الوفد المصري



اسماعيل صدقى .. أحاله على المعاش دون معاش !!



مكرم عبيد .. وعرض برئاسة تحرير جريدة !!

علي شيئا فقد كنت أكتب مجاناً ، يضاف الى هذا أنه لم يكن لدي مال مدخر ، وتعرضت لأزمة شديدة حاولت التغلب عليها بالسلف من بعض الذين تربطني بهم صلة وثيقة مثل نجيب الهلالي .

فى هذه الظروف جاءني مصطفى النحاس ومعه مكرم عبيد وعرضا علي رئاسة تحرير جريدة كوكب الشرق ، وهى جريدة وفدية ، وكان راتبي فيها مائة جنية ، ومع هذا لم أوافق إلا بعد أن عرضت الأمر على الأحرار ، ونظراً لأن الأحرار والوفديين كانوا متالفين ضد صدقي وافقوا على أن أتولى رئاسة تحرير تلك الجريدة .

وكان عملى فى كوكب الشرق بداية العلاقة بينى وبين مصطفى النحاس ، وازدادت هذه العلاقة وثاقة بمرور الأيام وكنت أزوره كثيراً فى منزله ، وكنت إذا ذهبت اليه وانتظرته فى الطابق الأول وارتدى ثيابه ونزل من الطابق الثاني فانه يلقاني باشاً مداعبا قائلا : طـه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى ، وكان الرجل يستنصحنى فى بعض الأمور ، وكان يأخذ بما أشير عليه ، كما كان ينزل عند رأيي إذا اختلفنا ، ولما توليت الوزارة كنت دائماً اهدد بالاستقالة إذا لم يستجب مجلس الوزراء لطلباتي» ..

فما هو التعليل المقبول لذلك التحول السياسي فى حياة العميد ؟ هل هي طراوة أبناء الذوات فى مقابل صلابة التعبير عن مطامح الشعب ؟ أم أنها الظروف الصعبة التى تعرض لها العميد بعد احالته على المعاش ، وجعلته يعمل مع الوفد فى كوكب الشرق ، ثم تطورت الأحداث ، وتوثقت العلاقة بينه وبين زعيم الحزب ، فانتسب اليه وأصبح عضواً بارزاً من أعضائه ، ثم وزيرا فى آخر وزارة للوفد قبل ثورة ٢٣ يوليو ، ؟!

وما جاء عن الرومانتيكية فى أدب العميد ، ورأيه فى أدب نجيب محفوظ ، وبخاصة قصة « اللص والكلاب » و «ثرثرة على النيل» يخالف ما تحدث به العميد من قبل وأوردته فى كتابى «أيام مع طـه حسين » .

ولست هنا فى مجال الاستقراء الشامل لكل جزئية أو فكرة ، ومناقشتها وإنما هى بعض الأمثلة من الأخطاء العلمية المبثوثـة فى تضاعيف ذلك الحوار ، والتى تذهب بدقته أو صحته .

وبعد فان المقبول والمعقول أن يكون الاستاذ غالي قد ذهب الى العميد مرة أو مرتين أو ثلاث مرات على الأكثر ، ودعواه بأنه تردد على رامتان نحو عشرين يوماً مردودة ، يردها صحة الشيخ المريض ، وموقف زوجته من الذين يسعون اليه ، وسنته فى إذنه لهؤلاء ، وعدم السماح لأحد مهما تكن صلته به بأن يستغرق فى لقائه معه ولو مرة واحدة الفترة المسائية كلها .

والمقبول والمعقول أيضاً أن يكون حديث العميد إشارات مقتضبة كعادته فى اجمال القول دون تفصيله ، ولأن صحته وذاكرته لا تتيح له التفصيل حتى لو أراده ، ولكن الاستاذ غالي أضاف الكثير من آرائه ومعارفه وأسلوبه الى ما أفضى به العميد اليه ، فماتـت أو ضاعت آراء العميد وسط ضباب الثقافة الأدبية الخاصة لغالى شكرى ، وأصبح الحديث فى صورته التى نشر بها فى مجلة الثقافة العربية . أو فى كتيب بعد ذلك لا يمثل فكر العميد فى العام الأخير من عمره بمقدار ما يمثل عضلات الاستاذ غالى وآراءه الأدبية والسياسية ، وليس أدل على ذلك من تعليل ترك حزب الأحرار ، والعمل مع حزب الوفد ، فهو تعليل لم يتفوه به العميد ، وإنما هو رأي للاستاذ غالي وانعكاس لتحليله للاحزاب التى عرفتها مصر فى النصف الأول من القرن العشرين ، ومن ثم لا يعد ذلك الحديث أو الحوار كما نشر وثيقة أدبية كما لا يعد آخر حديث تحدث به العميد ، ولا يجوز ـ علمياً ـ أن يعول عليه فى معرفة آرائه ، أو دراسة فكره لكل ما سلف .

والله يقول الحق ، وهو يهدى السبيل .

دكتور محمد الدسوقي
جامعة الفاتح

لا بدّ من صَنْعَا وإن طال السفر

شعر: مروان الخاطر - دمشق

أمضيت في صنعاء ثلاث سنوات ، وحين أزف الرحيل
كتبت هذه القصيدة في وداع مدينة أحببتها ...

بعض الغرام مذلة وشجونُ
وهواكِ عزٌ دائمٌ وفتونُ
دنيا من السحر المولّهِ ما ارتوَتْ
ودِنانُ كل العاشقين تدينُ
من أيِّها يحلو الشرابُ وخمرتي
لو تعلمين لواحظٌ وجفونُ
« غمقت » ما احتجَبَ النهارُ بلثمةٍ
أسفرت فاستبقَ الحنينَ حنينُ
وجه « تشرشف » بالمحبة ما اختفي
وأراه رغم الأسوَدَين يبينُ
عقداً سبائيَّ النقوش كأنه
أقواسُ من قزح الزمان تزينُ
برق يمانيٌّ إذا يرنو ، وإن
يغمضْ فغيم ماطرٌ وهتونُ
وإذا الحبيبةُ مثلما عرف الهوى
تحلو ، ويحلو مبسمٌ وعيونُ
من قبل « ذي يزن » وسحر المجد شا ..
مَتهُا ، يوشي وجهَها ويصونُ
أمّ العقود وأنت عقد مفرد
حصن تسورَ بالجمال حصينُ
أمّ العقود وبيننا ما بيننا
كيف السبيل الى الوداع يكون

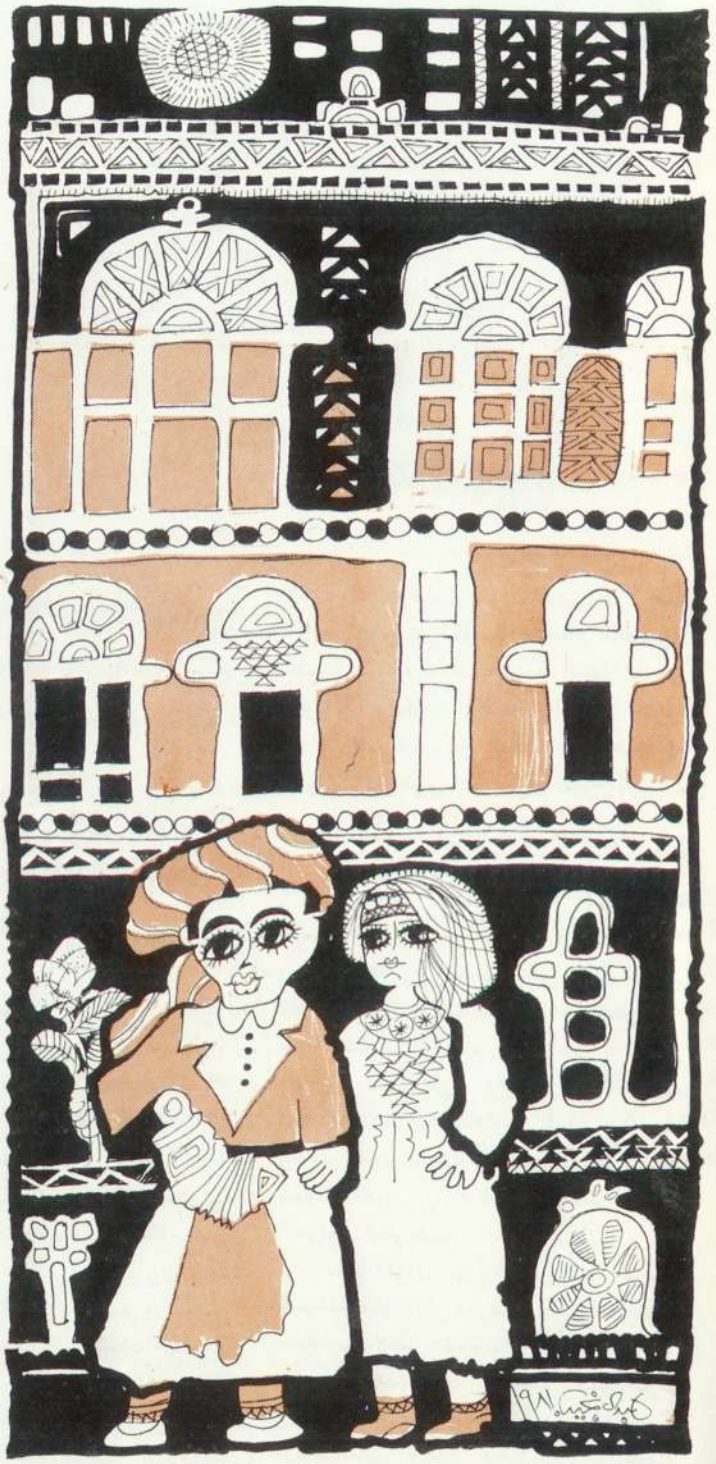
أحباب من زمن وما زلنا .
فكيف يغرق الأحبابَ مفترقُ
ولم الطريق تشعبت من دونها الطرقُ
في الحلم كنتِ حبيبتي
في الصحو أنتِ حبيبتي

وأنا الذي أحببت حتى هامتي
يحتلني الأرقُ
أبحرت في عينيك حتى هدّني الابحارُ والغرَقُ
لو تسألي عينيك يوماً
تسألي عينيَّ يوماً
ينطق الصمت الذي في الصمت يختنق
لو تسألي ..

لعرفت سيدتي الذي لا تعرف الأقلام والورقُ
هذا الهوى
أيموت في تغريبة أخرى ؟
أيُنسى ذلك الاشراقُ والألقُ
في ليل عمر مدلهم الخطو مكسور
هل هالة تعلو على النور ؟

أم أنت آخر ماروت
أنباء عن دنيا الأساطير ؟!

●●



أنســـاك ؟!
إن نسي الهـــوى أحبابَـــه
أو فـــارق الأزهـــار يومـــاً
ذلـك العبـــقُ
أنســـاك ..
أنسى أنـــني ..

لو أنني أفصحـــت أحـــترقُ
عـــز الهـــوى أن أكتم الأسرارَ فـــي صـــدري
أصرح بالـذى لا يجـــرح النســـاك إن عشقـــوا

• •

أحببـــت قبلـــك ـ ربمـــا ـ لكنـــني
غسّلـــت من كل الهـوى قبل السفرْ
وأتيـــت أحمـــل خافقاً متعطشـــاً
فرويـت غلّتـــه ، ولونـــت الصـورْ
أحييـــت من ذكر الليـــالي حلوهـــا
ونسجت وحدك فى الهوى أحلى الذكـرْ
فاذا الـذى للأربعيـــن يعدهـــا
يصبـــو ويرجـــع لليـالي والسمـرْ
غنيتـــه « الدانـا ودانـا » مـــرة
فمـضى يدنـدن « داندانا » واقمـــرْ :
ولّهتني ، وعلـي المحبـة والوفـــا
عوّدتـني ، أيفـرق الشمـلَ القـدرْ؟
إني أخـــاف واتـرك القلـب الـذى
فى قلـب محبوبـي تخفّـى واستقـرْ

• •

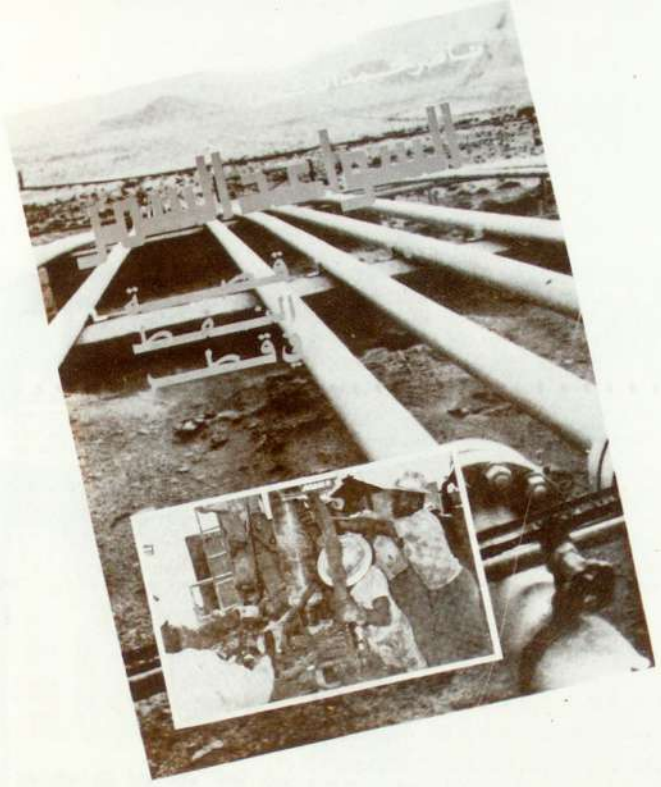
لـو أن مـن أهـوى كأي حبيبـــة
هـان الفِـراق علـى الأحبـة والفكَرْ
لكنـه صنعـا ، ومـن في حبهـــا
يحيـا ، يقـدم عمـرَه قبل المهَـــرْ
وأنـــا الـذى فـي حبهـا متلبـسٌ
ذنبـي هـواى ، وذنبهـا ذنب الشجـرْ

• •

قـرب الرحيـــل عن الأحبـــة ماانتهى
خـل مـن الخـــلان أو بلغ الوطـــرْ
وكـأن ما أمضيت مطلـــع ليلـــة
مازال أولهـا يدافـــع بالسحـــرْ

• •

تبقيـن فـي عينـيّ عقداً زاهيـــاً
« جنبيّـة » فى الجنب تقدح بالشررْ
أبقـي أردد ما حييـت بلهفـــة
لابـد من صنعـا وإن طـال السفـرْ .



قصة النفط في قطر

تأليف : ناصر محمد العثمان
عرض وتقديم : نبيل خالد الأغا

الى اولئك الرجال من أبناء بلدي ... الذين انتزعوا اللقمة من عباب البحر فى أيام الغوص المجيدة وأكدوا أصالتهم باصرارهم على استمرار البقاء ، وانتزعوا الثروة من باطن الأرض بجدهم وعرقهم .

الى أصحاب السواعد السمر من أبناء قطر .. التى أحبوها وأحبتهم بكل ما يحمل الحب من إيمان وصفاء وصدق وعطاء : أهدي هذا العمل المتواضع ●●

● هذه هى الكلمات البسيطة البليغة الصادقة التى نقشها الأخ الاستاذ ناصر العثمان فى صدر كتابه الأول « السواعد السمر : قصة النفط في قطر » ، والذى صدر مؤخراً عن منشورات « دانة للعلاقات العامة » فى الدوحة .

والكتاب عبارة عن ملف كامل لقصة استخراج النفط القطري التي ظل معظمها ـ حتى الأمس ـ مطوياً فى صدور أصحاب السواعد السمر من أبناء قطر الذين شيدت على أكتافهم وبعناقيد العرق المنهمر من جباههم لبنات النهضة القطرية المعاصرة .

ولعل أروع الاضاءات وأسطعها فى هذا الكتاب تلك الحكايات التي كشفت لنا بعضاً من معاناة القطريين قبل اكتشاف النفط ، ودورهم الايجابي أثناء عملية الكشف ذاتها .

ولقد تنبه الأخ الاستاذ رجاء النقاش لقيمة هذا الجانب الانساني العظيم حين ذكر فى مقدمة الكتاب بأن « ناصر نفسه قد عاصر أيام ما قبل استثمار البترول ، وعرف هو نفسه الحياة الشاقة التى لا تعطى رضاءها وهناءها لأحد إلا بأعظم الجهد ، وأكبر ألوان التضحية ، ورأى عظمة الانسان القطري مجردة تماماً من اطارها البترولي ، وأكل خبز المعاناة ، وشرب مياه التعب والحياة الصعبة ، ثم عاصر « ناصر » عصر التحول ، وما تبعه من تفجر للثروة ومظاهر التقدم الكبرى فى بلاده ، ومن هنا كان ناصر العثمان قادراً على أن يكتب شهادته الصحيحة والأمينة للتاريخ » .

واستكمالا لميزة التواضع الجم التى يمتاز بها المؤلف فى حياته الاعتيادية وتعامله مع الناس فهو يزعم انه ليس « مؤرخاً وإنما مستعرضاً لأحداث وتطورات هامة فى حقبة من الحقب التاريخية الهامة التى مرت على بلدنا الحبيب » ، يقول هو ذلك برغم عرضه الأمين والواعي لكل ما استطاع الحصول عليه من معلومات مهمة استقاها من الوثائق والكتب وصدور الرواة الذين عملوا فى صناعة النفط منذ خطواتها الأولى ! ولعمري فمن يكون المؤرخ إذن ؟ .

الدوحة عام ١٩٤٩

لقد قسم المؤلف كتابه الى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : عبارة عن رسم دقيق للخارطتين الاجتماعية والجغرافية للعاصمة القطرية فى عام ١٩٤٩م ، وهو العام الحاسم فى تاريخ قطر حيث تم فى نهايته شحن أول دفعة من الذهب الأسود والتى كانت فاتحة خير وبركة على هذا البلد العربى المعطاء ، وعلى الأمة العربية العريقة .

يصف المؤلف الدوحة فى ذلك الوقت بأنها لم تكن أكثر من قرية كبيرة يقطنها ما يقارب الاثنتي عشرة الف نسمة ، منازلها بسيطة متلاصقة مبنية بالحجارة والطين ، شوارعها ضيقة وكثيرة الانحناءات وغير معبدة ، وليست مضاءة بالكهرباء ، ولا يوجد بها سوى مدرسة واحدة شبه نظامية اضافة الى بعض الكتاتيب .

أما مطار الدوحة فقد كان مجرد مسطح من الأرض يصلح لهبوط طائرة صغيرة تأتي من البحرين من وقت لآخر ، وتحلق فى سماء المدينة قبل هبوطها

لتعلن للناس عن وصولها ، وكان الأهالي يعانون كثيراً من قلة المياه الصالحة للشرب ، واضافة الى هذا الواقع الرمادى فقد كانت البلاد تعاني من ركود حاد فى كافة المناحي الاقتصادية نتيجة لانحسار تجارة اللؤلؤ ، وسوء آثار الحرب العالمية الثانيـــة .

ولم ينس المؤلف فى معرض تصويره لاحوال الدوحة فى ذلك الوقت أن يبين للقارىء سبب اكتسابها لهذا الاسم لأنها « تقع على شاطىء خليج صغير واسع الانفتاح ، وأهل البلاد يطلقون على هذا النوع منه اسم « الدوحة » وانها قد أخذت اسمها من ذلك » .

وفى نهاية هذا الطرح السلس يدعم المؤلف حديثه ببضع وعشرين من الصور النادرة التى توضح مظاهر الحياة فى « القرية الكبيرة » ، ولأوائل حكام قطر من اسرة آل ثاني الحاكمة .

• • •

وانتقل ناصر العثمان بعد ذلك للحديث عن « الصراع على امتيازات النفط » والمباحثات التى أدت الى التوقيع على امتياز نفط قطـر الذى تضمن ٢٢ مادة ، وتم توقيعه من قبل الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثاني حاكم قطر ، وتشارلس مايلس ممثل شركة النفط الانجليزية الايرانية المحدودة بتاريخ ١٧ من مايو عام ١٩٣٥م .

ناصر محمد العثمان



نماذج من الرجال

أما القسم الثاني من الكتاب فتتصدره صور نادرة للمرحوم منصور بن خليل الهاجري الذى يعتبر من الاعلام الأوائل الذين عملوا فى صناعة النفط ، وعمل دليلا للشركة لما كان يتمتع به من حدة فى البصر ، ومعرفة تامة لجميع الاراضي القطرية ، وأسماء المواقع وطبيعتها وتاريخها الى درجة أن أحد الجيولوجيين وصفه فى كتاباته « بانه يحفظ خارطة عقلية لقطر ، وباستطاعته أن يجد طريقه فى أى مكان ، فى الطقس الدافىء ، وفى الضباب ، وحتى فى الظلام ! » .

كل ذلك بدون أن يستعمل أي جهاز « حضاري » اللهم باستثناء عينيه الحادتين ، وحصافته الفطرية النافذة !

ويلتقى المؤلف فى الصفحات التالية بمجموعة من الرجال البسطاء الشرفاء الذين أسهموا بامكاناتهم الواثقة فى تشكيل نمط الحياة الجديدة فى قطر ، وهؤلاء هم : ابراهيم بن صالح المطر ، جاسم النعمة ، ثامر مفتاح ، حسين أبو عباس ، جاسم بن قرون ، محمد مفتاح ، وحسـن كلي .

ويعيش ناصر العثمان مع هذه النخبة ، يسالهم . ويحاورهم ، ويسجل للتاريخ ذكرياتهم ، ويروى على ألسنتهم ما تجود به عقولهم من أحداث عاصروها وصنعوها ، ابان مرحلة التحول من مرحلة الغوص والعوز والحاجة وصهد الحياة ، الى مرحلة الذهب الأسود والحضارة ومباهج الحياة الجديدة .

الغوص فى الهواء !

ويروي العم ابراهيم المطر حادثة طريفة كان ضحيتها أحد العمال القطريين الأبرياء ممن كانت تشدهم عواطفهم الى أيام الغوص الأولى ، فلم يستطيعوا التأقلم بسهولة مع مرحلة التحول النفطي !

كان الرجل يستقل إحدى السيارات المكشوفة مع مجموعة من العمال فى طريقهم الى « دخان » ، وبسبب سرعة السيارة « طار » عقاله من على رأسه ، فلم يكن منه إلا أن تصرف تصرفاً تلقائياً بأن سد أنفه ـ كما كان يفعل أيام الغوص ـ وقفز فى الهواء ليأتي بكوفيته ! فمات المسكين فوراً !

وفى نهاية القسم الثاني يورد المؤلف أيضاً بضعاً وأربعين من الصور والوثائق النادرة تتصدرهـــا صـــورة للمغفـــور له الشيخ حمد بن عبد الله آل ثاني مع نجله أمير قطر الحالي سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، وقد التقطت الصورة عام ١٩٤٧م .

وصورة لعملية تشييد أول بئر للنفط عام ١٩٣٨م ، وصورة لأول شيك لعائدات النفط بمبلغ ٥,٩١٦,١٠٨ روبية بتاريخ ١١أكتوبر عام ١٩٥١م ، وغير ذلك من الوثائق التاريخية المهمة .

أما القسم الثالث من الكتاب فيتضمن أهم مواد الاتفاقات النفطية المبرمة بين حاكم قطر وممثل الدولة البريطانية فى البحرين ، والاتفاقية الخاصة بمناصفة الأرباح ، وامتياز التنقيب عن النفط فى مياه البحر ، كما يشمل القسم أيضاً نص اتفاقية الحدود البحرية بين قطر وايران ، ونص اتفاقية تسوية الحدود وملكية الجزر بين قطر وأبو ظبي ، كذلك جدولا حسابياً بكميات انتاج النفط القطري منذ بداية استخراجه

أهمية الكتاب

وبعد .. فهذا عرض موجز « لقصة النفط فى قطر » ، والتى سجلها «المؤرخ» ناصر محمد العثمان فى هذا الكتاب الوثائقي القيم ، ولكن ـ كما ذكر الاستاذ رجاء النقاش ـ فان أهم مافى هذا الكتاب وأعمق ما فيه أنه يثبت بالدليل الناصع أن ثروة قطر أولا وقبل كل شيء هي : الانسان ، وهذا ما يجعل الكتاب فريداً فى بابه ، ويجعل من صاحب الكتاب مكتشفاً للثروة الأعظم والأبقى فى هذه الأرض العربية .

بقى أن نقـول للأخ الكريم ناصـــر العثمان نحن فى حاجة الى مزيد من البحث والتنقيب فى صدور البقية الباقية من أولئك « الأبطال » الذين دفعوا مقدماً فاتورة النعيم الذى يتمتع به الشعب القطري اليوم ! ولابد يوماً أن تظهر للباحثين نماذج جديدة من معاناة وجلد وصمود الانسان القطري فى تلك الحقبة الحساسة من حياته .

نبيل خالـد الأغـا

كان مجال هذه الدراسة المتواضعة ، هو الدورة التدريبية التى نظمها مركز التدريب الاذاعي والتليفزيوني بالعاصمة القطرية اعتباراً من ١٧ أكتوبر الى ١٢ نوفمبر ١٩٨١ ، ولكن نظراً لأننا اعتدنا أن مناهج دراسة « الالقاء » فى الوطن العربي تقتحم مباشرة التناول التشريحي والعلمي للجهازين الصوتي والتنفسي فى تركيب الانسان ، ثم تنتقل بعد ذلك الى دراسة قواعد فن الالقاء على المستويين النظري والتطبيقي ، دونما اهتمام حقيقي بالقاء الضوء على أبعاد فن الكلام للناس فى حياة المجتمع باتساعها وتعدد مجالاتها .. لذلك ـ وحتى لا يسلب هذا الموضوع العام قسطاً كبيراً من الوقت المخصص لدراسة الالقاء فى الدورة المذكورة ـ أطرح هذه المقدمة العامة التى أراها ضرورية .

فن الكلام للناس

بقلم
نبيل الألفي

الواقع أن « الكلام فى حضور جمهور » فن عريض يتصل بمجالات عريضة فى حياة كل مجتمع ، فاليوم في واشنطن أو فى دمشق أو فى القاهرة ـ كما كان قديماً فى أثينا أو فى روما ـ الانسان مطالب بأن يتكلم ليعلّم ، ويتكلم ليتهم أو ليدافع عن نفسه ، ويتكلم للحصول على أصوات الناخبين ، ويتكلم من أجل الوصول الى السلطة كما يتكلم من أجل الاحتفاظ بها .

فالكلام فى حضور جمهور فن له أهميته البالغة فى الحاضر كما فى الماضي ، ولقد اهتم به القدماء بشغف شديد تشهد به معالجات البلاغة التى خلفوها لنا .

قد تكون هناك بعض الخصائص التقنية التى لم يعرفها القدماء ؛ فمخاطبة الجماهير مثلا من خلال «الراديو» ، تجعل المتكلم يصل الى المستمعين الذين لا حصر لهم ، والذين لا يراهم ولا يملك أن يتخيل ردود الفعل لديهم ... وفى الاجتماعات الدولية يتوجه المتكلم الى وفود تضع ما يشبه الخوذات على رؤوسها ، وإذا كانت لديك فكرة تود أن تصل اليهم فهي لن تصل إلا بواسطة مترجمين فوريين يجلسون فى غرف محكمة الغلق ، حيث تخرج من عندهم الفكرة التى تريد توصيلها مذاعة بعدة لغات فى اللحظة نفسها أثناء كلامك ... وإذا كنت تتوجه مباشرة الى

مجموعة من الناس تجمعوا خصيصاً للاستماع اليك ، فانك تستخدم « مكبر الصوت » الذى يمكن ـ نتيجة لخلل بسيط ـ أن يشوه صوتك ! .

إنه التطور الآلي يتغلغل بالضرورة الى ميدان هذا الفن ويفرض بعض الملامح التقنية الجديدة .

ولكن هذا التطور الآلي ، لم يحل بطبيعة الحال دون استمرار بعض القواعد التى مازالت تصلح لكل زمن ولكل البلاد ، ولا يلغى بعض الدروس الأساسية القديمة .

فعندما توجد اللحظة التى يتوجه فيها المتكلم الى مجموعة من الناس تتجمع لتكوّن هذا الموجود الجماعي المسمى الجمهور ، يكون أمام المتكلم عدة قواعد لا يستطيع إغفالها دون أن يعرض نفسه للفشل !

ذلك أن الكلام الى مستمعين ، له قوانينه الخاصة التى تختلف عن قوانين الأسلوب المكتوب ، فبرغم اننا نستخدم فى الحالين كلمات وجمل ، إلا أنه لا ينبغي أن نكتب كما نتكلم ، أو نتكلم كما نكتب .

فما الذى ينبغى عمله ليجيد الانسان الكلام ، ويجعل الناس يحسنون الانصات إليه ؟

ـ هناك من يتكلم ليعلم

ـ وهناك من يتكلم ليقنع

ـ وهناك من يتكلم للاثارة .

وأمام اختلاف هذه الحالات مثلا ، يختلف المنهج والأسلوب والاستطيقا .. حتى القيمة المعنوية نفسها تختلف هي أيضاً بحسب الأحوال .

الكلام للتعليم

عندما يتكلم الانسان ليعلّم ، يختفى مع كلامه الاهتمام بالانتهاء الى مصلحة ستهدفة ، أو على الأقل يختفى الاهتمام جعل المستمع يميل الى اتخاذ حكم ، أو نعطف الى التصويت فى جانب معين . يفترض «جوته» أنه لا أمانة حقيقية لا لدى المتأمل .

وذلك الذى يعلم مرتبط فى جوهر همته بقوانين التأمل ، ومعنى ذلك أنه ستطيع ـ هو وحده ـ أن يجعل لحقيقة» شغله الشاغل ، فلا يهتم بغير كتشافها وعرضها ، دون أن تكون لديه حتى فرصة أن يسأل نفسه : ماذا سيفعل الآخرون بها ؟ انه موقف فنان ، الأصل فيه ـ على صعيد الفعل ـ هو أن يسعى المرء الى معرفة الحقيقة .

والاستثناء يكمن ـ بطبيعة الحال ـ فى أن تكون لدينا مصلحة فى قول هذه الحقيقة .

والواقع أن « التعليم » لم يسلم من ذلك الاستثناء المخل بموقف المعلم ! فالسلطات المنظمة لشئون التعليم تفرض رقابتها على المعلمين ، وعلى من يمارسون البحث العلمي ، ولا تميل هذه السلطات الى تركهم ينشرون بحرية نتائج بحوثهم . وتشهد الحرب العالمية الماضية على سبيل المثال ، بأن العلم قد وضع فى خدمة الحكومات ، ولم يعد يعتبر ملاحقة غير مغرضة للحقيقة ، وإنما أداة للقوة ... وفى حالات عديدة ، يلاحظ كذلك أن التعليم والاعلام قد أصبحا من المصطلحات التى تواجه خطر ترادف المعنى !

ولكن الديمقراطيات العريقة ، الخليقة فعلا بهذه التسمية ، تتيح للجامعات والمعاهد أن تكون متحررة ، ولا تمارس حيال « المدرس » رقابة تفرض عليه أن يخدم حقيقة موجهة . فكيف يكون إذن كلام المدرس فى هذه الحالة ؟

إن الكلام الذى يستهدف التعليم ينبغي أن يتسم بالنقاء . ونستطيع أن نشبه كلام المدرس بعملية الترشيح التى تتناول السائل المحمل بالشوائب فتجعله ماءً صافياً ورائقاً .

فالمتلقي يريد أن يفهم . ويطيب له أن يسمع . ولا يحلو له أن يبهر إلا بعامل الذكاء وحده .

والوضوح ينجم عن أسلوب بالغ التحديد ؛ كما ينجم أيضاً عن خطة محكمة جيدة البناء ؛ أو عن عرض ينمو ويتطور على نحو منطقي .

لأنه مما يخفف من جهد المتلقي أن يعرف الى أين يتجه المتكلم ، وأن يكون متابعاً فى كل لحظة لايقاع الحديث ولاطراد نمائه نحو خلاصته .

والانتباه يكون عادة أسهل ، إذا شعر المتلقي أن المتكلم محتفظ بسيطرته التامة على كلامه ، ويزن بدقة الزمن الذى في متناول يده .

على أن النصائح التى يمكن قولها فى هذا المجال يستعصى فى الواقع حصرها اذ تختلف مثلا معايير بلاغة المعلم من قاعة مشحونة بالطلاب ، الى رواق صغير يفرض طابع الألفة والحوار المثمر على العملية التعليمية .

فحسبنا ما أشرنا إليه فى هذا المقام بهذا الخصوص .

الكلام فى الناس للاقناع

يقترح استاذ فرنسي يدعى « توليه » : أنه يجب أن نتكلم كالرجال عندما نكون صادقين والحق فى جانبنا ، وكالنساء عندما نكون مخطئين !

واعتقد أن هذه مبالغة ، لأن الكلام للاقناع لا يستطيع فى الغالب أن يرتكز على فضيلة الحقيقة وحدها .

صحيح أنه إذا كان ما نريد الاقناع به عادلا ، عادلا تماماً ، فانه يكفي ـ للاقناع ـ عرض العناصر كما هي ، دون أدنى مواربة أو تحايل ، لأن الحقيقة هنا ستفرض نفسها كالضوء ... ولكن إذا لم يكن الأمر كذلك ، أو حتى ليس كذلك بالضبط ، ألا ينبغى فى هذه الحالة العمل على إرضاء الحقيقة ؟

إن الكلام فى الناس للاقناع ـ بكل أسف ـ يندرج تسعة أعشاره تحت هذه الحالة .

وتغيير مجال الانتباه ـ لدى رجال السياسة ـ يعتبر من أنجح الوسائل . إنه « تكتيك » القواد الكبار الذين لا يقبلون دخول المعركة فى الوضع الذى يجدون أنفسهم فيه ضعافاً ، وإنما يستدرجون العدو الى نقطة تكون لهم فيها القوة ، وكل القدرة على تدميره .

غير أنه لا يحسن استخدام هذا «التكتيك» مع الاساتذة الراسخين من المفكرين ، لأنهم على دراية واسعة بأسراره ؛ وإنما هو ينجح بالأحرى مع الشخصيات البرلمانية .

وحتى فى حالة ما إذا لم يكن هناك مجال للتغيير فيما يتعلق بالمسألة المطروحة ، فان المتحدث المهتم بالاقناع والانتصار على خصمه ، لا يستطيع أن يترك للأشياء وللملابسات أبعادها الدقيقة ، مادام الأمر يتعلق بالضبط باظهار هذه الأبعاد تحت ضوء يكون أكثر توافقاً مع النظرية التى يدور الدفاع عنها .

وللتأثير على الحاضرين ، يتطلب

فن الكلام للناس

فعل بلاغة الاقناع ، أن لا نكون مضطرين للتأكيد على العناصر التى تخدمنا فى الوقت الذى يشيع فيه بالقاعة جو الاستدارة الى الساعة .

الكلام فى الناس للاثارة

مع الكلام لتحريك المشاعر ، تكون البلاغة الحقيقية التى لا تكتسب بالتعليم . فالاعتبارات هنا خاصة جداً ، ويتحتم الاعتراف بأنها تستعصي على التحليل والتحديد !

هناك عادة طابع معين للصوت فى مصدر هذه البلاغة ، ونحن نعلم جيداً الى أى مدى يمكن أن تكون ذبذبة الصوت الانساني قادرة على تحريك المشاعر !

ينبغى أن يكون هناك الكثير من التوافق بين جهاز المتكلم وبين الاسماع بالقاعة ، فالعامل العضوى يفرض نفسه على الفراغ فى المقام الأول .

وعلى هذا يمكن أن أضيف : أن ناتج الانفعال لا ينفصل عن قدر معين من الحضور ، محمل بالعاطفة ، يفرضه المتكلم وهو ينهض ليأخذ الكلمة . يكفيه أن يظهر ، ليكون الجو الجماعي الذى يثيره قد خلق ، ويستطيع الكلام مكتسباً صفة « المغناطيسية » بالمعنى الحرفى للكلمة .

فيجب ألا ننسى أن المتكلم ـ مهما تكن شخصيته ـ يعتبر واحداً فقط من العناصر المكونة للموقف ، ومن المكمل له يوجد خارجه جو القاعه بجمهورها . فمشاركة المكان ومشاركة المستمعين تحت تأثير حركة المتكلم ، هو ما سيجعل شعلة الانفعال تظهر . فالكلام هنا ليس مونولوجاً ـ وهذه ملاحظة جوهرية ـ وإنما حواراً ، أو بتعبير أكثر دقة : مشاركة بين فرد وجماعة . وبدون هذه المشاركة ، يسقط أكثر الكلام بلاغة فى الفراغ والموت ! ويمكن القول كذلك بانها مسألة « درجة حرارة » قبل كل شيء .

صحيح أننا أمام بلاغة الكلام هنا ـ كما نكون أمام الشعر ـ لا نستطيع القول بأن النص القابل للفهم لا أهمية له ؛ ولكنه ينبغى أن يكون واضحاً أن الجوهرى هنا يكمن فى التيار الذى يتحقق بين ذلك الذى يتكلم وبين أولئك الذين يستمعون .

وحسب تعبير نيتشه :

« من ناحية أذرع تمتد ، ومن الناحية الأخرى مخلوق ينتقل منه فيضان العواطف والقوة الى المستمعين » .

إن المتحدث المفطور يحس هذا النداء ومثل هذه الموهبة لا تكتسب ، وإنما يولد الانسان مكتسباً إياهـــا .

على أننا بعد الاستماع الى خطاب له قيمته البلاغية العالية ، يحسن ألا نحاول قراءته بعد ذلك ، لا لأن كتابته ستكون مفتقدة للدقة ، ولكن لأن الجمل المكتوبة ، كانت فى شعلة الانفعال شيئاً أخر مختلفاً تماماً عن هذه التى تُقرأ محددة فى أبيض وأسود على ورقة ميتة! وحتى إذا لجأنا فى الكتابة للاشارة الى ردود الفعل لدى المستمعين : التصفيق ، والهمهمة ، والضحك ، والابتسامة ... وغيرها ، فان ذلـك لا يكـــون إلا بمثابة إشـارة الى كل شيء كـان ، ولـــم يعـد كائناً ، وأصبح من غير الممكن الاحتفاظ به فى وعاء مغلق .

لأن السحر وحده ـ إن جاز التعبير ـ هو الذى فى طوقه إعادة الحياة للحظة فريدة انتهى وجودها .

إن هذا الحضور الذى يعتبر شيئاً سحرياً بشكل ما ـ لا يرجع الفضل فيه مع ذلك كلية الى العوامل العضوية فحسب ، فالاشعاع الصادر عن المتكلم يرجع فى معظمه الى شخصية المتكلم ... الى قدراته الصادرة عن شخصيته كانسان بكل اختصار .

إننا إذا عرفنا أن ذلك الذى ينهض ليأخذ الكلمة لديه شيء يقوله ، وأن مشاعره الشخصية هى مصدر إلهامه فانه يستفيد من هذا سيطرة فورية وهذا يتضمنه ما اتفقنا على تسميته حضوره .

حينما يكون الكلام للاثارة ، فان العواطف هي التى تقنع ، والرجل البسيط العادى الذى يتكلم منفعلا بعاطفة ، يكون مقنعاً أكثر من المتحدث البليغ فى تعبيره دون أن تكون لديه مثل هذه العاطفة النابضة .

هذا ولابد أن يكون الانسان مقتنعاً بما يقول ، والقدماء كانوا يعرفون ذلك جيداً عندما قالوا : إن الكلام فعل قبل أن يكون أى شيء آخر ، والبلاغة العضوية المثيرة يساء استقبالها إذا كانت مفتقدة الايمان .

ومع ذلك فلا يتحتم تصور أن اعتناق المتكلم لما يقول يعتبر مسألة لا يمكن تجاوزها ، فأحياناً قد لا يكون لدى المتكلم هذا الاعتناق لما يقول ! ومن منا يستطيع أن يزعم لنفسه وجود هذا الاقتناع الشخصي دائماً ؟! لذلك ينبغى أن يتصرف المتكلم فى هذه الحالة كما لو كان لديه هذا الاقتناع الشخصي . فأصحاب بلاغة الكلام الكبار ، ينبغى أن يكونوا فى هذا الموقف ـ كالممثلين الكبار متميزين بالقدرة على تمثيل اعتناق نظرية أو اعتناق عاطفة ، بحيث يشخص المستمع « الاقتناع الشخصي » للمتكلم على أنه اقتناع صادق .

ومن هذه الزاوية يمكن القول بـ هناك سمة مشتركة بين الممثل الكبير والخطيب الكبير . ونحن لا نقلل من شأنهما بعقد هذه المقارنـة ، فلابد من الموهبة عندما يتعلق الأمر بفنانين وليس بمجرد بشـــر .

نبيل الأل

جامعة قطر

مشروع دراسات التنمية لأقطار الخليج العربي

إلى الزملاء المتخصصين في دراسات التنمية

مشروع دراسات التنمية لأقطار الخليج العربي بجامعة قطر يهدف إلى ايجاد وحدة مختصة لبحث ودراسة قضايا التنمية من أجل تعميق الفهم حول طبيعة التغييرات الاقتصادية ـ الاجتماعية فى اقطار الخليج العربي وذلك سعياً لبلورة فكر تنموي شامل يمكنه تحديد الصعاب التى تواجه عملية التنمية فى هذه الأقطار واستشراف الحلول وتبني برامج البحث والتدريس والتدريب الملائمة من أجل المساهمة فى تمكين هذه الأقطار من تدعيم قدراتها التنموية .

ومشروع دراسات التنمية بحكم حداثة نشأته يفتقر الى وجود الكادر الاكاديمي والعلمي ويسعى الى التعرف على الزملاء المتخصصين فى حقل العلوم الاجتماعية والمهتمين بدراسات التنمية والمتوجهين الى بحث طبيعة التغييرات الاقتصادية الاجتماعية فى الأقطار المصدرة للنفط . واحتياجات المشروع فى الوقت الحاضر تتمثل في التالي :

١ ـ استاذ :

مختص فى علم الاقتصاد أو علم الاجتماع تتركز اهتماماته ودراساته وخبراته العملية فى مجال التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

٢ ـ استاذ مساعد :

مختص فى علم الاقتصاد ومهتم بالحسابات القومية والاقتصاديات المالية ، والمالية العامة والتخطيط .

٣ ـ مدرس : مختص فى الادارة ومهتم بطبيعة ادارة التنمية ومشكلاتها .

٤ ـ مدرس :

مختص فى علم الاجتماع . علم الاقتصاد ، علم الديمغرافيا ومهتم بدارسات السكان وتنمية الموارد البشرية.

٥ ـ مدرس مساعد / باحث : حاصل على الماجستير فى أحد فروع الدراسات المتعلقة بالتنمية .. ولديه اهتمام بدراسات التنمية المتعلقة بأقطار ابخليج العربي .

٦ ـ مدير مشروع الرسائل الجامعية :

مختص في علم المكتبات والتوثيق لديه خبرة واهتمام بالتوثيق وكيفية جمع الرسائل الجامعية وادارة مكتبة متخصصة والاشراف على برنامج نشر الببلوجرافيا المختصة بالرسائل .

٧ ـ محرر / باحث :

مختص في تحرير الكتابات المتعلقة بالعلوم الاجتماعية .. لديه خبرة في الصحافة المتخصصة .

وبحكم ندرة الكفاءات المذكورة أعلاه فان المشروع يرغب في التعاون مع الزملاء بكافة الأشكال الممكنة سواء بالتفرغ للعمل في المشروع والتواجد في قطر لمن تسمح له ظروفه بذلك أو التعاون في مجال الندوات والدراسات المختصة لمن لا تسمح له ظروفه بالتفرغ التام .

يرجى من الزملاء الراغبين في التعاون مع المشروع الكتابة الينا على العنوان التالي :

مشروع دراسات التنمية لأقطار الخليج العربي

جامعة قطر (ص . ب ٢٧١٣ الدوحة ـ قطر)

آخر مسرحية لساروبان

كان وليام ساروبان قد قام بزيارة الى فيينا فى الصيف الماضى لحضور العرض الافتتاحي على المسرح الانجليزى بالمدينة لمسرحيته «الاعيب» فقضى بضعة أيام بالعاصمة النمساوية فى جولات مطولة عبر شوارعها ومنتزهاتها ، مسجلا كل ما يرى ويسمع . ولدى عودته الى باريس كتب مسرحية كوميدية فى إطار مدينة فيينا بث فيها حصيلة ملاحظاته .

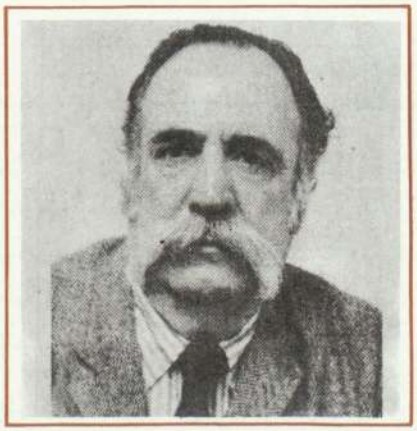
ولم تكن المسرحية قد نشرت عندما مات ساروبان فى شهر مايو المنصرم . وقد ادرجت فى برنامج الموسم القادم للمسرح الانجليزي بفيينا فالنص الذى كتبه مكتمل ، ولكن عبء اختيار الرقصات والاغاني ، «المايم» سيرثه مخرج المسرحية ، لأن الكاتب الراحل قد وجه بها ، ولم يحددها . وكانت تلك هي آخر اعمال ساروبان المسرحية .. وبعنوان «حكايات من شوارع فيينا» .

لم يهجر ساروبان عالم المسرح ، ولكن المسرح بعد الحرب الثانية تخلى عن ساروبان بالرغم من نجاح مسرحيته « قلبى فى الاعالي » التى كتبها قبل الحرب ، ومسرحياته الأخرى «اهل الجمال» و «اغنية الحب القديم الحلوة» و «سلام على من هناك» .

فقد واصل تاليف المسرحيات ، بجانب ما كان يدفق عنه من اعمال روائية ، وقصصية ، وتسجيل لسيرة حياته ؛ ولكنه فشل في العثور على من يمول اخراج تلك المسرحيات . كان خارج تيار تقليعات الموسم . لم يكن متخلفا عن حركة زمانه ، كان سابقا سباقا لها .

وكانت برودواى قد رفضت مسرحيته «لا تمض فى غضب» (١٩٤٨) وبشكل فظيع .. لأن خلفية المسرحية فى عنبر بمستشفى لمرضى السرطان ؛ ولم تكن تلك الأشياء مما يتسامح فيه المسرح وقتها . وربما كانت فرصة اظهارها اوسع هذه الأيام حيث الجمهور يقبل متحمسا على مسرحيات مثل «الأجنحة» و «حياة من هي على اية حال؟ » و «الرجل الفيل» .. ومع ذلك فالمسرحية الوحيدة التى بين المسرحيات التى كتبها ساروبان قبل الحرب ، التى وصلت مسارح نيويورك ، هي مسرحية «اهل الكهف» (١٩٥٧) .

ولكن ذاك الاهمال لم يثبط همة ساروبان اطلاقا . وقبل عامين كانت ادراجه مكتظة بالمسرحيات ، وكان نشطاً فى كتابة غيرها ، حتى انه كان يكتب بمعدل مسرحية كل اسبوع .



وليم ساروبان

وعندما اقترح المسرح الانجليزى بفيينا إدراج اسمه فى قائمة المسرحيين الأمريكيين المرموقين الذين يقدمهم ــ ومنهم ثورنتون وايلدر ، وتنيسي وليامز ، وإدجار لي ماسترز ــ استجاب ساروبان بان ارسل اليهم نص مسرحيته «الاعيب» وهي عبارة عن «اسكتشات» يقوم فيها باضفاء الحياة على الأشياء المالوفة ويسبغ عليها قدرة الأفصاح عن ذاتها ، والنقاش والمحاورة فى امور مختلفة .

ومسرحيته الأخيرة تعبر عن قدرته المميزة التى يجتمع فيها الحلو والمر فى الدعابة ، والخروج الكامل عن اية قوانين ثابتة فى كتابة المسرحية . والمدينة ــ فيينا ــ التى يصور فيها هذه المسرحية هي من بنات خياله المبدع ، وان كان قد استخدم بعض لقطات من بين ملاحظاته العديدة . وتجرى احداث المسرحية فى مقهى على شارع (القرابن) وهو شارع عريض وممتد ، ويقع امام كاتدرائية سنت استيفن . وصاحب المقهى السخي الفضولي ارمني مثل ساروبان ، يكثر الحديث الطري عن بلاده المفقودة ، وعن شعبها العظيم وادابها الرفيعة . وهناك خمس شخصيات اخرى : «شميدت» الذى يمثل كل الناس المتحضرين وفى سن الرابعة والأربعين والثمانية والستين ، و«اليس» التى تمثل انماطا مختلفة من النساء ، وتفاخر بانها تتمتع بخصال ديزدمونا وسنت جوان ، وكليوباترا ، وفلورنس نايتينقيل ، وماتا هاري .. وهناك الفتاة التى ترمز الى اكتمال ابنة الجنس البشري ، والفتى الذى يمثل ابن الانسان ، والشرطي النمطي .

ويدور بين هؤلاء حوار فى المقهى حول اسرار الميلاد والحب والموت . وفى حديثهم الحكمة والحس الفكاهي والاستهبال ، ويقفزون من موضوع لآخر : بيتهوفن ، شوبارت ، فاجنر ، ليهار ، نيتشه ، فرويد ، يونج ، الدين ، الكتاب المقدس ، الولادة ، الاجهاض ، بضع نساء ورجال ، الشهية ، الجوع ، الطعام والشراب ، أوبئيل ومسرح الفقد والخسران والندم ، بيكيت ومسرح اليأس وانعدام المعنى ، بيراندييللو ومسرح الزام الذات ، شكسبير ومسرح الفيض والعطاء .

وبالمسرحية أفكار مثيرة للجدل تفوق ما تتضمنه مجموعة من عشرين مسرحية تعرض الآن في نيويورك ولندن ، وهناك حديث شجي عن الموت ، وكأنما كان ساروبان يحدس دنو المنية منه حين كتب هذه المسرحية . وكل صفحة من نص المسرحية يعلوها تاريخ وساعة كتابتها . وهي كمسرحية أو دراما أو سمها ماشئت ، تنطوى على اسئلة لا حصر لها ، وتابي ان تقدم اجوبة او حلولا ناجزة .. وتلك هى مهمة المسرح .

ويضمن ساروبان مسرحيته الأخيرة هذه صوتا من خارج الخشبة للحركة الفعلية فى شوارع فيينا ، وهو صوت عازف هرم لآلة الأكورديون ، الذى يغنى بصوته الوهن الخافت اغنامًا تغص بالتشوقات والحنين المتنامى . وقد اطلق عليه اسم «القبرة» .. ويمكن ان يصادفه المرء فى وقت متاخر من النهار فى شارع «الجرابن» بفيينا

ان هذا العمل الأخير لساروبان يفصح عن كل خصائص عبقريته . انه اغنيته الأخيرة .

٢ مليون استرليني للأدباء والمفكرين

اعتمدت حكومة تاتشر مبلغ مليوني جنيه استرليني سنوياً لتدفع للكتاب البريطانيين بواقع نصف بنس عن كل مرة يستعار فيها واحد من كتبهم من المكتبات العامة . وهذا القرار ثمرة لأخذ ورد بين الكتاب البريطانيين وحكومة بلادهم دام ثلاثين عاما.

والمعروف انه مقابل كل كتاب يباع فى السوق تتم استعارة عشر نسخ من كل مكتبة من اصل ٦٠٠٠ مكتبة عامة فى البلاد .

ويخضع هذا القرار فى تفاصيله لاجازة البرلمان البريطاني له .. ولكن المتفق عليه الا يمنح اى كاتب اكثر من ٥٠٠ جنيه استرليني فى العام الواحد من عائد كتبه المعارة .

جـــوردون هيث
يغـــني لبـــول روبصـــون



بول روبصون



جوردون هيث

يذكر جوردون هيث ان المغنى الزنجى بول روبصون دلف الى غرفة المكياج التى كان بها عندما كان يقوم بالتمثيل فى برودواى عام ١٩٤٧ فى مسرحية «عميقة هى الجذور» ، ويقول :

«كانت الغرفة صغيرة جداً ، وكان بول عملاقاً ضخماً . وكنت احلم باللقاء به ... وها هو كله امامى ، يقدم لي يداً ضخمة ، ويواصل ابتسامة سخية رحبت بى فى عالم من الاخاء العامر .

كان كـلانا اسود ، وممثلا ، ويقف موقفاً يحتج على امور كثيرة تجرى فى هذا العالم . ولكنه كان قد قطع شوطاً بعيداً فى موقف الاحتجاج الذى كان ثابتاً عليه طيلة عمره ، وفى كل تصريحاته ..

ولم اكن انا سوى بوق لعدد من كتاب المسرح البيض الشماليين ذوى النوايا التقدمية الكريمة التى يسيجها حرص محسوب على ما يعود الى جيوبهم من شبابيك التذاكر . وكانت مواقف بول روبصون ذائعة على مستوى عالمى ، ولكنه وافق على القيام بدور فى المسرحية باعتبارها نقطة ضئيلة تتبلور حولها كل اشكال التحيز والافكار المصاحبة له .

لم يقل الكثير .. واعتبر بشكل ضمنى اننا كنا نخوض نفس المعركة .. وان كنت انا المنافح الاقل وزناً فى الحلبة . واثناء اربعة عشر شهراً تالية واصلنا فيها تقديم المسرحية ، وجدنا اننا نقتسم خندقاً واحداً ، ونحرص على قيادة واحدة ، ونغنى ونظهر امام الجمهور محتجين للقضية نفسها وكنت حريصاً على ان اكون جديراً ومستحقاً لتلك اليد التى شدت على يدى، وتلك الابتسامة التى حيتنى مرحبة بى فى عالم بول روبصون» .

لقد كان بول روبصون ، ابن العبد الزنجى المعتوق ، فناناً لامعاً فى المسرح وفى صالات المسرح الموسيقى . وكان قد التقى «بكارل فان فشتين» وناشره «الفريد كنوبف» فى حى هارلم ايام بوهميته فى العشرينات من هذا القرن ، وفعلوا الكثير لترقية حركة البعث الفنى والأدبى والموسيقى فى محيط الثقافة الزنجية الأمريكية . وفى حفلات الكوكتيل التى كان «فان فشتين» يقيمها فى بيته ويتم فيها اختلاط اجتماعى سليم بين البيض والسود فى زمان كانينكر مثل ذاك الاختلاط ، التقى بول روبصون بعدد من الكتاب والفنانين ذوى الشهرة والصيت على المستوى العالمى .

وقد اختاره الكاتب اوجين اونيل ليقوم بدور المحامى الأسود الذى يتزوج امراة بيضاء فى مسرحية «كلنا احرار» ، والتى جوبهت بحملة منظمة عنيفة لمنع اخراجها ، ولكنها قدمت وحققت نجاحاً كبيراً . وقد تاثر «اوجين اونيل» باداء بول روبصون ، فحله محل الممثل «شارلز جيلبن» فى مسرحية «الامبراطور جونز» فى جولة قامت بها الفرقة . وفى عام ١٩٢٨ استضافت لندن المغنى الزنجى ليقوم بدور «جو» فى المسرحية الغنائية الأمريكية فى ثوبها الانجليزى ، مسرحية «شو بوت» . وظل فى انجلترا بضع سنوات كمغن مشهود له ، وممثل قادر ، تحرص ارستقراطية لندن على مصادقته.

ووجده عام ١٩٣٥ فى موسكو ، ولكن مشروع انتاج فيلم مع المخرج سيرجى اينشتاين اخفق . وعاد الى نيويورك فى عام ١٩٤٣ ، حيث قام بدور «عطيل» والذى كان قد قام به طيلة ثلاثة عشر عاماً بلندن ؛ ولكنه اصاب نجاحاً كاملا فى برودواى ، وسجل اطول مدة تستمرها مسرحية لشكسبير فى مانهاتن .

ثم هبط الظلام المكارثى فى دنيا الثقافة كما فى دنيا السياسة . يقول جوردون هيث :

«فى الفترة المكارثية تم كتم صوت بول روبصون واسكاته بشكل كامل وكانه قد اعتقل وسجن . وكان القلق يعذبنا لا لجزع على سلامة بول ، ولكن لاختفاء قدوتنا ، الذى كان فى نظر حملة القائمة السوداء وسدنتها «مناهضاً للفاشية» ، ولعلمنا التام بانه رفيق نضال ووطنى مخلص : وقد وجدت نفسى اقوم بادوار بول روبصون فى اوروبا .. فقدمت «الامبراطور جونز» اذاعياً وتلفزيونياً .. مرة . وقمت بدوره فى «عطيل» ، مرتين على خشبة المسرح ، ومرة فى التلفاز ، وغنيت اغانيه «اهبط يا موسى» و «اغنية حب افريقية» وغيرهما . وكان الناس فى انجلترا يشبهوننى به ، وتلك مفخرة لي ، لانهم كانوا يقدرون كلا منا ، ويدركون ان جيلا يفصل بيننا .

وعندما مات بول روبصون ، هيات له هارلم كل ما يستحق من تكريم وشرف ، وان جاءا متاخرين قليلا .. وفوق ذلك ، فان افضل ما قدم لذكرى روبصون هو السيرة التى جمعها «فيليب هيز دين» لتعريف هذا الجيل ببول روبصون ، وليذكر جيلنا نحن بما كان يعنيه بول بالنسبة لنا .

وما اريد القيام به مساهمة منى هو ان اروى قصة بول روبصون بنفسى تعبيراً عن حب واحترام واعجاب اكنه له .

لقد كان بول روبصون انساناً عظيماً ، ولا اريد لاسمه او فعله النسيان» .

همنجواي في باريس

دونما جلبة أو تكبد منصرفات دعاية باهظة افتتح فندق «الريتز» بباريس مشربا جانبياً اطلق عليه اسم الروائي الامريكي الراحل ارنست همنجواى . وإعادة افتتاح هذا المشرب التاريخي ، بكل ما يحركه فى الفرنسيين من حنين وذكريات دافئة هي جزء من برنامج تجديد الفندق الباريسي الذى رصد له ملاكه الجدد ، المصريـون ، مبلغ ٢٥ مليون دولارا امريكياً ..

وليس بالمكان ثمة ما يذكر بهمنجواى سوى الساقي كلود ديكوبير الذى كان وطيد الصداقة مـع الكاتـب الامريـكي لفتـرة تزيـد عـن خمسـة عشر عاماً .. وقد قابلـه اول مـرة عـام ١٩٤٧، بعد الحرب الثانية ايام كان همنجواى فى قمة رغد عيشه ، ينزل «الريتز» فى طريقه الى اسبانيا لمشاهدة مصارعة الثيران ، او يمضى للصيد فى ادغال افريقيا . لقد عرفه فى اوج مجده الادبي .. بعد ان حاز على جائزة نوبل فى الأدب .

ويروي كلود ديكوبير ان همنجواى «كان ليثـا من الرجال .. يمنحك الاحساس بالقوة .. فاذا قال لك انك سترقى جبلا ، لصدقته وصعدت الى القمة »

وهو يذكره وقد استند بكوعه على طرف المشرب ، مكانه المفضل . « كان يكره الجلوس الى طاولة . وكان يمتثل لقوانين الفندق القاضية بارتداء بذلة كاملة وربط عنق .. وبالرغم من انه كان يعب من كل صنف من أصناف الشراب ، لم أره مخموراً .. قط » .

ويروى عنه انه كان حين ينزل الفندق مع زوجته ، يختلي بنفسه فى الحمام ليلا .. للكتابة .. كيلا يزعج زوجته .

« وكان يصحبني معه الى مباريات الملاكمة فى شارع سنت دنيس . ولم يكن ليذهب فى سيارة خاصة ، بل يركب المترو ، لأنه كان يريد الاختلاط بالناس » .

وقد أهداه همنجواى أربع بنادق .. وكان يقول له : « رمز هي هذه البندقية .. لأنك يجب أن تقاتل فى هذه الحياة . وعندما تجابه الصعاب ، تذكر أن عليك أن تقاتل » .

ويذكر ديكلوبير همنجواى كانسان منفتح ، منشرح النفس . « كان يحلو له ان يخبطنى برفق على بطني .. ثم يسألني عن احدث الألفاظ الشعبية .. وكان يتحدث الفرنسية .. بطلاقة ».



ارنست همنجواى

وكان همنجواى يقصد المشرب احياناً بصحبة الممثل «جاري كوبر» . ويحتفظ ديكوبيرباوتوجراف (توقيع) الممثل الكبير ، ولكنه لم يجرؤ ، كما قال ، ان يطلب توقيع الروائي طيلة فترة صداقتهما .

وذات مرة ابتاع رواية جديدة لهمنجواى فى طبعة انيقة مغلفة ، فعنفه همنجواى قائلا : «لماذا بددت مالك بهذه الصورة الغبية ؟ اشتر نسخة جيب (نسخة شعبية) فى المرة القادمة .. فانك واجد بها نفس الشيء » .

ويروى ديكوبير ان حادثي طائرة وقعا للكاتب فى افريقيـا ، احدثا به تغييرا .. « كان موضوعه المفضل أن يتكلم عن الموت .. كان يتحدث عن الموت وكأنه ينازله .. لكنه كان يخشاه ويهابه .. بشكل فظيع ..»

وفى عام ١٩٦٢ سمع الساقي نبأ انتحار الروائي .. فاحس كما يقول بانه فقد اهم شخص أثرى حياته ، واثر فيه . « كان من عادته ان يقول لي (عليك أن تقاتل .. والا تستسلم .. ابداً) ومازلت كلما واجهتني مشكلة افكر به واذكره .

لقد طلب الي بعضهم ان اكتب ذكرياتي .. ولكنني ، إن فعلت ، لن ياتمني احـد علـى اسراره» .

اتجـاه جـديـد في التصويـر الفوتوغـرافي

فى معرض التصوير الفوتوغرافي الذى اقيم فى مركز جورج بومبيدو بباريس فى منتصف الشهر الماضي ، سجل النقاد بروز ميل حاد لدى المصورين نحو اضاءة ذواتهم ومحاولة تحقيق هوية حقيقية او مستعارة فى العالم ؛ وابتداع اساليب جديدة فى تصوير الذات يغلب عليها طابع البحث عن مواقف يصب فيها المصور نفسه ، ويفرغ مشاعره ، ويحدد من ثمة نظرته الى العالم بطريقة اكثر مباشرة .

وبعد ان كان المعهود فى عين المصور اهتمامها بالقضايا الاجتماعية ورصد حركة العالم الخارجي ، ، اصبح المصور فيما يبدو من صور المعرض ، يستخدم الكاميرا كوسيلة لمعرفة ذاته فى تشكيل يطرح هواجس النفس ويستشف ايماءات المستقبل .



لقطة من المعرض

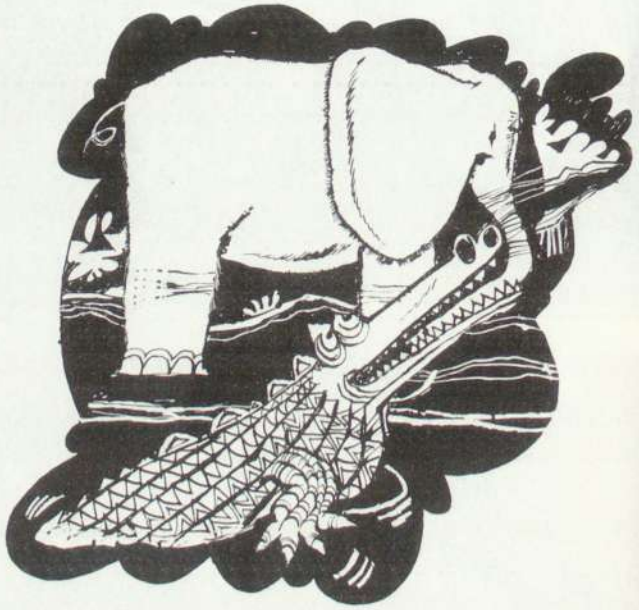


محاولة لمعرفة من خلال لقطة فوتوغرافية .

● قصـــــة ●

بقلم: يوسف الشـــاروني

الجد والحفيد





كنت أقص على حفيدي قصة الفيل الذى لم يسمع كلام أمه

ـ هل تعرف الفيل ؟

ـ نعم رأيته فى حديقة الحيوان .

ـ كيف شكله ؟

ـ له خرطوم طويل يأخذ به القروش من الأولاد ويعطيها للرجل .

ـ تقصد الحارس ؟

ـ نعم ، وأذناه كبيرتان ، وجسمه كبير أسود .

ـ عندما كان صغيرا مثلك ، كان أنفه مثل أنفك وأذناه مثل أذنيك . وقد نبهت عليه أمه ألا يذهب الى البحر ( ) وحده لأن هناك التمساح .

ـ وما التمساح ؟

ـ سمكة كبيرة جداً لها أسنان كالمنشار .

ـ جارنا عم جاد النجار رأيته يقطع الخشب بالمنشار .

ـ مضبوط .

ـ أنت لم تحك لي حكاية الفيل .

ـ لأنك تقاطعني .

ـ ماذا حدث بعد أن قالت أم الفيل لابنها أن التمساح فى البحر ؟

ـ قالت أم الفيل أن التمساح يعيش مختبئاً تحت الماء فى انتظار الأفيال الصغيرة ، لكن الفيل قال إن أمه تضحك عليه وأنه لا يوجد شيء اسمه تماسيح . كل ما هنالك أنها تخاف عليه من الغرق ، ولهذا فهي تخيفه بكلامها عن التمساح . وفى يوم من الأيام كانت أمه مشغولة فى المطبخ تعد له طعام الغداء ، فتسلل على أطراف أقدامه نحو باب البيت ، وبحذر شديد ، وبغير أن تحس الأم ، فتحه دون أن يحدث صوتاً . وما أن رأى نفسه في الشارع حتى سار يقفز فرحاً مسرعاً نحو البحر . وهناك تذكر كلام أمه ، فوقف قليلا ليرى إن كان كلامها صحيحاً .

لكنه وجد سطح الماء هادئاً ، ولا توجد إلا مراكب بعيدة تشق البحر . فقال في نفسه مرة أخرى أن أمه لابد وأنها تضحك عليه . وتقدم نحو الماء يريد أن يستمتع بشرب الماء منه ، ويجرب ـ إن أمكن ـ أن يعوم فيه بعد ذلك . ولكن التمساح الماكر كان مختبئاً تحت المياه يراقب الفيل . وما أن مد الفيل رأسه ليشرب حتى هجم عليه التمساح ، وكانت أنفه أقرب جزء لأسنانه ، فقبض عليها التمساح وظل يشدها محاولاً أن يسحب الفيل كله الى الماء ليأكله . ولكن الفيل كانَ قوياً فقاوم التمساح ، وظل يتراجع الى الوراء بينما الفيل يشد أنفه . وأخذت أنف الفيل تستطيل وتستطيل وكل منهما يشدها نحوه ، حتى استطاع الفيل في النهاية أن يفلت بمعجزة من التمساح ولكن بعد أن استطالت أنفه وأصبحت خرطوماً طويلا مدلى أمامه .

وعاد الفيل الصغير الى أمه خجلا خائفاً . ودخل البيت محاولا أن يخفى جريمته ولكن خرطومه كان يفضحه . فما أن رأته أمه حتى صاحت فيه : لماذا لم تسمع كلامي ، هذا جزاؤك . ثم شدته من أذنيه لتعاقبه وظلت تشدهما وتشدهما وهو يبكي حتى كبرتا .

وهكذا كلما رأيت الفيل بخرطومه الطويل وأذنيه الكبيرتين تذكر أن هذا جزاء من لا يسمع كلام أمه .

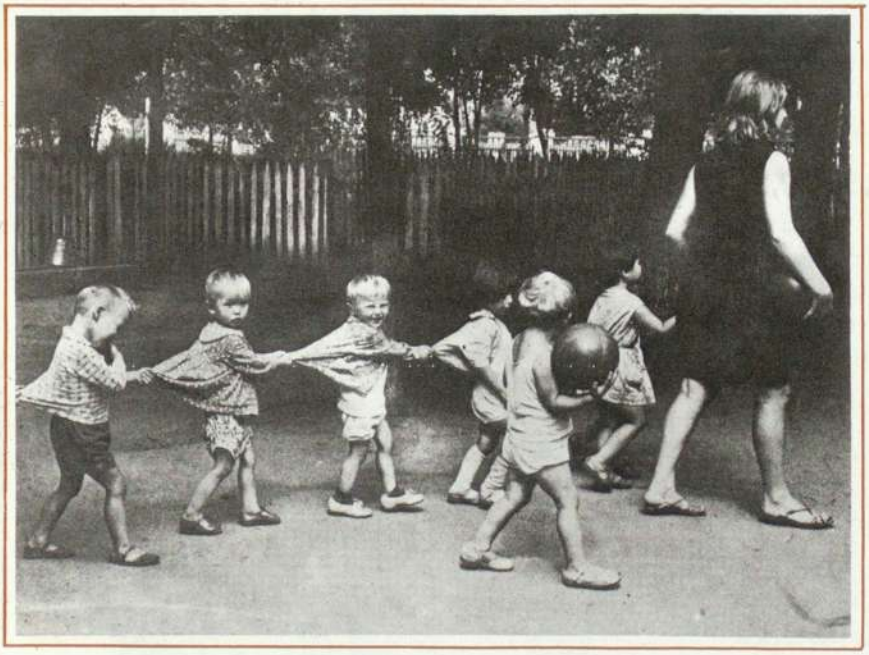
لكن حفيدي ـ ابن الخامسة ـ بدا عليه القلق ، وقال في صوت يملؤه الشك .

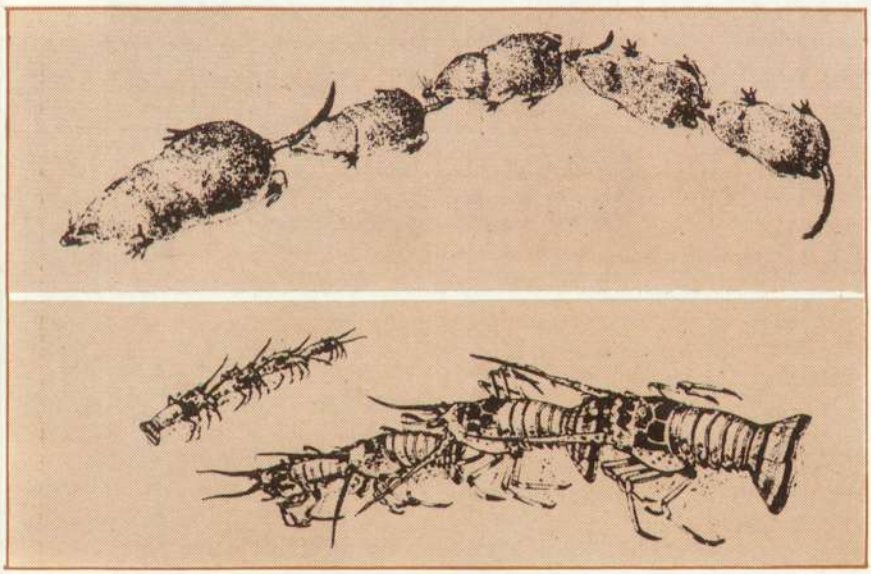
ـ لكن ياجدى أنا أذهب مع بابا وماما الى بحر اسكندرية كل صيف ونعوم فيه ولا نجد أية تماسيح

يوسف الشاروني

لقطات من الكون المثير

الأمان فى التماسك والترابط





يعتقد معظم العلماء الذين يدرسون سلوك الحيوان أن لبعض تصرفاتنا وحركاتنا وسلوكنا جذوراً قديمة مشتقة من عالم الحيوان ، فبعض أنواع الكائنات البحرية إذا سبحت وتحركت ، فانها تتحرك فى طوابير تشبه طوابير البشر ، وإذا انطلقت انثى حيوان الزباب (حيوان قريب الشبه بالفار) باطفالها الصغار ، امسك أولهم بذيل أمه ، ثم يمسك كل واحد بذيل أخيه ، حتى لا يضل الطريق ، وهذا السلوك الحيواني له ما يشبههفى السلوك الانساني ، إذ أن الصورة المنشورة هنا تعبر عن ذلك أطرف تعبير فلكي تضمن المربية ألا يضل أحد الصغار طريقه فقد أمرتهم أن يمسك كل منهم «بذيل» قميص صاحبه ، وسار «الكابتن» الصغير حاملا الكرة ، وعينه على الفريق .. لاحظ التعبيرات التى تبدو على وجوه الصغار ، تجدها مزيجاً من الجدية والكسوف والمزاح ، ذلك أن الانسان هو المخلوق الوحيد ذو الوجه المعبر ، لكن ما أجمل التعبيرات التى ترتسم على وجوه الأطفال !

رغم اللحية والشارب



من أول نظرة قد تظن أن الصورة لرجل ، لكنها ليست كذلك ، فرغم اللحية الكثيفة ، والشارب الواضح ، والصلعة التى بدأت تزحف على الجبهة ، والشعر النابت على الصدر ، رغم كل هذا ، فان الصورة لأنسة مكتملة الأنوثة ، وتدعى مس فرانسيس مورفي من مدينة نيويورك ، وترجع هذه الحالة الشاذة الى اضطراب في موازين هرمونات الجنس الذكرية ، نتيجة لنشاط زائد فى بعض الجينات أو الموروثات المسئولة عن انتاج هذه الهرمونات ، وتعتبر مثل هذه الحالات شاذة ونادرة للغاية ، ولكن أغربها كانت لحية حملتها سيدة تدعى جانيس ديفيري من ولاية كنتوكي بالولايات المتحدة ، وقد توفيت فى نهاية القرن الماضي عن لحية بلغ طولها أكثر من ثلث المتر ، أو بالتحديد ٣٦ سنتيمتراً ، وما أغرب مفارقات الحياة ، خاصة عندما تنقلب فيها بعض المعايير .



وللناس فيما يعشقون مذاهب !

تامل فى الصورة جيداً ، علك تكتشف ان هذا الرجل يحمل فوق كتفيه وعلى ذراعه لحيته التى رعاها وحافظ عليها حتى استطالت ، وارتكز طرفها على الارض عند قدميه .. هذا ويبلغ طول اللحية خمسة امتار وثلث المتر ، وقد يظن البعض ان هذا الرقم مبالغ فيه الى ابعد الحدود ، ولكن الحقيقة ان اللحية محفوظة فى معهد سميثونيان فى واشنجطن ، لتكون دليلا على ان اللحية بحق اطول من صاحبها بحوالي ثلاث مرات ، هذا ومما يذكر ان صاحب اللحية نرويجي الأصل ، ويدعى هانز لانجست ، ثم امضى فى الولايات المتحدة ١٥ عاماً، ومات بولاية ايوا عام ١٩٢٧ عن ٨١ عاما ، تاركاً وراءه اطول لحية حملها بشر حتى الآن !



« أمسك الخشـب »

تشير الاحصائيات الى أن عدد المواليد من الذكور يتساوى عموماً وبالتقريب مع عدد المواليد من الاناث ، لأن احتمالات عمليات الاخصاب لانتاج الجنسين تقع فى حدود ٥٠٪ للبنات والأولاد ، ومع ذلك فهناك حالات جد قليلة تشير الى ذرية من بنين صرف ، أو بنات صرف ، خاصة إذا كان عدد المواليد فى العائلة الواحدة لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة ، أو فى حالات نادرة لا يتجاوز عدد أصابع اليدين ، لكن وجه الغرابة فى الصورة المنشورة أن السيد م . هاريسون وزوجته (الواقفان الى اقصى اليمين) قد انجبا دستة كاملة من ذكور تعرض نفسها فى طابور ، هذا بالاضافة الى المولود الثالث عشر المحمول بين ذراعيها ، وهو أيضاً ذكر ، ويرزق اللـه من يشاء بالبنيـن !

ع . ص



رفاعة رافع الطهطاوي

أستاذ التنوير في الفكر العربي الحديث

بقلم الدكتور : محمد عمارة

هو رفاعة بن بدوى بن على بن محمد ابن على بن رافع .. يتصل نسبه لأبيه ، بالحسين بن على بن أبى طالب ، رضي الله عنهما .. ولأمه بـ «الخزرج» ـ من الانصار ـ ..

وكان مولده بمدينة «طهطا» بمحافظة « سوهلج » ، بصعيد مصر فى ١٥ أكتوبر ١٨٠١م (٧ جمادى الثانية ١٢١٦هـ) فى ذات اليوم الذى جلت فيه حملة بونابرت عن الديار المصرية ! ..

وبسبب الاصلاحات الاقتصادية التى انجزتها حكومة محمد على باشا (١٧٦٩ ـ ١٨٤٩) فقدت اسرة الطهطاوي امتيازات «الالتزام» ـ شكل الاستغلال الاقطاعي الزراعي الذى ساد حتى ذلك التاريخ ـ الأمر الذى اضطر والده الى النزوح عن طهطا ١٨١٣م ، عندما كان رفاعة فى الثانية عشرة من عمره ، فاقام بعدة قرى، بالصعيد طالباً العيش لأسرته ، ومهيئاً لولده السبيل لحفظ القرآن الكريم ..

وعندما انتقل الوالد الى جوار ربه عاد رفاعة الى «طهطا» ليواصل نشاته فى كفالة بيت من بيوت العلم هو بيت أخواله ـ آل الانصاري ـ .. حيث تعلم على يد علماء هذا البيت « المتون » التى كانت متداولة فى ذلك العصر ، فى الفقه والنحو وفنون المعقول والمنقول ! ..

وفى السادسة عشرة من عمره (١٨١٧م ، ١٢٣٢هـ) ركب النيل الى القاهرة فى رحلة شاقة ، استغرقت أسبوعين ، ليلتحق بالأزهر الشريف ، وفيه ظهرت أمارات نجابته ، تلك النجابة التى أعانته على اتمام التحصيل السريع فتخرج من الأزهر بعد ست سنوات ـ ١٨٢١ ـ وانتقل من موقع الطالب الى مكان المدرس فى نفس المعهد العتيد ! .. لقد تتلمذ الطهطاوي ، بالأزهر ، على شيوخ أجلاء كثيرين : الشيخ الفضالي ، الشيخ حسن القويسني ، والشيخ البخاري ، والشيخ البنا ، والشيخ الدمنهوري ، والشيخ محمد حبيش ، والشيخ البيجورى ، والشيخ أحمد الدمهوجي الخ .. الخ .. ثم أصبح واحداً من هؤلاء الشيوخ .. لكن أبرز شيوخه وأكثرهم تأثيراً على فكره وعقله كان هو الشيخ حسن العطار (١١٨٠ ـ ١٢٥١هـ ١٧٦٦ ـ ١٨٣٥م) ذلك الذى أوصله العلم الى كرسي مشيخة الأزهر ، وأوصلته استنارته الى إدراك مافي الحضارة الأوربية القادمة مع علماء الحملة الفرنسية من أسباب للقوة العلمية تتطلب من الأمة أن تنهض وتترقى ، سالكة سبيل التغيير واليقظة والتجديد .. وكما كان للشيخ العطار عند الطهطاوي ـ التلميذ ـ مكانة خاصة ، كان للتلميذ ـ الطهطاوي ـ مكان متميز عند الشيخ العطار ! .. بل لقد استمرت هذه التلمذة الفكرية حتى بعد أن أصبح الطهطاوي واحداً من الشيوخ فى الأزهر الشريف ، إذ كانا يشتركان فى

مطالعة الكتب « الغربية » التى لا تتداولها أيدي الشيوخ ! ..

وبعد عامين من التدريس فى الأزهر (١٨٢٢ ـ ١٨٢٤م) دخل الطهطاوي سلك الوظائف « الميرية » واعظاً وإماماً فى الجيش .. فلما كانت ١٨٢٦م طلب محمد على من شيخ الأزهر حسن العطار ترشيح شيخ يتولى الامامة الدينية لأكبر بعثات مصر العلمية المسافرة الى باريس ، فرشح العطار تلميذه رفاعة ، وأوصاه أن يكتب مشاهداته فى باريس ، ليقدم لأبناء أمته كتاباً فى أدب الرحلات كما فعل من قبل ابن بطوطة وابن جبير ! ..

ومنذ اقلاع الباخرة بطلاب البعثة ، ومعهم رفاعة ، من الأسكندرية فى ٦ رمضان ١٢٤١هـ ـ ٢٤ ابريل ١٨٢٦م ـ شرع الشيخ فى تعلم اللغة الفرنسية ، فأنبأ بذلك عن طموحه لما هو أكثر من إمامة البعثة فى الصلاة وتعليمها أمور الدين ! وفى باريس واصل دراسة الفرنسية ، فاقتطع من مخصصاته ، التى لم تتعد ٢٥٠ قرشاً ، أثمان الكتب والدروس ، مركزاً على إجادة القراءة والفهم ، كي يترجم الى العربية التى كان يجيدها ، علوم الحضارة الأوربية التى تالقت فى الفكر الفرنسي فى ذلك التاريخ .. وعندما لفتت مبادرته هذه أنظار المشرفين على البعثة ، فكتبوا عنها الى الحكومة المصرية ، قررت اضافته الى أعضاء البعثة ، كدارس ، فضلا عن إمامته لها فى أمور الدين ! ..

وبعد عشرين شهراً ـ فى ٢٨ فبراير ـ أول مارس ١٨٢٨م ـ اجتاز الطهطاوي ، بنجاح أول امتحان ، وتقرر أن يتخصص فى الترجمة من الفرنسية الى العربية ، بل وأنجز ترجمة كتاب (مبادىء العلوم المعدنية) وتقويما لمصر وسورية ، وأرسلهما للحكومة المصرية ليطبعا فى مطبعة بولاق ! .. ومنذ ذلك التاريخ قرر رفاعة أن ينهض فى حياة أمته بذات الدور الذى لعبه المترجمون فى العصر العباسى ، فهو يريد تجديد فكرة الأمة وحياتها باتاحة الفكر الحضاري الفرنسي لعقول أبنائها، كما فتح المترجمون الأوائل نوافذ للعقل العربي الاسلامي على مختلف الحضارات .. لقد تتلمذ فى باريس على علماء أجلاء، منهم «جومار» و «سلفستر دى ساسي» و «كوسان دى برسفال» .. الخ .. الخ .. وقرأ لأعلام بارزين ، من مثل « منتسكيو » و «جان جاك روسو» .. الخ .. الخ .. وترجم ، قبل أن يعود الى مصر سنة ١٨٣١م ، ١٢٤٧هـ ، أكثر من اثني عشر نصاً فرنسياً ، ما بين رسالة ومقالة وكتاب ، كما ألف كتابه الفذ (تخليص الابريز فى تلخيص باريز) فى صورة بحث اجتاز به الامتحان النهائي الذى عقد فى ١٩ أكتوبر ١٩٣٠م ، وهو الكتاب الذى أراد به ـ كما قال أحد اساتذته ـ « أن يوقظ أهل الاسلام ، ويدخل عندهم الرغبة فى المعارف المفيدة ، ويولد عندهم محبة تعلم التمدن الأفرنجي ، والترقى فى صنائع المعاش .. » ! .. أما هو فقد سأل الله فى مقدمته « أن يوقظ به من نوم الغفلة سائر أمم الاسلام ، من عرب وعجم ، إنه سميع مجيب ، وقاصده لا يخيب ! » ..

وبعد عودة الطهطاوي الى مصر ، قدم الى استاذه الشيخ حسن العطار كتابه هذا ، فقرظه ، وقدمه الى محمد على باشا ، الذى أعجب به ، وأمر بقراءة نسخته المخطوطة فى«قصوره وسراياته » ، وبعد طبعه وترجمته الى التركية وزعت نسخة على الدواوين والوجوه والأعيان ، وترتبت مطالعته فى المدارس المصرية ، فكان بداية الريادة لذلك الجهد الفكري العملاق الذى أيقظ به الطهطاوي الأمة ، ونقلها به من العصور المظلمة الى أعتاب عصرها الحديث ! ..

ومن خلال المناصب العديدة التى تولاها الطهطاوى ، وبواسطة الأعمال الفكرية الكثيرة التى ترجمها أو أشرف على ترجمتها ، وكذلك المؤسسات التعليمية والمنابر الثقافية التى أنشأها أو أشرف عليها أو أسهم فيها ، من خلال كل هذه السبل والأدوات رسخت قدم الطهطاوي فى النهضة الفكرية والتعليمية والتحديثية ، كرائد لأمته فى العديد من الميادين ..

● فبعد أن عمل مترجماً فى مدرسة الطب واجهته مشكلة المصطلحات ، فنقب فى تراثنا العلمي عنها حتى بعثها وعند افتقادها كان يلجأ للعامية ، ثم كان يستعير المصطلحات الفرنسية إذا لم تسعفه العربية الفصحى ولا العامية .. ثم كانت «مدرسة الألسن» التى قامت بناء على اقتراحه ، سنة ١٨٣٥م ١٢٥١هـ ، والتى اقامها «جامعة» على غرار « مدرسة اللغات الشرقية » بباريس «لينتفع بها أبناء الوطن ، ويستغنى بها عن الدخيل ، ولتقليل التغرب فى بلاد أوربا .. » .. كانت هذه المدرسة مع «قلم الترجمة» الذى أنشأه سنة ١٨٤١م النافذتان اللتان أطل منهما العقل العربي على الحضارة الأوربية بعد علة استمرت عدة قرون ! ..

● وفى ميدان البعث الوطني والقومي كان الطهطاوي رائداً بما أبدع

منتسكيو



جان جاك روسو





رفاعة رافع الطهطاوي

أستاذ التنوير في الفكر العربي الحديث

من أناشيد وطنية ، وبما نظم من قصائد سجلت انتصارات الجيش الوطنى ضد الأتراك والأوربيين .. وبأول متحف للآثار الوطنية ، اقترحه وأقامه ، ليلفت نظر الأمة الى عمقها الحضاري ، وليجعل لآثارها دوراً فى شحن أجيالها الحاضرة بالكبرياء المشروع ، كي تنهض للبناء ، وتواجه التحديات ! ..

● وفى الصحافة ، تحول بـ (الوقائع المصرية) ـ رائدة الصحافة العربية ، من نشرة تركية ركيكة تترجم للعربية ، الى صحيفة عربية تترجم الى التركية ، عندما أشرف عليها سنة ١٨٤٢م ١٢٥٧هـ .. كما أشرف على مجلة (روضة المدارس) التى صدرت سنة ١٨٧٠ م ١٢٨٧هـ فجعل أسرة تحريرها أشبه ما تكون بالمجمع العلمي الذى ضم أبرز العلماء فى مختلف التخصصات .. هذا الى (المجلة العسكرية) التى أصدرها ، بالعربية والفرنسية ، كدورية متخصصة للعسكريين ! ..

● وفى ميدان « صنع الرجال » رعى الطهطاوى تكوين أجيال ثلاثة ، تعلموا منه ، ثم عملوا معه ، وقدموا للحركة الفكرية ، بواسطة مطبعة بولاق كنوزاً فكرية بلغ عدد كتبها أكثر من ألفي كتاب خلال أربعين عاماً فقط .. على حين لم تقدم مطابع الامبراطورية العثمانية ، خلال قرن من الزمان ـ ١٧٢٨ ـ ١٨٣٠م ـ سوى أربعين كتاباً ، أغلبها شعوذة وخرافات ! ..

● وفى التاليف انعطف الطهطاوي الى ميادين كانت غريبة على المثقف والمفكر التقليدي يومئذ ، فكتب عن التمدن فى الميادين العملية ، زراعية وصناعية .. الخ .. الخ .. وفى التاريخ انتقل من «نمط الحوليات» الى التاريخ لحضارة الأمة فى ترابطها بغيرها من الأمم والحضارات ، وكذلك فعل عندما كتب مؤرخاً للاسلام ودولته ورسوله عليه الصلاة والسلام ! ..

فاذا علمنا أن الطهطاوي قد ترجم فى التاريخ والجغرافيا ، وفى الطب ، والعلوم ، والقانون ، والهندسة ، وأيضاً فى الأدب والشعر ... كما ألف فى فنون شتى ، واتسمت مؤلفاته بالطابع الموسوعي ، وتحلت بما تميز به عصره من الترويح عن القارىء بالمُلَح والتنويع والاستطرادات ... وإذا علمنا أن مؤلفاته ومترجماته قد تعدت الستة والعشرين ، وأن بعضها قد اشتمل على عدة مجلدات ، أدركنا حجم التأثير الريادى الذى أحدثه الرجل فى هذا الميدان .

ويزيد من قيمة الطهطاوي ويؤكد عظمته التنبيه الى أن الطريق الذى سلكه الى النهضة والتجديد لم يكن ممهداً ، بل لقد حفل بالعديد من العقبات وتعاقبت على الرجل محن ومصاعب كانت كفيلة ببعث اليأس فى نفسه من الاصلاح ! ..

لقد عاصر الطهطاوي خمسة من حكام مصر الحديثة محمد على باشا (١٧٦٩ ـ ١٨٤٩م) وابراهيم باشا (١٧٨٩ ـ ١٨٤٨م) وعباس باشا الأول (١٨١٣ ـ ١٨٥٤م) وسعيد باشا (١٨٢٢ ـ ١٨٦٣م) واسماعيل (١٨٣٠ ـ ١٨٩٥م) .. ورغم ملاحظاته الانتقادية لبعض التطبيقات فى تجربة محمد علي الاصلاحية إلا أن عهد محمد على ، بما شهد من تحولات عظمى انتقلت بمصر من العصور المظلمة الى العصر الحديث قد اتاح كل الفرص كي يحقق الطهطاوى الكثير مما فى عقله وقلبه من طموح .. ولم يختلف الأمر فى الشهور التى تولى الحكم فيها ابراهيم باشا .. لكن الأمر قد اختلف بعد تولى عباس باشا الأول خديوية مصر فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٤٨م (٢٧ ذى الحجة ١٢٦٤هـ) لقد كان عباس حفيداً لمحمد على ، وليس ابناً له مثل سعيد .. لكنه كان أكبر سناً من سعيد ، فسبقه الى منصب الخديوية ، الأمر الذى كان موضع معارضة من كثير من رجالات الدولة الذين عملوا مع محمد علي .. وكان عباس نفورا من الانفتاح على الحضارة الأوربية ، ومن ثم مجافياً لنهج الرجال الذين تربوا وعملوا فى إطار هذا الانفتاح .. ثم أنه قد تولى السلطة فى مرحلة الانكماش ، إن لم تكن التصفية ، لكثير من جوانب تجربة محمد علي الاصلاحية ، ومن ثم فلقد كان تولية السلطة إيذاناً بموقف عدائي من كثير من الكوادر الذين مثلوا أركان الاستنارة والاصلاح فيما تقدم حكمه من عقود .. وهكذا بدأت متاعب الطهطاوي مع النظام الجديد ! .. لقد أغلق عباس مدرسة الألسن ، وعطل الصحف ، وخفض حجم المدارس والبعثات العلمية .. فما كان من الطهطاوي إلا أن أعاد طبع كتابه (تخليص الأبريز فى تلخيص باريز) ؟! .. كموقف ضد هذا التحول الرجعي الذى يقوده عباس وعندما غضب عباس على الطهطاوى أنزله من مكانه البارز فى جهاز الدولة ، وجرده من مناصبه ، ونفاه الى السودان فى صورة ناظر مدرسة ابتدائية ومعه كوكبة من أبرز علماء مصر ، نفوا هم الآخرين ، فى صورة مدرسين فى هذه المدرسة الابتدائية ؟! فقضى رفاعة فى منفاه أربع سنوات (١٨٥٠ ـ ١٨٥٤م) غالب فيها عوامل اليأس والخمول والاحباط .. لقد حاول الهرب من المنفى ، فلما عز عليه ذلك تغلب على سلبيات واقعه بما قدم لأبناء السودان من خدمات تعليمية ، وبما عكف عليه من



أحمد شوقي



محمد علي باشا



سعيد باشا

المطالعة ، وبالعمل الفذ ، والموحي ، الذى ترجمه وهو (مغامرات تلماك) تلك الرواية الرمزية التى ألفها القس الفرنسي «فنلون» بقصد تقويم الحاكم والنصح للأمير ! ... وفى المنفى تفجرت شاعرية الطهطاوى ، فتوجه بالقصيدة الى أولى الأمر حينا ، والى الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، حيناً آخر ، ولكنه عدل عن إرسال ما نظم الى الحكام ، بل لقد جاءت قصيدته التى توجه بها اليهم من نفس البحر وعلى نفس القافية التى نظمت عليه وعليها القصيدة الشهيرة التى مطلعها:

لقد أسمعت إذ ناديـت حيـاً
ولكن لا حيـاة لمن تنادى ؟! ..

وعندما توفى الخديو عباس ، مقتولا وخلفه سعيد باشا فى ١٤ يوليو سنة ١٨٥٤ م أعاد الرجال الذين نفاهم عباس ، فرجع رفاعة الى القاهرة ، ليعاود نشاطه ، لكن دون كامل طاقاته .. لقد تولى عدداً من الوظائف ، فانتقل من وظيفة عضو ومترجم بمجلس المحافظة الى ناظر «المكاتب» الى ناظر ثان للمدرسة الحربية ، وناظر لمدرستى الهندسة الملكية والعمارة ، وتفتيش مصلحة الأبنية .. ومن أهم انجازاته فى تلك الفترة مشروعه لاحياء التراث العربى الاسلامى ...

لكن السلطة عادت فتنكرت له ، بل وفصلته من الخدمة فى ٧ مارس سنة ١٨٦١ م ؟! .. وظل الرجل عاطلا عن العمل لأكثر من عامين حتى رحل عهد الخديو سعيد ، وجاء عهد الخديو اسماعيل سنة ١٨٦٣ م فانفتحت الأبواب واسعة أمام الطهطاوى ، فى ظل حكم حاكم أراد مواصلة تجربة محمد على ، كى يواصل تحقيق مشروعاته الفكرية والتعليمية التى بدأها منذ سنوات .. لقد شغل وظيفة «قومسيون» ديوان المدارس ـ الذى كان بمثابة وزارة التربية والتعليم ـ .. ورأس مجلس المكاتب الأهلية .. وأنشأ قلم الترجمة ، وأصبح ناظراً له ، وأنجز ترجمة القانون المدنى والقانون التجارى .. ورأس تحرير مجلة (روضة المدارس) .. وتأكدت ريادته للحركة الفكرية بمؤلفاته التى ألفها فى تلك الفترة ، والتى مثلت نضجه الفكرى ، وفى مقدمتها كتابه (مناهج الألباب) الذى خصصه لمعالجة قضية «التمدن» ، وأودع فيه فكره الاجتماعى .. وكتابه (المرشد الأمين فى تربية البنات والبنين) الذى حوى فكره فى التربية ، والوطنية ، والمدنية .. ومشروعه الطموح لكتابة تاريخ الحضارات من خلال كتابته لتاريخ الحضارة المصرية ، فى علاقاتها بالحضارات التى احتكت بها وتفاعلت معها ، وهو المشروع الذى أنجز منه قسمين ، أولهما فى التاريخ القديم ـ (أنوار توفيق الجليل فى أخبار مصر وتوثيق بنى اسماعيل) ـ ، وثانيهما فى سيرة الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، وتاريخ الدولة الاسلامية الأولـــى ـ (نهاية الايجاز فى سيرة ساكن الحجاز) ـ ...

لكن الاجل لم يمهل رفاعة الطهطاوى حتى يكمل مشروعه الطموح ، ويحقق كل أمانيه ، فاختاره ربه الى جواره يوم الثلاثاء غرة ربيع الثانى سنة ١٢٩٠ هـ ٢٧ مايو سنة ١٨٧٣ م ، عن اثنين وسبعين عاماً ، حقق فيها لمصر خاصة وللعروبة والاسلام عامة فتوحات مبينة فى ميادين الفكر والتربية والتعليم ، جعلت منه الرائد العملاق الذى لم يكذب أهله فى كل هذه الميادين ! ..

لقد أراد ايقاظ العرب والمسلمين من غفلة العصور المظلمة .. وحقق الكثير مما أراد .. حتى لقد أصبح الأب الشرعى لحركة اليقظة والاحياء التى أدخلت أمتنا الى عصرها الحديث .. وصدق أمير الشعراء عندما خاطب ابنه علي فهمى رفاعة ، قائلا :

يـاإبن من أيقظت مصر معارفـــــه
أبوك كان لأبناء البـــــلاد أبا ؟! ..

د. محمد عمارة

● قصـــــة ●

كلمات في المدن النائمة

بقلم: سعد مكاوي

فجاة تغير المكان والزمان . مات أبى بعد ولاية دامت فى مصر عشرين سنة ، فحزمت متاعى الغالى فى حمولة خمسين جملا ، عندما دعانى عمى الخليفة عبد الملك بن مروان الى الشام ، الى ترف أكثر ونعيم أكبر . بلغ دخلى السنوى من الأراضى ومن راتبى كأمير مروانى أربعين ألف دينار . حاول الشباب أن يحاكى طريقتى فى اختيار ملابسى وأناقة مظهرى ، وقلدوا مشيتى وأسموها المشية العمرية . ثم فى ليلة أنفق الخليفة على مباهجها ألوف الدنانير وجدت نفسى زوجاً لفاطمة الجميلة بنت عمى أمير المؤمنين . وهى محمولة على موجات النعيم والحب لم تكن تدرى فاطمة ماذا تكسب غداً . كانت طفلة النفس مدللة الوجود ، فلبست قميصاً من حرير العراق يكفى ثمنه لاعاشة ألف بيت فى ألف يوم ، وفى ليلة الزفاف استعرض كل منا أمام الآخر مجموعة عطوره النادرة قبل أن يحتوينا عناق صبية وصبى لا يزيد عمرهما معاً عن أربعين سنة .

تغير المكان والزمان . أين منى الآن أيام حلوان الزاهرة وليالى المدينة المنورة . فى حلوان التى أحياها أبى من العدم كان الفارس الصغير وجواده الأصيل كتلة واحدة منسجمة متدفقة عبر المساحات الخضراء التى تشكل وسط الرمال المترامية واحة فائقة الجمال . كنا فى فجر الصبا أنا وجوادى ، وعلينا نضرة النعيم . تتلفت الرياض عند مرورنا الخاطف لحسن منظرنا واكتمال أناقتنا ، وتنحنى بالتحية أغصان متوجة ببدائع الأزهار ، وإن يكن شذاها ينطوى فى الأريج العطر الذى يعبق به الصباح من عباءة الصبى الفارس . وعند العودة من رياضة الصباح المنعشة يستقبلنا عند باب حظائر الخيل سائس مصرى لطيف ، فأمسح بيدى على عنق الجواد الجميل .

ـ إنه خير ما ركبت من الجياد .

ويقول السائس وهو يستلم العنان :

ـ هو أيضاً يا سيدى يكاد ينطق بزهوه بفارسه .

ـ أتحب الخيل مثلى يا بركات ؟

ـ إنى لسعيد بأن تكون هذه هى مهنتى ، رفيق الجياد .

ـ هى أجمل ما خلق الله .

ـ وسيدى أعظم الفرسان .

أرى الصبى يربط كفل الجواد ثم كتف السائس قبل أن يطوح بشعره الناعم الطويل وراء ظهره فى اختيال ، ثم يتبختر بمشيته الفريدة فى اتجاه القصر وأسمعه فى حمامه المترف يدندن بصوت حسن هانئاً بالماء الفاتر بعد الرياضة الى أن يدق عليه الباب من يخبره أن الوالد فى انتظاره ، ولا مفر من تصفيف شعرى على عجل حتى أنطلق نحو قاعة الحكم التى لا يكاد يغادرها أبى .

ـ هذا أنت يا عمر . كيف قضيت صباحك ؟ .

ـ مع جواد لا أخ له فى الدنيا يا أبى .

يتأمل الأب الماء المتدفق تحت نافذته .

ـ وماذا رأيت بعد من الدنيا حتى تصدر أحكاماً قاطعة ؟

ـ صدقت يا أبى ، هذا اندفاع الى الرأى قبل التروى ، لكنى أعدك أن أصلح هذا الخطأ .

ـ الاعتراف بالخطأ سمة الناضجين .

ـ إنى لا هدف لي غير النضج والرشد ، وأنا كما علمتنى دائم المناقشة لنفسى .

ـ هل صحيح أنك تصادق خدم حظائر الخيل والبساتين وتطيل الحديث معهم ؟

ـ نعم .

ـ وماذا يقولون ؟

ـ يقولون إن الناس يقولون .

ـ ماذا ؟

ـ يقولون إن عبد العزيز بن مروان الذى يحكم مصر والياً عليها لأخيه الخليفة عبد الملك إنسان ، وعاقل ، وعادل ، وقلما يجود بمثله بنو مروان .

أرى شفتى الأب ترتعشان ، وصوته يكاد يحتبس :

ـ يقولون هذا عنى ؟ ... إن المسئولية فادحة يا ولدى ... فادحة ... ما كان أغنانى عنها ... وددت لو أنى لم أكن شيئاً مذكوراً ... وددت أنى دفقة فى هذا الماء الجارى أو نبتة بأرض الحجاز !

ـ الى هذا الحد يا أبى تبهظك أمانة المسئولية ؟

ـ ماذا تفعل أنت يا ولدى لو أن أمانة كبيرة كهذه سيقت اليك يوماً ؟

يتفكر الصبى قبل أن يواتيه الرد :

ـ الحق يا أبى لم أسبر غورى كما أحب .. وفى سبيل امتلاك القدرة على الرد على مثل هذا السؤال الصعب سألتك أن أترك مصر فترة لاستكمال دراستى فى المدينة .

ـ لك هذا يا عمر ، تجهز للسفر الى منارة العلم وجامعة النبوغ وأرض الحكمة .

فى هذه الزيارة الأولى لها فتنت المدينة وفتنتنى بعد أن زالت عنى رهبتها الأولى . اقتحمتها بعطرى وتصفيفة شعرى وحللى المبتكرة ، واقتحمتنى بما تموج به من ألوان الاستمتاع والابداع . تكلم شبابها عن مشيتى «العمرية» كما تحدث أهل الأدب والفن فيها عن قدرتى على نقد الشعر

وتلحينه وغنائه ، جذبنى عم والدتى عبد الله بن عمر بن الخطاب الى مجالس الدارسين والباحثين والعلماء ، وقادنى مؤدبى صالح بن كيسان الى متاع الروح والعقل ، لكن فتوتى شدتنى الى عالم آخر متوهج بأهل الفنون من مغنين وعازفين وشعراء ، فالمبدعون يملأون الليالى .

هذه المدينة هى منبع سلالتى الأموية التى اغتصبت الخلافة ثم بهرتها الدنيا فاتخذت الترف صديقاً والقهر رفيقاً حتى تاهت عن النبعة الطاهرة فى بحور الضلالات .

وهنا كان جد والدتى عمر بن الخطاب ملء سمع الدنيا وبصرها ، يجتهد ويعدل ويحسم .

وهنا يا مشارق الأنوار كان النبي يمشي بالفضائل ويعلم الجهال ويتمم مكارم الأخلاق ويتكلم بالكمال .

● ● ●

دخلت علي فاطمة وفى يدها ورقة مطوية وفى وجهها قلق مطوى .

ـ يا عمر ! قد أقبلت عليك الدنيا فوليت أمر الحجاز وأنت دون الثلاثين من عمرك وحكمت المدينة ومكة والطائف أعواماً ، وما دخلت عليك مرة إلا وجدت فى صحبتك الهموم وقرأت فى عينيك هذا الحزن الذى لا أفهمه .

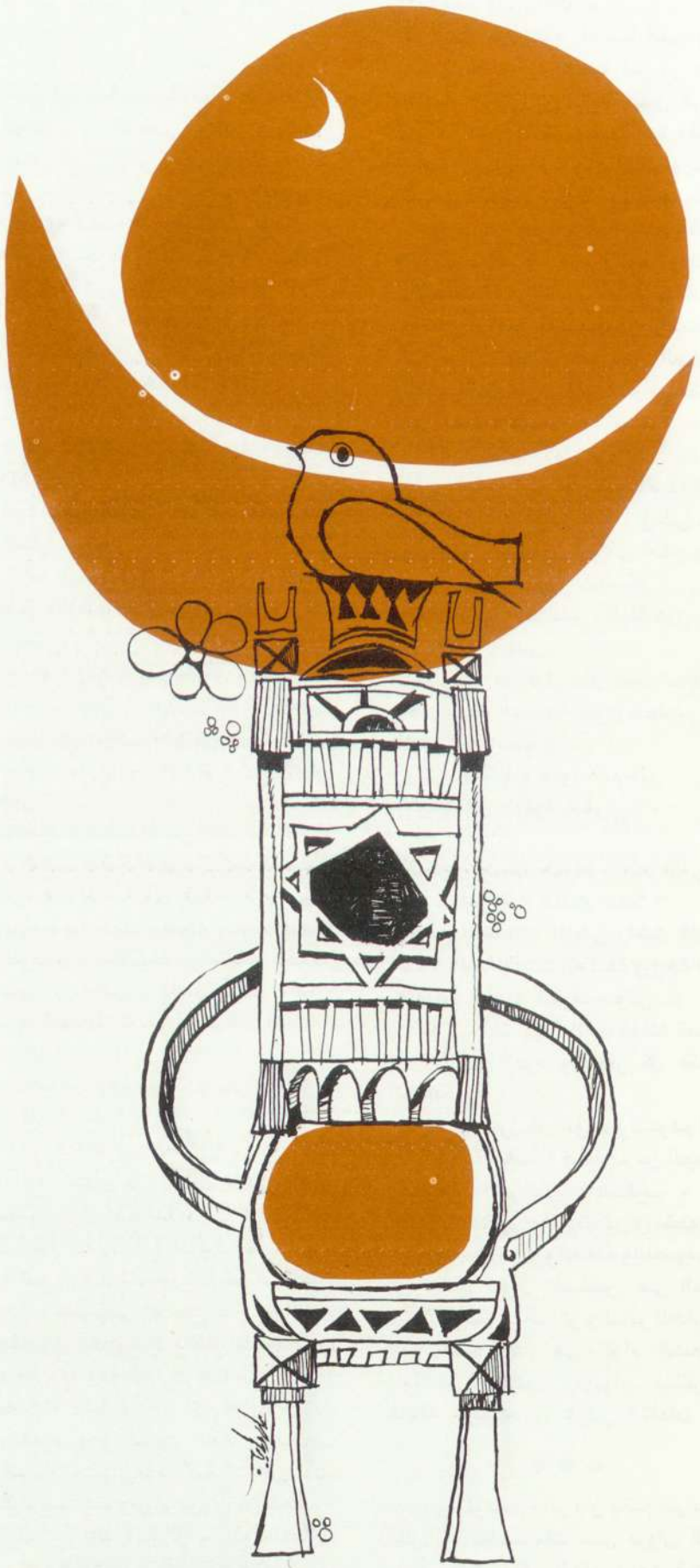
تأملت الورقة المطوية فى يدها وتبينت عليها ختم أخيها الخليفة الوليد ابن عبد الملك ، ثم نظرت بابتسامة فى وجهها اللطيف وأنا أبحث لها عن كلمات سهلة يبلغها معناها .

ـ يا فاطمة ! .. إنما يثقل على نفسى ما أجده حولى حيثما نشر أهلنا راياتهم من قهر وفساد وعسف ، وأنا أرى أن الدنيا يمكن أن تكون أفضل من هذا .

ـ كان أبى الخليفة يقول إن دنيا الناس لا تصلح بغير شيء من الشدة .

ـ كان أبوك الخليفة مسلماً قبل أن يكون حاكماً ، فلماذا لم يرد على خاطره أن الدنيا منذ عشرات قليلة من السنين صلحت وأشرقت وطابت بالصدق والاستقامة والأمن والعدل ؟

ـ معذرة يا أمير المؤمنين ، فانى لا أنسى حينما أخاطبك أنك رجل يقول عنه أهل العلم إن العلماء عنده تلامذة ، لكنى أرى أنك تشغل ليلك ونهارك بأدق



كلمات في المدن النائمة

تفصيلات الأمور ، ولم يعد لديك وقت لما تحب من الاستمتاع بما آتاك الله من فضل لعل فى طليعته أهلك ، أولادك وزوجتك ! ... ألم يكن من الأفضل أن تكتفى بالنظر فى الكليات وتترك لأعوانك الجزئيات وتنهل كما كان العهد بك من نعيم الدنيا ؟ .. هل أنت قبل كل شىء إلا رجل من الرجال وعنده امرأة من النساء !

ـ وهل هذا ممكن يا زوجتى الغالية ؟

ـ ما سمعت قبلك عن أمير من بنى مروان يعذبه هذا العذاب المقيم شوقه الى الكمال !

ـ أتريدين لي يا فاطمة أن أبيع ادراكى لمعنى الأمانة وفهمى لجوهر دينى بالمنهج الشرس الذى اختطته أسرتنا لحكمها ؟

ـ إن أهلنا المروانيين بدأوا يضيقون بما تقول فيهم فوق ضيقهم بفتورك فى تحصيل الأموال .

ـ إن الله بعث محمداً هادياً ، ولم يبعثه جابياً !

ـ يصفونك بالسذاجة التى لا تؤهلك للامارة كلما وصفتهم بالظلم والجبروت ... ما مصلحتنا فى هذا الصدام مع قومنا والدنيا مقبلة والزمان طائع ؟ ... انظر الى الحجاج بن يوسف الثقفى كيف اكتسب ودهم وأمن شرهم !

ـ آه ! ... هذا السفاح ! ... لو جاءت كل أمة بخطاياها يوم القيامة وجئنا نحن به وحده لرجحناها جميعاً ! ... بأى أسلوب يا فاطمة وطد لهم هذا المتجبر أركان ملكهم وأفسح فى رقعته ؟ ... وأى ملك هذا الذى تنهض دعائمه على استلاب حقوق الناس بالبغى والجريمة ؟

سكتت لحظة قبل أن تهمس :

ـ لقد وشى بك هو وغيره عند أخى الوليد .

ـ كنت أعلم يا ابنة العم أنهم لن يطول احتمالهم لواحد منهم تنكشف كل عوراتهم بمجرد وجوده بينهم ... ما هذه الورقة فى يدك ؟

ـ ورقة من دار الخلافة فى الشام .

ـ أمر من أخيك الخليفة ؟

ـ نعم .

ـ أمر بعزلى من ولاية الحجاز ؟

ـ نعم .

ـ ليس هذا بالشىء الذى يستحق أن يمشى فى جمال محياك بهذه الغشاوة من الوجوم ... اجمعى حوائجك وتأهبى للسفر الى الشام .. ويل لهؤلاء الحمقى من الدنيا ومنى ... ما الذى يبقى من جوهر عقيدتنا إذا وضعنا الفساد فى مكان الاصلاح ، والظلم فى مكان العدل ، والأكذوبة فى مكان الحقيقة ؟

● ● ●

أنا أمير معزول فى الرواق المروانى تقول له زوجته المحزونة :

ـ امسك هنا لسانك .

أمسك لسانى ؟ وبأى وجه ألقى بعد هذا ضميرى ؟

أيها الناس ها أنذا عمر بن عبد العزيز أنادى عليكم .

إنه ليكفيكم لكى تواجهوا المصيبة على حقيقتها أن تتأملوا طراز الولاة الحاكمين فى أنحاء دولتنا .. الوليد بالشام ، والحجاج بالعراق ، ومحمد بن يوسف باليمن ، وقرة بن شريك بمصر ، وعثمان بن حيان بالحجاز ، ويزيد بن أبى مسلم بالمغرب .. امتلأت الأرض والله جوراً !

ـ اسكت ، اسكت يا عمر وكفى ما أصابنا!

جاءت لحظة على ابن العم سليمان ابن عبد الملك الذى خلف أخاه الوليد واجه فيها الموت وحوله إخوته العتاه المتربصون بالأريكة وأولاده الصغار الذين لا يصلحون للاستخلاف .. ثم لا أدرى كيف قفز اسمى فجأة على لسانه !

أنا ؟

لا يا ابن العم ، واليكم عنى جميعاً ...

أنا خليفة ؟

فى هذا الزمن الضال ؟ .

أنا أحمل كل هذه الأوزار فوق مسئولية كل هذه الملايين ؟ ... ألا يكفى كل هذا السرف ، والتزييف للحقائق ، وللقيم ، وهذا الضمور الشامل فى الروح وفى العقل وفى الضمير ، حتى أحمل فوقه وزر معاوية إذ يأخذ البيعة قسراً لولده يزيد وهو العارف بقماءته الروحية وغلظته الشاذة ؟ ... ألا يكفى وزر يزيد الغشوم وهو يسوم الناس العذاب والبطش حتى يعود الاسلام على يديه كالغريب ؟ ... وأوزار مروان بن الحكم ، وابنه عبد الملك ، ثم الوليد ، ثم سليمان ، ثم هذه القطعان من الولاة الغلاظ الذين اختاروهم على شاكلتهم ؟ ... لا ... لا ... أنا لست من هذه الدنيا التى يأكل بعضها بعضاً .. اعلموا أنى من طينة معاوية الثانى بن يزيد الذى فر من الخلافة حين جاءته بوصية أبيه ، فجمع الناس وقال لهم : «ما أنا بالمتقلد أمركم ولا المحتمل تبعاتكم ، فاختاروا لأنفسكم» !

مواكب من أطراف البلاد ، من الشام والحجاز والعراق ومصر واليمن والمغرب حشود كثيفة من الناس تنتظر كلمة أمير المؤمنين الجديد الذى يريدون أن يحملوه على قبول الأمانة وهو دون الخامسة والثلاثين من عمره ، ذلك الذى ترددت فى المدن أصداء كلماته .

واجهت الأمة لأول مرة :

ـ أيها الناس ! ... قد ابتليت بهذا الأمر على غير رأى منى فيه ، وعلى غير مشورة من المسلمين ، وإنى أخلع بيعة من بايعنى فاختاروا لأنفسكم .

فى ذهول تهامس الطامعون فى الخلافة من أهلى :

ـ ما رأينا من قبل مثل هذه الغفلة ، يرفض بهذه البساطة أقوى صولجان فى الأرض فى زمانه !

لكن البسطاء هبوا صارخين .

وبالأمانة طوقوا عنقى .

قلت لهم :

ـ ليكن ، ولست خيركم ، إنما أنا رجل منكم ، غير أنى أثقلكم حملا !

وفى الساعات الأولى راحت فاطمة بنت الخليفة وأخت الخليفة وزوجة أمير المؤمنين الجديد تطوف حولى ...

ـ تمهل .. أنت بهذا الذى تفعله تصفع كل مصادر القوة وتستفز كل مكامن العداوة !

رأتنى أعزل كل الولاة وأدعوهم الى دار الخلافة ليقدموا حسابهم عن الجباع والعرايا والمهزولين والمساليب ، عن مصارع المفكرين والمجتهدين والمتطهرين عن ارتقاء الأشرار والسفلة واللصوص ، عن إنفاق أموال المساكين على البذخ السفيه والترف الداعر والتآمر الحقير ، وعن حشو الدر فى أفواه الشعراء المداحين الواقفين بالأبواب ينتظرون العطايا ويسفحون عرض الكلمات .

● ● ●

أمير المؤمنين يأمر بأن يضم الى بيت المال كل مخصصات بنى مروان التى تشكل ثلث المال العام ، مع ثروتى

الشخصية وممتلكاتى ، فودعى يا فاطمة أبهى الثياب وأنفس العطور وأطيب الطعام وأعلى القصور !

الآن دقت ساعة معرفة المسافة الحقيقية بين الكلمة والفعل ، ووجب الاكتفاء بالخشن من الثياب والطعام والرياش والمركب ، وإنه ليكفى أن يفرش لمجلس أمير المؤمنين حصير يذكره فى كل لحظة بأن خادم الأمة لا راحة له قبل راحة الكل .

تأملت فاطمة هذه البلوى الجديدة ، وعلى أدبها الجم وحبها الكريم كشفت عن بعض الغضب .

ـ اذا كنت أنت تريد أن تنسى أيام المناعم والتألق والتعطر والطيبات كلها ، فما الذى يلزم أهل بيتك بكل هذا التقشف ؟

ـ مصدر الالتزام هو تجريد النفس للمسئولية .

ـ لكأنك أمسيت فأصبحت رجلا غير الرجل !

ـ كيف يعرف طعم الراحة يا فاطمة مسئول يريد أن يكون كل الناس فى راحة ؟

ـ وهل ترى أن صحتك تحتمل كل هذا الجهد مع كل هذا الشظف ؟

ـ أنا فى عصمة خوفى من ضميرى ، أما أنت فكان الله فى عونك !

تناولت ورقتين من أمامى وتأملت السطور المكتوبة فيهما :

ـ من هى فرتونة السوداء هذه التى اهتممت بها كل هذا الاهتمام ؟

ـ هى امرأة من هذه الملايين التى لم نر وجوهها ولم تر وجوهنا ، ومع ذلك يسألنا الحق عنها ويحاسبنا على صدق خدمتنا لها .

ـ أرى كلاماً عن دجاج يسرق .. هل مثل هذه الأمور التافهة مما يصح أن يشغل بال أمير المؤمنين ؟

ـ وماذا يشغل أمير المؤمنين يا فاطمة غير شئون بسطاء الناس ؟ ... لقد كتبت الى فرتونة السوداء هذه من الجيزة فى مصر قائلة إن اللصوص يسرقون دجاجها وليس معها مال تصلح به حائط بيتها المتهدم ، فاستثار كتابها مكمن نفسى الداخلى حيث تقبع القيمة العليا ماثلة فى الضمير .

ـ فكتبت هذين الكتابين اليها والى واليك على مصر ؟

ـ نعم ، اقرئيهما .

قرأت : «من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى أيوب بن شرحبيل . سلام الله عليكم . أما بعد ، فان فرتونة السوداء كتبت الي تشكو قصر حائطها ، وأن دجاجها يسرق منها ، وتسأل تحصينه لها ، فاذا جاءك كتابى هذا فاركب بنفسك وحصنه لها» .

ثم قرأت : «من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى فرتونة السوداء . سلام الله عليك . أما بعد ، فلقد بلغنى كتابك وما ذكرت فيه من قصر حائطك حيث يقتحم عليك ويسرق دجاجك . ولقد كتبت الى أيوب بن شرحبيل آمره أن يبنى لك الحائط حتى يحصنك مما تخافين إن شاء الله» .

ثم ألقت بالأوراق من يدها :

ـ أما بعد فان أمير المؤمنين يكاد يطير لي ما بقى من عقلي !

رقت لها نفسى :

ـ يا فاطمة ! .. رددى كل ليلة ذلك الدعاء الذى تسمعينه منى فى هدأة الفجر وأنا أنادى ربى : «اللهم انفعنى بعقلى» !

تنسحب معرضة ، وليست أول المعرضين ولا آخرهم فان كل من قلمت أظفاره ينفث دمدمات غضب ، لكن هناك أيضاً دعوات استبشار من المقهورين والضائعين الذين يتلقون من أميرهم كل حين كلمات تشرق بها أنفسهم ، فأنا أكتب الى الناس فى كل مكان : «إنى قد وليت عليكم رجالا لا أقول إنهم خياركم ، ولكنى أقول إنهم خير ممن هم شر منهم ... وأى عامل من عمالى رغب عن الحق فلا طاعة له عليكم ، وقد صيرت أمره اليكم !» .

• • •

فى شوارع مدينة الخلافة وساحاتها وأسواقها ، وفى المدن المترامية والنجوع الضائعة والحقول النائية ، جموع تنتظر الخير وتستحقه ، وتتساءل عن المسافة بين الكلمات والأفعال .

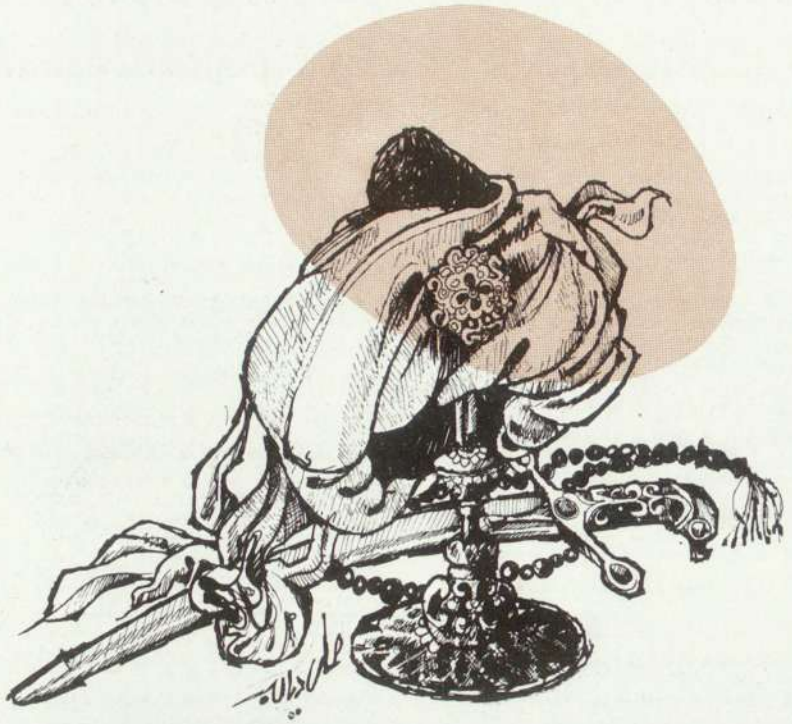
وبين يدى امرأة أتأمل فى إشفاق شبابها النضر وهى تعاتبنى :

ـ لم يعد عندك وقت لنا نحن أهلك ! ... يا ليت كان بيننا وبين الخلافة بعد المشرقين ، فوالله ما رأينا سروراً منذ دخلت علينا !

تأملت كلمة «سرور» وعاد قلبى يرق لامرأتى ... واقفة أمام حصيرتى فى ثوبها البسيط الذى ألزمتها به ، هى التى حاولت مرة أن أحسب ما أنفق على ملبسها وزينتها منذ مولدها فاجتمع لي من الأرقام ما يصلح به حال مدينة !

ـ ألا يكفيك ثوبان فى السنة ؟

ـ وبهذه الخشونة ؟



كلمات في المدن النائمة

ـ يأتى عليك يوم يا فاطمة إن شاء الله تستطعمين فيه الخبز الجاف وأنت تفكرين فى الناس قبل أن تفكرى فى نفسك .

تأملتنى كما لو كانت تشك فى رجاحة عقلى :

ـ ماذا تريد آخر الأمر ؟

ـ الحق والعدل للكل .

ـ وهل من حق العدل للكل أن يأخذ فى وجهه حللى وحلل بناتى حتى يستقر بها هى الأخرى فى بيت المال ؟!

ـ اتفهمين إن شاء الله على مر الأيام .

ـ وراتبك كأمير للمؤمنين ؟ .. لماذا ترده هو الآخر الى بيت المال ؟ ... إن دخلك من قطعة الأرض الصغيرة التى اشتريتها بعرق الجبين لا يزيد عن مائتى دينار فى السنة ، أى ثلاثة أرباع الدينار فى اليوم يعيش عليها أمير المؤمنين وزوجته وأولاده وبناته ! ... وجواهرى المسكينة ما ذنبها هى الأخرى وهى هدية زفافى من أبى أمير المؤمنين ؟

ـ انك لتعلمين من أين أتاك أبوك بها ، وهو عبد الملك الذى لم يكن يصده شىء !

ـ الأمر لأمير المؤمنين عمر .

ـ بل الأمر لله من قبل ومن بعد .

• • •

رأسى فوق الوسادة المحشوة بالليف يكاد يتفجر من الألم ، وفى أحشائى وجع أكتمه ، وفاطمة وهى ترى اشتداد المرض بى تحوم حول مرقدى والهة حيرى .

ـ فعلها قومنا !

ـ هونى عليك يا فاطمة وجيئينى بالقلم فانى أريد أن أملي كلمات .

ـ لم يصبر بنو مروان إلا أقل من العامين ونصف العام على خلافتك الراشدة قبل أن يدسوا لك السم .

ـ الموت لا يخيف يا فاطمة ... إنه انتباه على المعرفة الكلية .

وضعت يدها على جبينى المحموم :

ـ ماذا تريد أن تكتب ؟

ـ أطمع فى أن يكون أمامى وقت أتم فيه ما حاولت أن أبدأ القول فيه مع أمتى .

ـ أراك قلت كل ما عندك ... طلبت من الحاكمين أن «يقاتلوا هواهم كما يقاتلون أعداءهم» ... وذكرت المحكومين بكتبك الى الولاة والقائمين على المال والقضاء وما قلت لهم فيها : «إذا أرسلت اليكم أمراً يخالف الحق فاضربوا به الأرض واستمسكوا بالحق وحده» .

ـ لك الله يا فاطمة ، كم أرهقك موقفى من الامارة وتجريد نفسى للمسئولية !

ـ الكلام يضنيك ، فاهدأ واسترح .

الآن أصغى ملء وجودى الى خرير الماء المتدفق تحت نافذتى وأنا أقول لزوجتى التى نسيت كل ما ألزمتها به من شظف وتقشف منذ خافت على حياتى :

ـ أتعرفين يا فاطمة ما الذى أرجو له أن لا يموت بموتى ؟ ... كلمة كتبتها فى يوم من الأيام لأحد ولاتى : «قد كثر شاكوك وقل شاكروك ، فاما اعتدلت وإما اعتزلت» ! .

سعد مكاوى

رسائل غير عادية

إلى تاجر شديد الطمع

بقلم : معروف رفيق

ليس كل تاجر طامعاً بمال ، فى كل الأحوال ...

فهناك تاجر يقنع بالمعقول .. وهناك آخر من أنصار اللامعقول ، حتى ولو كان بائع فلافل أو فول ..

ورغم أن الاستغلال .. وأكل الحرام دون الحلال .. ممنوع ومحظور بالنصوص السماوية والأرضية .. إلا أن البعض يغمض عينيه ويستعيض عن النظر الى السماء ، بالنظر الى الأرض ..

صاحب العيال .. أكثر الناس احساساً بعمليات النصب والاحتيال .. ولكن الغريب العجيب ... أن التاجر الجشع .. يطمع فى جيب رب الأسرة .. ويحاول دائماً سلبه وغدره .. ومطلوب من صاحب العيال .. أن يفتح على الاعيبهم عينيه ، وعلى أفعالهم أذنيه .. وإلا ضاع بين أشداق الفك المفترس .. لأنه لم يحترس ..

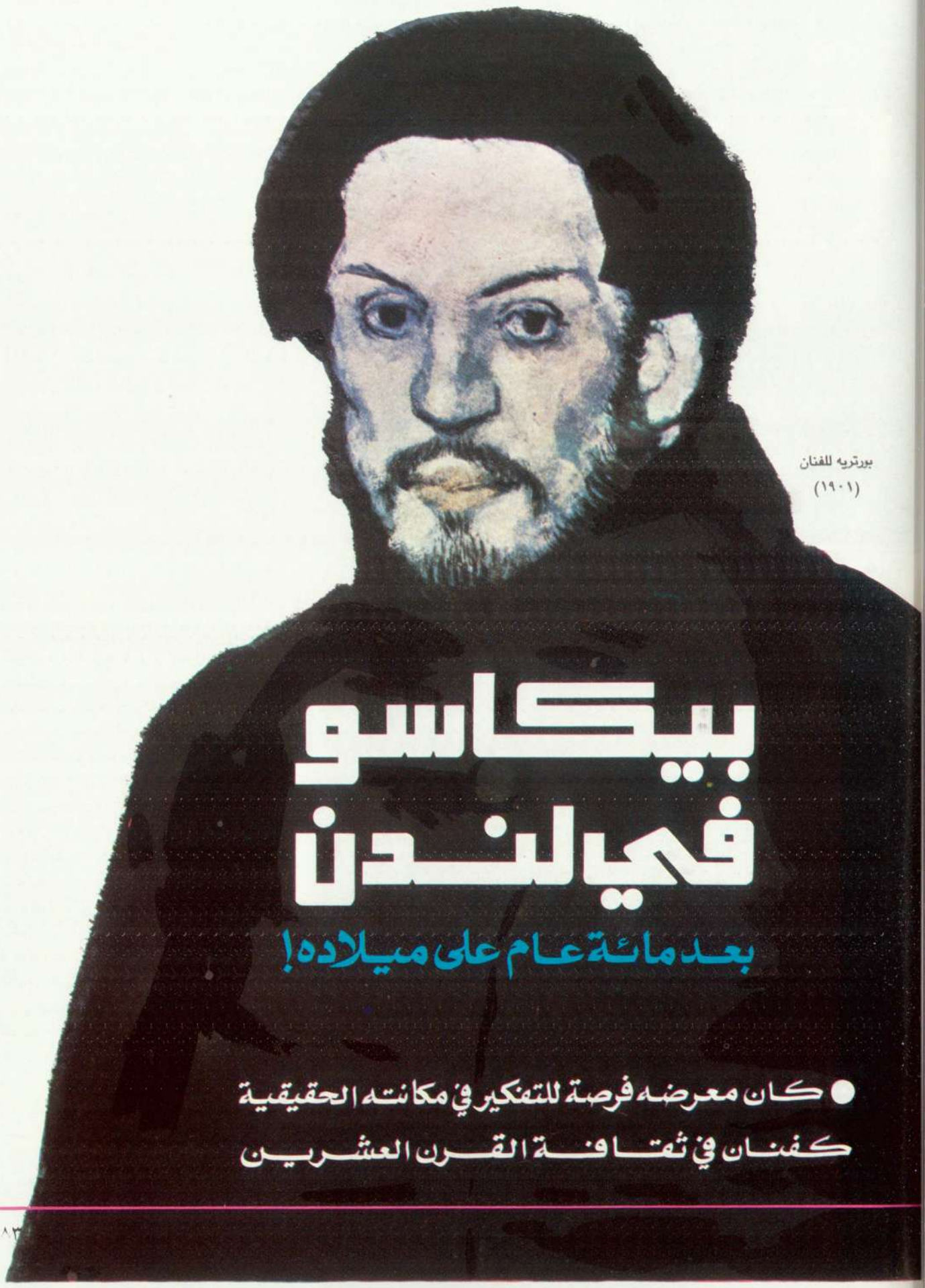
بدأنا هذا المقال .. وقلنا ليس كل تاجر طماعاً فى كل الأحوال ... ولكن نماذج الطماعين كثيرة .. والأمثلة على غير ذلك وفيرة .. باع أحدهم كيلو واحداً من الجبن العكاوي .. بثلاثين ريالا وهو لا يساوي .. بينما يبيع تاجر آخر ، نفس النوع من الجبن بستة عشر ريالا .. الأول يربح .. والثاني يربح .. ولكن الأول طماع جشع .. والثاني تقي ورع .. وشتان بين الاثنين ...

سألوا الأول .. لماذا يأيها الهمام .. لا تخش الكلام والملام .. ؟ قال : بضاعتى جاءت بالطيارة .. أما بضاعة زميلي فقد جاءت بالسيارة .. عذر أقبح من ذنب .. وضمير لا يخشى الرب .. قالوا للطماع : ولماذا ندفع الفرق ؟ ونغرم بدون حق ؟ .. قال سامحه الله : وهل أجبرتكم على الشراء .. يأيها المساكين من الاصدقاء .. قالوا له بكل صراحة : تبنا وندمنا .. وفى أموالنا فرطنا .. فلقد وثقنا بك كما وثق الصديق بالصديق .. حتى بعتنا الحصى على أنه عقيق ..

هذه واحدة من كثير .. وهي تغنى عن الشرح والتفسير .. ومالنا نحن أرباب العائلات .. ألا نعيد دراسة ما قرأناه من نظريات .. وأن نتقن كل أنواع الحسابات .. حتى لا نقع فى مثل هذه المطبات ..

صديقنا يا من تطمع .. بالله عليك كيف تنام عينك وكيف تهجع .. أما علمت أن الجشع ممقوت ، وأنه لا يلد إلا ثمرة الزقوم ..

سامحنا وإن كنا لن نسامحك .. فلعلك تخشى الله سبحانه ، انه يمهل ولا يهمل



بورتريه للفنان
(١٩٠١)

بيكاسو في لندن

بعد مائة عام على ميلاده!

● كان معرضه فرصة للتفكير في مكانته الحقيقية كفنان في ثقافة القرن العشرين

بيكاسو في لندن

«أعمال بيكاسو تساعدنى على البقاء على قيد الحياة»
بول إيلوار

عندما مات الفنان العظيم بيكاسو فى ابريل ١٩٧٣ ، لم يترك وصية ! لكن كان هناك «وقف» بيكاسو الذى خلفه وراءه : عدد ضخم من أعماله التى اختارها بنفسه ، أخذته الحكومة الفرنسية طبقاً لقانون فرنسى جديد ، فلم يذهب الى «الورثة» .

وبمناسبة الاحتفال بالعيد المئوى لميلاده ، أقام «مجلس الفنون» البريطانى معرضاً له بلندن «بصالة هيوارد» ، حتى قبل أن يعرض بالمتحف الجديد الذى أسسته الحكومة الفرنسية خصيصاً بباريس والمعروف باسم «متحف بيكاسو» .. اختار المسئولون البريطانيون للمعرض اسم «بيكاسو يقدم بيكاسو» لأن الفنان اختار بنفسه هذه الأعمال على أساس أنها تشكل تطور حياته الفنية منذ البداية . واستمر هذا المعرض شهرى سبتمبر وأكتوبر من هذا العام .



المدخن (١٩١٤)

يعتبر المعرض الذى أقامه «مجلس الفنون» البريطانى لأعمال بيكاسو مختلفاً تمام الاختلاف عما سبقه من معارض ، لأنه أولا هو اختيار الفنان نفسه ، وهو اختيار لأعمال تعتبر علامات على الطريق الطويل الذى سلكه خيال هذا الفنان العظيم الخصب . ضم المعرض مجموعة أعمال بما فى ذلك لوحات ورسوم بالالوان وبالرصاص ومطبوعات وتماثيل وأعمال نحت مختلفة .

وهكذا كان المعرض فرصة ذهبية لتفحص «بيكاسو» الأسطورة . وفرصة للتفكير فى مكانته الحقيقية كفنان فى ثقافة القرن العشرين .

وكانت لوحات بيكاسو هى الأعمال الدائمة التى يعرضها وتباع بسهولة ، أما تماثيله فكان يضن بها ، ونادراً ما كان يرضى بمفارقتها وبيعها ، وكان أول مرة يسمح فيها بعرض أعماله فى النحت عام ١٩٦٦ . ويبدو أن أعماله هذه كان يعتبرها أطفاله المدللة الذين يستمتع بوجودهم معه وحوله .

ويطرح تاريخ حياة الفنان بيكاسو عدداً من الأسئلة الهامة ، أولها ، لماذا أعجب عديد من الناس من ذوى التيارات المختلفة ، بفترات مختلفة من حياته الفنية الطويلة ؟ ولماذا يوجد هذا التباين الغريب بين الشهرة التى أحاطت بحياته ، وبين حقيقة أعماله ؟ ولماذا تتفق الآراء ، على أنه يجب التسلح بنوع معين من المعرفة حتى يمكن تقييم لوحاته ؟ وفى النهاية ... لماذا يظل بيكاسو اسماً عظيماً كفنان هام وملهم ومدهش ؟

فلنبدأ باسم الفنان نفسه .. بيكاسو .

إن كل شخص قد سمع بهذا الاسم بهذه الطريقة أو تلك ، حتى هؤلاء الذين لا يهتمون كثيراً بالفن . ولقد شق اسمه وتوقيعه طريقاً صاعداً ، خلال حملة اعلامية مكثفة لما يزيد على نصف قرن من الزمان ، سواء كان ذلك فى المعارض أو قاعات بيع اللوحات ، أو محلات بيع الصور المطبوعة ، أو فى لوحاته التى توضع فى البنوك كضمان لقروض ، أو فى خزائن عشرات المطاعم عندما وافق بيكاسو عشرات المرات على دفع فاتورة حسابه عيناً وليس نقداً ، أى برسم صورة ما على مفرش المائدة ، ويتركها لادارة المطعم لتصبح بعد ذلك أغلى ثمناً من المطعم ذاته ! لقد تردد اسم بيكاسو على مدى نصف القرن ولحقته صفات عديدة متناقضة : «العبقرى» ... «فنان القرن» ... «البليونير» ... «الشيوعى» .. «العاشق الكبير» .. بل إن بيكاسو مازال فى الأخبار ، حتى بعد موته . وهو بذلك يظل محلا للجدل . ومع ذلك ، فمن المهم أن نفرق ما بين فنان «تصنعه» وسائل الاعلام ، وتدفع به الى عالم الشهرة مثله فى ذلك مثل نجوم هوليود تطارد الكاميرات حياتهم الخاصة ، وبين الفنان الذى «صنعته» «صناعة الفن» ذاتها . ومن خلال هذا كله يقسم مؤرخو الفن حياته الفنية الى فترات ومراحل ، انشغل فى كل منها بعدد من القضايا الاجتماعية .

الأيام المبكرة

وربما كان من الأفضل أن نبدأ



وجه امرأة (١٩٣٢)



الطفل والأم (١٩٠٧)



احدى لوحات بيكاسو التى احتلت أغلفة المجلات فى لندن

الحديث عن الفنان الذى نضج فى سن مبكرة، ووصل الى باريس عام ١٩٠٠ قادماً من برشلونة مسقط رأسه . كان بيكاسو غريباً لا منتمياً . على ثلاثة ابعاد على الأقل : كأجنبى ، وكمتعاطف مع الفوضويين ، وكرسام فى وقت اظلم فيه مستقبل الرسم . وخلال السنوات التى تلت ذلك تمكن بيكاسو أن يقدم تفسيراً لخبرته فى الحياة على حافة المجتمع الفرنسي ، من خلال رسمه لأنماط مختلفة ومتداخلة من اللوحات ، حجزها واقتناها مشترون أثرياء .

رسم بيكاسو الفلاحين ، واستثمر الفقراء بكل الدلالات الرائعة للشعر والرومانسية ، والتى أبدع فى انتقائها لمعرفته المكثفة بتاريخ الفنون والآداب الأوربية . وفى لوحته المسماة «الوردة والأوقات الزرقاء» نلاحظ أنه يلتزم بالتقاليد العامة للمدرسة الواقعية لفن القرن التاسع عشر ، والتى تؤكد وتبرز باستمرار ، مسألة الدلالات الاجتماعية للمادة موضع الاختيار .

يقول الناقد البريطانى «سيمون واتنى» مؤلف «الفن الانجليزى ما بعد التأثيرية» :

«كان أصحاب المدرسة الواقعية من أمثال «كوربين» و «دومييه» قد اعترفوا بانقسام المجتمع الى طبقات ، فأصروا على أن يتناول الرسم القيم والاتجاهات التى تخالف مجموع القيم والأنماط التى تجدها فى نظام طبقى سائد . وليس مفاجأة كذلك ان «السادة» ردوا على هذا بعنف ، لأن ذلك يواجه سلطتهم التقليدية لتحديد دور الفن ،

بيكاسو في لندن



موت مصارع الثيران (١٩٣٣)

بل وأحيانا طبيعة الفن ذاته . وكان أحد النتائج المترتبة على هذا التناقض الجديد بين المصالح ، أن ظهر نوع جديد من الفنان الذى لم يعد «موظفاً» لدى سوق الفن فى المجتمع . وقد أجبر مثل هؤلاء الفنانين على أن يسلكوا سبلا ضيقة للوجود القلق المحفوف بالمخاطر على حافة البيئةالثقافية البورجوازية ، واستمروا يبحثون دائماً عن كتاب ونقاد يتخذون نفس موقفهم حتى يقوموا بتقييم أعمالهم .

«وقد انتجت معظم أعمال بيكاسو الأولى ، وأكثرها شعبية ، وسط هذه الظروف . وهى أعمال صار بها الفنان حليفاً طبيعياً للطبقات الكادحة ، فى حالة نفي من الأدوار والمؤسسات الاجتماعية التقليدية للرسم الأوربى» .

الخروج على التقاليد

لم يكن بيكاسو راضياً ببساطة عن المضي فى التعبير الرمزى عن الحياة الاجتماعية الفرنسية ، كأحد فنانى القرن التاسع عشر ، من خلال مجموعة الرموز الارستقراطية والدينية أساساً . هذا رغم أن المرء كثيراً ما يراه يعود من خلال أعماله الفنية ، الى الدور وذاتية الفنان فى مجتمع ضن عليه بمركزه وموقعه التقليديين .

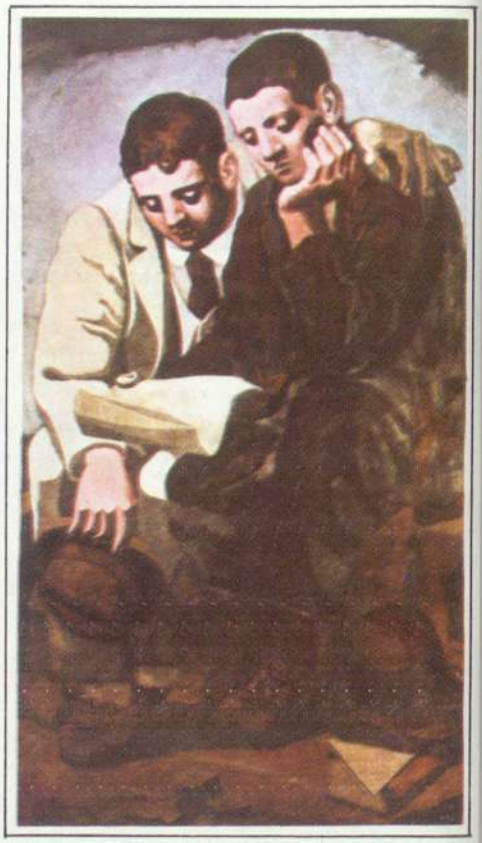
ومن هذا المنظور يقدم بيكاسو صورة كلاسيكية للفنان المعاصر الذى يتعرض للنفي داخل مجتمعه . لكن فهم بيكاسو لحياة «حافة المجتمع» كان أكثر وعياً وراديكالية من فهم الفنانين من معاصريه : فبدلا من أن يستمر فى خوض معركة «الصراع الطبقى» على مستوى الرموز الثقافية والتشبيهات الفنية ، واصل العمل على فكرة «التمثيلية» ذاتها ، والتى تعتمد عليها الثقافة البورجوازية اعتماداً كبيراً . وما فعله بيكاسو هو أنه وضع علامة استفهام كبيرة على المفاهيم التى سيطرت على الفنون الجمالية الغربية لقرون . وربما اختلف الفنانون بشدة حول الأسلوب والموضوع الفني نفسه لكن لم يحاول أحدهم ـ قبل بيكاسو ـ طرح التساؤل حول فكرة الرؤية والادراك البصري نفسه .

وهذا هو ما تعنيه كلمة «تكعيبية» ومعناها كما يقول بيكاسو : « إن الفنان ليس مجرد مرآة ، إنه معادل للطبيعة» لقد رفض بيكاسو فى أعماله ، افتراض أن الفن يجب أن يكون بالضرورة «محاكاة للطبيعة» ، وبرفضه هذا ، أجبرنا على أن نفكر فيما نعنيه بمفاهيم «الفن» و «الطبيعة» . وكما قال بيكاسو لأحد أصدقائه : «يجب على الفنان أن يراقب الطبيعة ، وإن كان يجب عليه ألا يخلط بينها وبين الفن إن الطبيعة يمكن ترجمتها الى فن ، فقط عن طريق العلامات» . والعلامات التى يعنيها بيكاسو هنا ، هى العملية التى يمكن بواسطتها تحويل ما تخطه فرشاة الفنان ، مقابل الأشياء المتواجدة فى الحياة الواقعية .

وبعبارة أخرى كان بيكاسو يستكشف القضايا التى من خلالها يمكننا أن «نقرأ» الصورة ، وهى القضايا التى نعنيها عندما نتحدث ببساطة عن «التمثيلية» كما لو كانت أكثر الأشياء طبيعية ، وأقلها تعقيداً .

تغيير الواقع

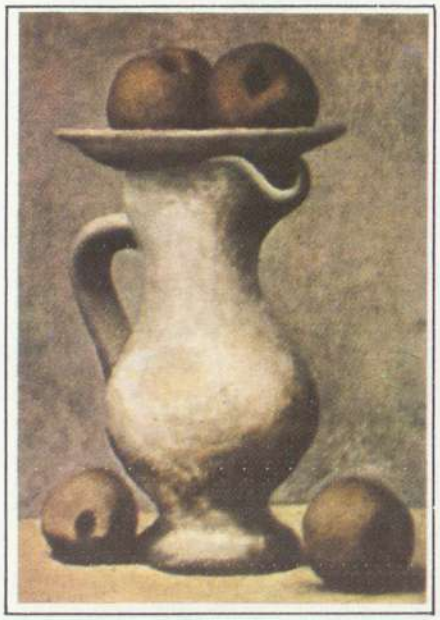
ومن ثم فان رسومات وتماثيل بيكاسو «التكعيبية» ، هى عن عملية النظر ، مثلها فى ذلك مثل كونها عن «الأشياء» المفترض وجودها أمام أعيننا . فاذا نظرنا مثلا الى لوحة «آنسات أفينيون» فاننانفهم على الفور ما عناه بيكاسو عندما قال لأحد أصدقائه : «إن الوجه عبارة عن عينين وفم وأنف ، يمكن توزيعها كما تحب ، ويظل الوجه وجهاً» . لكن ابتكار بيكاسو ـ ألا وهو تجزئة الجسم الانسانى الى عناصر ، يمكن التعرف عليها رغم أنها أعضاء بدائية جداً ـ لم يكن مجرد بدعة ، ذلك أن الوظيفة الاجتماعية للموضوع الفنى كانت لها أهمية حيوية بالنسبة له . ومن ثم فليس هناك مجال لرؤية أعمال بيكاسو على أنها «تجريدية» . فحتى اذا ما وصلت رسوماته الى أبعد نقطة من التجزئة ، فهو يهتم بالدور «النشط»



قراءة الخطاب (١٩٢١)

للمشاهد الذى يتفرج على اللوحة ، ولهذ السبب بدأ يدخل أجزاء من العالم الواقعى الى لوحاته وتماثيله ، حتى تكون أكثر شمولية . وقد استخدم بيكاسو فن «اللصق» من أوراق الاعلانات والصحف والتذاكر الخ – ومكنه هذا من أن يلعب سلسلة من الألعاب لأنماط ومفاهيم مختلفة من «التمثيلية» . فمثلا يمكن لقطعة من الورق المحبب أن تمثل المائدة ، مثلما يمكن أن تشير قطعة من ورق الحائط الى وجود الحائط كله ، ومن ثم الى وجود الغرفة بأجمعها . إن هذه الدلائل البسيطة ، بالاضافة الى زيادة الاعتماد على استخدام عناصر تقليدية يمكن التعرف عليها من العالم المرئى ، هى التى تمكننا من فك رموز المعانى الأساسية فى لوحاته . وفى الوقت نفسه فمن الأهمية بمكان أن نؤكد على أن لوحات بيكاسو ذات نهايات مفتوحة ثابتة ، بمعنى أنها تعتمد على ما تراه أنت نفسك فيها مثلما تعتمد على هدف بيكاسو نفسه من رسمها .

وبتحليل بيكاسو للعالم الى سلسلة لا نهاية لها من العلامات فى أعماله التكعيبية ، وبانفصاله الى الأبد عن



طبيعة صامتة (١٩١٩)

طرق تصوير الفراغ التقليدية ، أصبح حراً منذ العشرينات فى أن يبدأ فى عملية اعادة بناء عالم جديد من صنعه ... عالم يمكن أن تحدث فيه للناس وللأشياء أكثر التحولات غرابة وخيالا . وكما فى التكعيبية ، فان الحياة ماتزال علامة دائرية واحدة ، يحتمل فى الوقت نفسه أن تشير الى سدادة زجاجة أو شريحة من الليمون ، ولذا ففى أعماله الأخيرة ، وجد سروراً عظيماً فى أن يلعب ألعاباً معقدة ، وإن كانت جادة ، مع تشريح الجسم الانسانى . وبهذه الطريقة نجد أنفسنا مواجهيـــن – حرفياً – بعالم الرغبة الغريزية فى صورها المختلفة .

قضايا عصره

هكذا تعتبر أعمال بيكاسو مهمة من الناحية العقلانية وكأهميتها من نـاحية ماتقدمه وما يمثله هـو . فعلى خـلاف العديدين من الفنانين الذين تأثروا بفنه ، لم يفقد هو نفسه الرؤية أبداً ، فى عالم الخبرة الاجتماعية . على العكس من ذلك تماماً ، فان عدداً قليلا جداً من فنانى القرن العشرين هم الذين ارتبطوا تماماً بقضايا عصرنا الكبرى . ومن هذا المنطلق تبدو حياة بيكاسو الفنية وكأنها انعكاس لكل مشاغل عصرنا السياسية والاجتماعية

وكما يقول «سيمون واتنى» فان : أكثر أعماله «العامة» وعياً ، هى أقلها نجاحاً ، إذ أنها تمتد بصعوبة بين اهتماماته الذاتية كفنان ، واحساسه بالالتزام تجاه جمهور متفرج دائماً ما انسلخ عنه .

ان اهتمامات بيكاسو السياسية تبدو فى أعماله ، ليس من خلال الاحساس الخشن بتصوير أحداث أو أفكار بعينها وكيف يقدم لنا عادة .

لقد حاول بيكاسو أن يغمس متفرجه بشكل مباشر فى مواقف ينظر اليها عادة على أنها «خاصة» أو «شخصية» . وقد حدث هذا بالتحديد فى الطريقة التى مثل بها احساساته الخاصة على المسرح العام من لوحاته مما يجعل منه فناناً ذا أهمية خاصة .

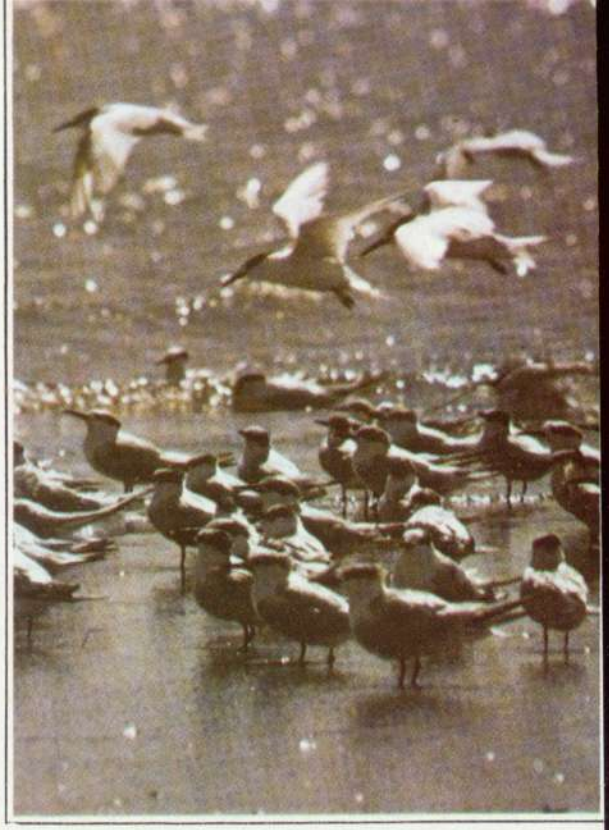
فقد كانت أعماله الأولى نتاجاً لاحساسه الخاص بالفقر والاستعباد الاجتماعى . واعتمدت سمعته بعد الحرب العالمية الأولى على نظام جديد تماماً لتأسيس الشهرة الفنية . ولم تكن القيمة الفنية لأعماله تعتمد على ما «يريده الجمهور» ، ولكن على تقدير النقاد والكتاب ومؤرخى الفن . ومن الناحية الأخرى ، بادل بيكاسو المجتمع التقليدى رفضاً برفض ! فقد قضى سنواته الأخيرة منفياً من هذا المجتمع المعادى بسبب ثروته وشهرته ! لذا ليس لنا أن نلوم الفنان بيكاسو اذا ما قدمت أعماله وكتب عنها بطريقة تؤدى الى ابتعاد معظم الناس عنها .

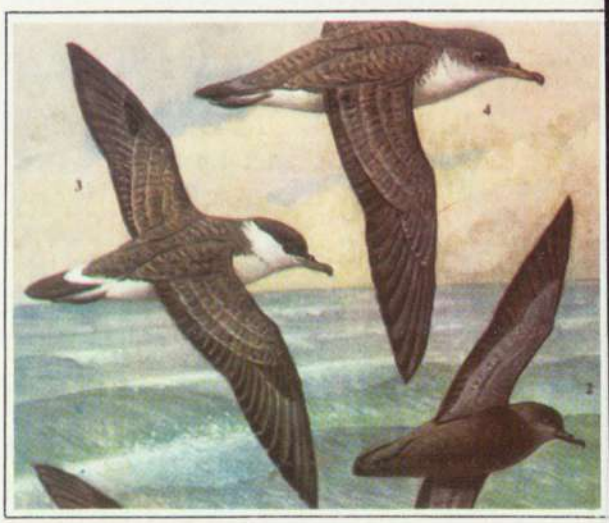
وحاول بيكاسو فى مطلع القرن أن يخلق فناً رمزياً عظيماً ، ليفسر ويكشف عن تناقضات العالم كما وجده . ولكن لغياب الموقع الاجتماعى الذى كان يمكن أن يحتله هذا الفن ، أحس أنه فشل . وفى نوبة غضب بدأ يعمل على تحطيم فكرة الفن كلية الى قطع صغيرة . ومن هذه الشظايا أخذ يعيد تجميع واحدة من أكثر لغات عصرنا الرمزية قوة وتأثيراً .

إن بيكاسو برفضه التام لمفهوم أن الفن يجب ، بل حتى يمكنه أن يكون مرآة للعالم ، فتح آفاقاً جديدة ومثيرة تماماً من الامكانيات : أمام الفنانين وأمام الناس على السواء .

مجدى نصيف – لندن







الطيور التى تهاجر فى الشتاء من بريطانيا الى امريكا وافريقيا .. ثم طائر المانكشيروتر أشهر الطيور المهاجرة .. و قافلة كبيرة من الطيور تهبط عقب رحلة شاقة !

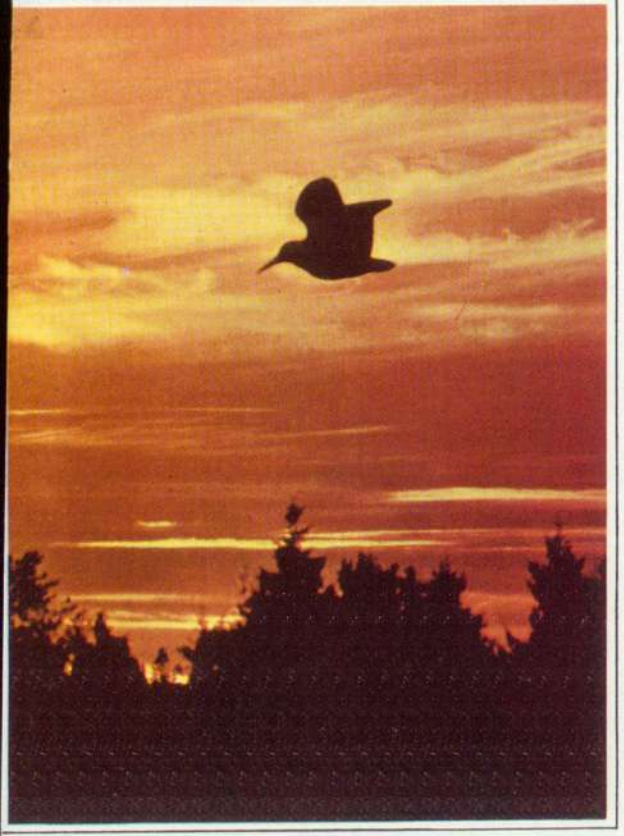
الطيور المهاجرة

بين الحقيقة والخيال

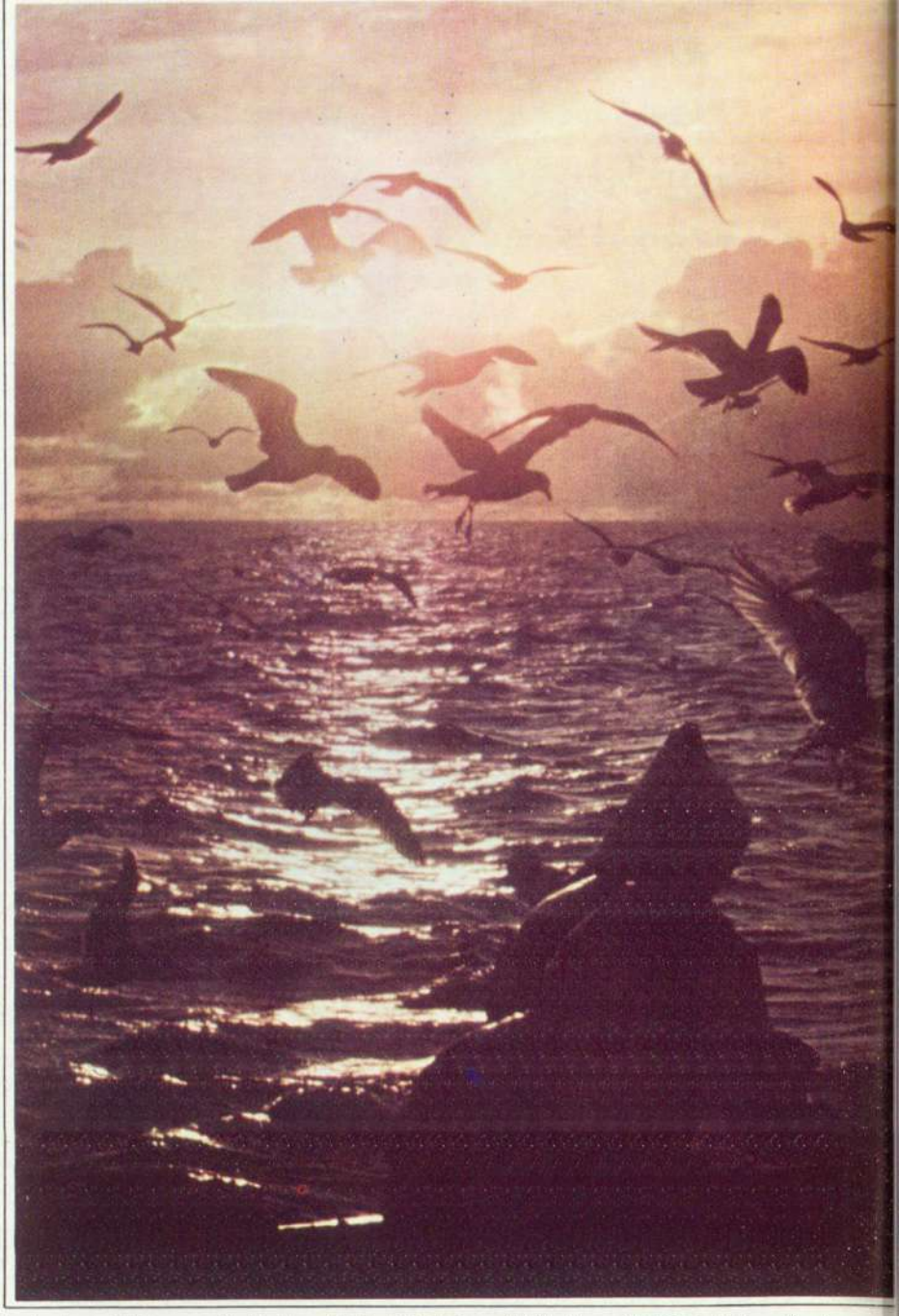
بقلم الدكتور: محمد الغباشى ربيع

تختلف الطيور عن سائر أعضاء المملكة الحيوانية بأنها لا تستطيع صبراً على الجوع والعطش أو الاكتفاء بالقليل من الغذاء لفترات طويلة ـ بل وان ارتفاع درجات الحرارة فى أجسامها والتى تصل فى الدرجات العادية من ٤٠ ـ ٤٥م ـ وذلك بخلاف الكائنات الحية الراقية الأخرى ـ جعل الاحتراق الزائد فى جسمها يؤدى بها الى الجوع والعطش أكثر مما تتعرض له غيرها من الحيوانات .

لذا كان لزاماً عليها أن تكون دائبة الأكل والشرب لتعويض هذا الاحتراق السريع الذى يتم بداخلها ـ وقد تموت بعض أنواع الطيور إذا ما تعرضت للجوع يوماً واحداً ـ وهكذا فان الطيور دائمة البحث عن الطعام وتنتقل اليه من مكان الى آخر أينما كان وحيثما وجدته .







طيور البحر المهاجرة أثناء الغروب على الشاطىء .. ثم لقطة نادرة لطائر يحاول اللحاق بمجموعته التى وصلت الى الأراضي الدافئة .. ولقطة أخرى للبط والأوز المهاجر



الصقور

فاذا كانت على قمم الجبال هبطت الى الوديان والمنخفضات وإذا كانت فى الغابات رحلت الى مشارف المناطق الآهلة بالسكان ـ كل ذلك بحثاً عن الطعام والشراب .

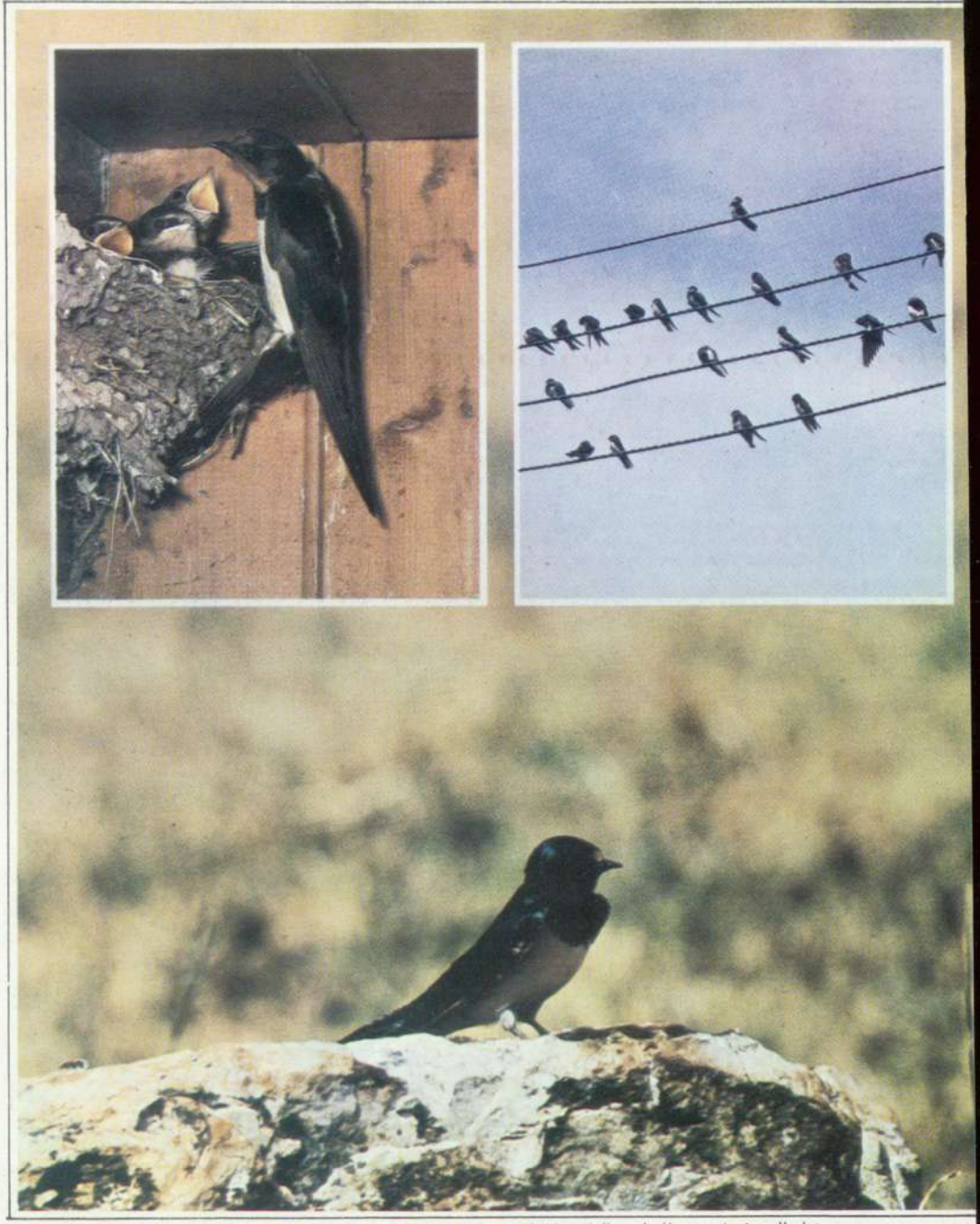
ولأن الطيور واجهت تلك المشكلات منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها ومنذ أن كتبت لها الحياة كان لابد لها أن تصارع من أجل البقاء ومن أجل الحفاظ على أنواعها من الانقراض .. ومن هنا كانت هجرتها .

رحلات طويلة

ولقد وقف العلماء منذ القدم حيارى مكتوفي الأيدي أمام تلك الرحلات الطويلة الغريبة التى تقطعها الطيور ذهاباً وإياباً فى مواسم وفصول محددة على مدار السنة بل وأثارت تلك الهجرة اهتمام العلماء ، كل واحد يفسرها على هواه ، حتى أن تلك التفسيرات جاءت فى معظم الأحيان قريبة الى الخرافة منها الى الحقيقة . فاعتقد بعضهم أن الكوكبات تتحول فى الشتاء الى صقور ثم ترتد الى أصلها مرة أخرى فى الربيع وأن السنونوات تقضى الشتاء كامنة فى جحور من الطين حتى الربيع ، وأن بعضاً من تلك الطيور يرحل الى القمر لقضاء الشتاء فيه ثم يعود أدراجه مرة أخرى عندما يحل الربيع .

ولما كان القرن الثالث عشر .. تنبه المهتمون بهجرات الطيور من العلماء الى حقيقة الأمر وأدركوا أنها قد تذهب لتفريخ الصغار فى جهة وتقضى الشتاء فى جهة أخرى من الكرة الأرضية .

الطيور المهاجرة
بين الحقيقة والخيال



زوار الصيف فى بريطانيا من الطيور المهاجرة .. وفى نهاية الموسم كما نرى تستعد الفراخ للتدريب على الطيران حتى تنضم الى المجموعة المسافرة .

وبالرغم من تقدم العلوم وتيسير السبل أمام علماء عصرنا لكشف كثير من الظواهر الغريبة فى هذا الكون العجيب إلا أنهم لم يأتوا بتفسير واضح ومقنع لهجرة الطيور

والأمر الذى لا جدال فيه أن الملاحين والطيارين يستعينون فى سفنهم وطائراتهم بأجهزة ومعدات وخرائط غاية فى الدقة لحساب الزمن والمسافات والاتجاهات الرئيسية والارتفاع وقياس درجات الحرارة والرطوبة واتجاه الرياح وعليهم أن يقوموا بأنفسهم أو بأجهزة الكترونية وعقول كذلك بحسابات كثيرة ومعقدة مطروحة ومضروبة ومقسومة لكي يهتدوا الى معرفة طريقهم والوصول بسفنهم أو طائراتهم الى المكان المنشود بأمن وأمان ... ولكن أين لتلك الطيور بكل هذا أو ذاك ؟!

ومن المؤكد أن لهجرة الطيور أهمية كبيرة فى حياتها تدفعها اليها وإلا ما حافظت عليها أجيال بعد أجيال تتوارثها بالرغم من أن ذلك يكلفها الكثير من الجهد وربما ذهب بأعداد كبيرة منها أثناء تلك الرحلة المضنية الى الفناء .

فمما لاشك فيه أن الهجرة تمكن الطيور من استغلال الامكانيات المتوفرة كالغذاء والجو المناسب للتكاثر والتفريخ فى منطقتين مختلفتين فى المواسم الملائمة لها .

وهجرة الطيور دائماً تصاحب التغيرات المناخية فكلما اتجهنا شمالا وجدنا تبايناً شديداً بين درجات الحرارة صيفاً وشتاء لذلك تكثر أنواع الطيور المهاجرة هناك .

ولقد وجد أنه مع اقتراب فصل الشتاء فى تلك المناطق وانخفاض درجة الحرارة يقل الغذاء وتختفي الحشرات التى تشكل عند بعض الطيور غذاء شهياً . ولهذا تبدأ بعض الطيور شد الرحال للهجرة الى أماكن أخرى بعيدة بحثاً عن الدفء والغذاء ـ وتلك هي صفات الكثير من الطيور المائية التى تستوطن المناطق الشمالية من الكرة الأرضية حيث عليها أن تهاجر الى الجنوب شتاء بسبب تجمد المياه مما تصعب معه الحياة وتختفى الحشرات ويقل الغذاء بحكم الظروف المناخية حيث يكون الحال على عكس ذلك فى الجنوب .

ولكن الأمر الذى حير الكثيرين أن معظم تلك الطيور المهاجرة تترك مواطنها والتى نشأت فيها قبل حلول الشتاء بفترات طويلة وفى الوقت الذى لا يزال فيه هناك رغد من العيش وربما كانت الثمار متوفرة والحشرات تغص بها تلك المناطق . كما أن كثيراً من الطيور تبكر بالعودة من المناطق التى كانت قد رحلت اليها بالرغم من توفر الظروف الملائمة لتسرع عائدة الى مواطن التفريخ الأصلية لها وربما جاءتها قبل أن تحل فيها الحشرات وتنضج الثمار والبذور .

وإذا كانت الدوافع الأساسية للهجرة هى البحث عن الطعام والظروف المناخية المعتدلة ، فلماذا تمتد تلك الرحلات فى كثير من الأحيان الى ما وراء تلك الحدود بكثير؟.

فخطاف البحر مثلا والذى يسكن الجزر البريطانية يغادرها الى افريقيا قبل نهاية أغسطس أى قبل حلول البرد فى بريطانيا بفترة طويلة ـ والسنونوات واللقالق تترك موطنها الأصلي فى أوربا فى أوائل الخريف أو نهاية الصيف متجهة الى جنوب أفريقيا وهى فى اتجاهها هذا تعرض نفسها للمخاطر بالرغم من أن بلادها مازالت تقدم لها الكثير من الغذاء والراحة .

ثم لماذا لم يكن الاتجاه نحو شمال القارة الأفريقية وليس الى جنوبها ؟



طائر الجل .. من الطيور التى تحب وطنها وتسعى دائماً للعودة إليه .

ومن المعروف أن « الصغير الأمريكي » Oriole لا يقضى فى موطنه الأصلى – أمريكا الشمالية – سوى شهرين فقط (من أوائل مايو الى أواسط يوليو) ثم يغادرها الى الجنوب فى الوقت الذى لا تزال فيه تلك المناطق هدفاً للطيور القادمة للتفريخ .

الهجرة دافع غريزى

ولقد ثبت للباحثين فى هذا المجال أنه عندما توضع بعض صغار الطيور المهاجرة والتى لم يسبق لها الهجرة من قبل فى أقفاص وتوفر لها الظروف الطبيعية والغذاء فانها تتأثر هي الأخرى فى مواسم الهجرة حين تتجه أنواعها نحو الجنوب فى هجرتها العادية فيبدو على هؤلاء الصغار حالة من الاضطراب وعدم الاستقرار كما لو كانت تطالب بفتح تلك الاقفاص لتلحق بأقرانها من الطيور التى شدت الرحال – ومن هنا يتبين لنا أن الهجرة دافع غريزى تخضع له الطيور رغماً عن إرادتها .

ومن التجارب التى أجراها العلماء فى هذا المضمار وجدوا أن هناك أرتباطاً وثيق الصلة بين غريزة الهجرة والدورة التناسلية عند تلك الطيور حيث أنهم وجدوا أن بعض الطيور المهاجرة ممن لم تبلغ النضج الجنسي فى الأعوام الأولى من حياتها لا تعود الى موطنها بانتظام كما هو الحال عند الطيور البالغة .

وفى إحدى التجارب لاثبات ذلك قام بعض العلماء الأمريكيين بأخذ عدد من الطيور التى جاءت من المنطقة الشمالية فى الخريف ووضعوها فى غرف خاصة ووفروا لها الدفء والاضاءة الكاملة لكي تحاكي أيام الربيع حتى فى طول النهار . وكانت تلك التجارب دقيقة للغاية فوجدوا أنه بعد ثلاثة الى أربعة أسابيع يتكون البيض فى مبايض تلك الطيور وتستعد لوضعه والقيام بتفريخه .

وفعلوا عكس ذلك فى الربيع بأن أخذوا طيوراً جاءت من الجنوب ووضعوها فى ظروف صناعية كفصل الشتاء من حيث درجات الحرارة وقصر طول النهار فاذا بها تختفى من المنطقة .

وهذه تجربة أخرى لبعض العلماء أجريت فى محطات المراقبة فى أوربا استؤصلت فيها الأعضاء التناسلية من بعض الطيور وتركوها تحت المراقبة فوجدوا أنها هاجرت الى المواطن الشتوية مثلها مثل الطيور التى لم تستأصل أعضاؤها التناسلية .

حب الوطن

ويبدو أن حب الوطن متأصل فى الطيور كما هو الحال عندنا نحن البشر – فالانسان الذى يعيش فى غربته يكون مشدوداً دائماً بالحنين الى وطنه مشتاقاً للعودة اليـــه بين لحظة وأخرى . فلقد ثبت أن الطيور لا تعود الى نفس مواطن التفريخ فحسب بل في كثير من الأحيان الى نفس الحديقة وربما نفس الشجرة أو الى عشها الذى قامت ببنائه فى الأعوام السابقة – وحتى تلك الصغار التى كان مقدراً لها أن تضل الطريق اثناء رحلة العودة فانها تعود الى أماكن تفريخها وإن أخطأت فسوف يكون الخطأ ليس جسيماً وربما عادت الى حديقة أو شجرة مجاورة لتلك الحديقة أو الشجرة التى خرجت فيها فرخاً صغيراً من بيضتها فى العام السابق .

ومما اثبته العلماء بالتجارب أن الكثير من الطيور المهاجرة تسلك طريق الهجرة دون تعلم ومن غير خبرة سابقة ففى بعض الأنواع تهاجر الطيور التى تبلغ الحلم لأول مرة وعمرها لا يتجاوز الستة أشهر وذلك قبل أن تبدأ به الطيور التى سبقتها الى الهجرة مرات عديدة فى السنوات السابقة ومع ذلك فانها تعرف الطريق الى الهدف المنشود فى الميعاد المحدد وربما كان هذا المكان فى جزيرة بعيدة فى المحيط الهادى أو منطقة معينة فى سيبريا ، أو غابة من غابات افريقيا .

ولقد أجرى بعض العلماء الألمان تجربة عن معرفة الصغار لطريق الهجرة دون قيادة الكبار من تلك الطيور فاحتفظت ببعض صغار اللقالق بعد أخذها من العش والعناية بها فى أماكن فسيحة وأبقتها حتى رحلت كل اللقالق البالغة ثم اطلقتها – وبملاحظتها بفضل الرادارات وأجهزة المراقبة وجدوا أنها تطير نحو الجنوب وكأنها قد قامت برحلات الهجرة مرات عديدة من قبل .

وعلى الطيور المهاجرة أن تتبع أثناء رحلاتها خطوط سير معينة فطرت عليها بحكم الغريزة وقلما تحيد عنها . وإذا حدث أن حادت عن تلك الخطوط فان ذلك مرجعه الى بعض التعديلات الطبيعية التى تفرضها عليها المعالم الطوبوغرافية لكي تصل الى نقطة النهاية دون أن تتعرض للكثير من الأخطار .

للطيور حواس أخرى

ولقد أثبتت التجارب أن للطيور حواساً أخرى غير تلك التى تعرفها توجهها الى الطريق الصحيح عندما يصعب عليها أن تستعين بأية علامات أرضية أو أن يكون انطلاقها من مكان لأول مرة ولا دراية لها بمعالم الطريق على الاطلاق .

وضمن هذه التجارب تلك التى أجراها

الطيور المهاجرة
بين الحقيقة والخيال

بعض العلماء فى الولايات المتحدة الأمريكية ويرويها لنا استاذ العلوم ومدير متحف التاريخ الطبيعي فى جامعة بغداد الدكتور بشير اللوس فى تلك التجارب أخذ عدد من خطاطيف البحر من نوعي سوتي و نودى ـ ووضعت فيها علامات خاصة ونقلت بالبواخر من مواطن تفريخها فى جزر من الساحل الجنوبي الغربي لفلوريدا الى مسافات واتجاهات مختلفة وبعد أن أطلقت عاد قسم منها فى خلال بضع ساعات من المسافات القصيرة (٥٥ ميلا) بينما عاد القسم الآخر من نقاط تبعد مئات الأميال عن مواطنها خلال بضعة أيام . وفى تجربة أخرى أخذ ٢٢٠ طائراً من طيور بحرية من أماكن تعشيشها فى جزيرة « كنت » فى شرق كندا الى أنحاء مختلفة فعاد معظمها إلى أعشاشه الأصلية وبعضها كان على مسافة ٤٧٠ ميلا قطع منها مسافة ٣٦٠ ميلا فوق المحيط الأطلسى .

وفى تجربة أخرى على طيور بحرية من نوع « جانيتس » أطلقت من مناطق غير مألوفة لديها وأجرى تتبعها بالطائرة فظهر أنها تطير أولا على غير هدى حتى يقع بصرها على دليل تستعين به فى معرفة الجهة الصحيحة للطيران .

الأشعة الخفية

وعلى أية حال فهناك عدة تفسيرات لكيفية اختيار الطريق السليم الآمن أمام الطيور المهاجرة منها ما يفسر اعتمادها على الأشعة الخفية فى عيونها وبعضها يفسر اعتمادها على أشعة الشمس ، والبعض الآخر على ضوء القمر والنجوم الى آخر ذلك من التفسيرات . ولكن يمكن القول بأن هناك عوامل حقيقية مازالت خفية يعلمها الله سبحانه وتعالى وحده تعتمد عليها الطيور في هجرتها بالاضافة الى الاندفاع الغريزي عندها .

والطيور القوية أمثال الكراكي واللقالق والصقور والبط والوز والخواضات يمكنها أن تجتاز أعلى الجبال بينما يصعب ذلك على معظم الطيور الأخرى التى تضطر الى المرور من خلال الوديان أو الدوران حول تلك الجبال والمرتفعات .

والحال أيضاً عند عبور الصحاري فان الجماعات الكبرى تسلك حدود الصحارى ووديان الأنهار أو سواحل البحار .

ومعظم الطيور المهاجرة تتجنب عبور البحار لتطير فوق سواحلها وإذا كان لابد لها من العبور فان عليها أن تختار أضيق المناطق لذا فاننا نجدها تعبرها فى منطقة جبل طارق ومضايق صقلية ومضيق البوسفور .

لكن الطيور الأخرى القوية الواثقة من نفسها ومن قوة جناحيها كالزقزاق الذهبي وخطاف البحر القطبي تشذ عن ذلك لتعبر المحيطات دون ملل أو تعب ودون أن تضل الطريق وكأنها طائرات مزودة بأحدث الأجهزة .

والخطاف القطبي يعتبر من أعظم الطيور المهاجرة ويبلغ طوله نحو أربعين سنتيمترا . وهو يضع البيض ويربى صغاره فى القطب الشمالي حيث لا تغرب الشمس ويقضى الشتاء فى القطب الجنوبى حيث الشمس وضوء النهار الدائم . لذا فانه يفوز بأكبر قدر من ضوء النهار فى حياته .

وطائر (دخلة الحدائق) الصغير الحجم يرحل من أوربا الى جنوب أفريقيا فى نصف الكرة الآخر لقضاء الشتاء هناك لكي يستمتع بفصلين دافئين فى كل عام ـ يتعرف على الحديقة التى أمضى فيها ربيعه الماضى ويعرف طريقه اليها دون خرائط أو آلات سدس لتحديد الارتفاع أو حتى بوصلة تعينه على معرفة الاتجاهات .

ودخلة الحدائق من الطيور التى تفضل الطيران ليلا لذا فانها تعتمد على ضوء القمر والنجوم فى توجيه نفسها ـ ولقد اثبتت جميع الاختبارات التى أجريت عليها أن تلك هي الحقيقة ـ ففى مدرسة (بريما) للملاحة البحرية حيث أقيمت قبة سماوية لتعليم الطلبة الملاحة وضعت مجموعة من دخلة الحدائق تحت نفس الاختبارات التى يتعرض لها الطلبة للتعرف على الاتجاه فجاءت النتائج المدهشة فى أن طيور دخلة الحدائق تجد طريقها للهجرة دون صعوبة إلا فى حالة واحدة وهي حالة الاظلام التام للقبة السماوية .

طريقان للهجرة

وهناك طريقان هامان للهجرة عرفها المتتبعون لها والقائمون بدراستها ومعرفة خطوط سيرها على المدى البعيد أحدهما يمتد بمحاذاة الشاطىء الغربي لأمريكا ، والثانى بمحاذاة الشاطىء الغربى لأوربا ثم لأفريقيا .

وللظروف المناخية أهمية كبيرة فى تحديد الطيور لأوقات الهجرة وساعات الطيران

وبعض الطيور تفضل الهجرة ليلا وبعضها يفضلها نهاراً والبعض لا يتقيد بالليل أو بالنهار فى هجرته .

ولكنه من الملاحظ أن الطيور الصغيرة تفضل الطيران ليلا وتستريح نهاراً طلباً للغذاء ـ ولكن الطيور الكبيرة والجوارح والطيور الصغيرة التى تستطيع أن تتغذى أثناء الطيران كالسنونوات والسمامة فتهاجر نهاراً وتستريح ليلا .

وهجرة الطيور ، تبدو للبعض منا ، وكأنها أمر ميسور . ولكن الواقع عكس ذلك تماماً . فهجرة الطيور مرتين على مدار السنة لاشك أنها تكلفها الكثير والكثير . لذلك قدر العلماء بأن ثلث الأنواع المهاجرة من الطيور يهلك سنوياً ، إما بسبب تعرضها لاعتداء البشر عليها أو الطيور والحيوانات المفترسة ، أو بسبب العطش وضياع الاتجاه بسبب التغير المفاجىء فى المناخ أثناء الرحلة والبعض الآخر يتعرض للاصطدام بالجبال العالية أو الانحراف نحو أعماق البحر بسبب سوء الأحوال الجوية ، ولكن ربما كان ذلك ضمن نواميس الحياة وقوانين حفظ توازن الحياة البيولوجية .

ولقد أثبتت الطيور أنها أكفأ مخلوقات الله من حيث الهجرة ، فقد كانت هناك منذ زمن بعيد هجرات للحيوانات ومازالت لبعض أنواعها حتى الآن ، وهذا موضوع آخر إلا أن تلك الحيوانات انقرض معظمها بسبب مخاطر الهجرة ودفعت حياتها ثمناً لتلك المغامرة .

د. محمد الغباشي ربيع

في الحياة والناس والطبيعة

أشعار: نيكيفوروس فريتاكوس ترجمة: د. نعيم عطية

● ولد الشاعر اليوناني المعاصر نيكيفوروس فريتاكوس عام ١٩١١ فى قرية « اسبرطة » من أسرة ريفية فقيرة .
● نشر أول دواوينه عام ١٩٢٩ .
● يعتبر من جيل الثلاثينيات فى الشعر اليوناني الحديث ، الذى قاده الشاعر اليوناني الكبير «سيفيري» ، لكنه لم يتأثر به ، ولم يأخذ باتجاهه فى الشعر ، إذ كان «سيفيري» ينحو الى التجريدية ، بينما التصق «فريتاكوس» بالانسان ونضاله من أجل الحيـــاة .
● كان واحداً من ثلاثة شعراء عارضوا النزعة غير الانسانية . الشاعران الآخران هما : « ريتسوس » و «تيميليس» .
● من دواوينه الشعرية : « النزول الى صمت الأزمان » صدر عام ١٩٣٣ ـ « الحرب » ١٩٣٦ ـ « رحلة كبير الملائكة » ١٩٣٩ ـ « مارغريتا » ١٩٣٩ . ثم طبعت أعماله الشعرية الكاملة فى مجلدين : المجلد الأول تضمن قصائدة حتى عام ١٩٥١ ، وتضمن المجلد الثاني قصائده التى كتبت بعد ذلك التاريخ .

لـو لـم تعطـني الشـعر يا سـيدي



لو لم تعطنى الشعر ، ياسيدى
لما أصبح لي شيء أحيا من أجله
هذه الحقول ما كانت ستصير ملكي
أما الآن ، فأنا سعيد بشجر الزيتون
وبالأغصان تنبثق من حَجَري .
وتمتلىء راحتاي شمساً ،
وصحرائي أهلا ،
وبساتيني عصافير مغردة .

● ● ●

الآن ، خبرنى كيف يبدو لك كل هذا ؟
أرأيت سنابلي ، ياسيدى ؟
أرأيت كرومي ؟
أرأيت كم هو جميل الضوء الساقط على ودياني
ولا زال لدى من الوقت متسع !
لم استصلح ياسيدي بعد كل أراضى .
يحفر الألم بداخلي ، ويتعاظم قدري .
أوزع ضحكاتي مثل كسرة من الخبز .
ومع ذلك
لا أبدد شمسك هباء
لا ألقي مما تعطيني أي فتات مهما ضؤل .
لأنني أفكر فى عزلة الشتاء القادم وبرده ،
لأن ليلي سيجيء . لأنه أضحى وشيكاً ، ياسيدي ،
ويجب أن أكون قد أعددت كوخي قبل أن أرحل
معبداً لرعاة الحب .

قصائد من اليونان

أجمع الفتات المتساقط

خذ أى طريق تشاء . أصعد إلى أية قمة . أسأل أية شجرة تحلو لك .
أتسمعني ؟ كل دروب الأرض توصل الى قلبي .
لا يبهرنك النور فتنسى نفسك . هل تسمع ؟ تعال !

أجمع الفتات المتساقط كي أرسل اليك قليلا من الخبز .
أجمع بيدي المكسورة ما بقي من الشمس ، كي أرسله اليك كساء
علمت أنك تشكو من البرد .
أرتد يوم الفصح ثوبك الأخضر
سوف يجري الأطفال حاملين زهورا . ويطلع الحمام .





لولاك

لولاك ما وجد الحمام ماء ليرتوي
لولاك لما فجر الله النور فى الينابيع
تتناثر الكلمات في مهب الريح زهوراً ورياحين
وفى حجرك من السماوات ماء تجلبين ،
وتتقاطر الضياء .
ويجلل هامتك قمر من العصافير .

مرثية من سبعة مقاطع

(١)

تارة بطيبة قلب ، وتارة بحماقة ، وتارة أخرى بذكاء ولباقة ، معتمداً على الكلمات أحياناً ، وأحياناً على الأحلام ، جرب كل أوجه النشاط فى عصره تقريبا .

كان شجرة عجوزاً ، ورأى أن الكثير مما جرب سيدينه الزمان ، لو أن الأمطار المفاجئة جاءت هادئة . هكذا كانت الشجرة تقول . بينما هي نفسها لم تكن تعرف أى الأغصان من أعماقها ستتجدد ، وَتُعِدُّ زهراً وأوراق .

على أن الشيء الذى لم يفهمه قط ، أنه مضت تتكون بداخله طبقة صلبة من الآلام ، راحت تتساقط ألماً ألماً ، وتتراكم رويداً ، رويداً ، وبلا انقطاع . شيء يشبه منجماً من فحم الخشب . سيذوب مثل الجليد يوماً . وعندئذ سوف تنبت بداخله ، وتغطى كل الأرجاء ، زهور سوداء .

ـ ٢ ـ

خطرت بباله أكثر من مرة ، أن ينهض من كرسيه ، ويهوي بقبضته على المنضدة ليحطمها بكل قوة .

لكنه يعود ـ هو الشجرة العجوز ـ ويفكر . لماذا يفسد هذه التحفة البديعة الصغيرة ، ما ذنبها إن كانت قد ولدت ضعيفة لا تقوى أن تفعل الكثير ؟ مثلا ، لِمَ لَمْ تصنع كي تصبح خزاناً عند مسقط من مساقط عمرها ؟ إلا أنها على الدوام ستظل فى دنيا الله المخلوقَ الصغير ، ستظل على أية حالة تحفة من تحفه البديعة .

ـ ٣ ـ

كان يقول أنه سيصلح البستان . وكم من كلام فارغ قال !

كانت يداه معولين يهويان باصرار على ورق كسفوح الجرانيت .

يزرع شجراً من أجل الأطيار ، وزهوراً من أجل النحل .

كان يعرف أن البرقوق يروق للأطفال، والبرتقال للملائكة العابرة فى الصباح .

كان يعرف ذلك . ولكن من أين له الماء والشمس والخزانات ؟

كانت الدناصير تمر ، وتمضي بالأشجار بين أنيابها . والمحاربون يحطون هناك .

كل شيء كان يمر فوقه ، وتنغرس فيه عجلات العربات التى تحمل جثث الأموات .

وكان يقول « ياشمسى !» ويحفر ، حتى ارتطم معوله بحافة الليل الذى كان قد هبط . فَتَسَمَّر ، وظل فى مكانه هناك .

ـ ٤ ـ

يريد أن يتخيل العالم ، كما كان آنذاك ،

عندما كان يجري فى الغرف الفسيحة ، ذات النوافذ التى تجعلك تظن أنها الأفق ، متعقباً فراشة رقيقة ملونة ، تحس بدورها فى ذلك البيت بالسماء .

أو مقتفياً أحد الأطيار كان يزوره ـ ليس فى وقت محدد ، بل حينما يشاء ـ يطوف مثل ملاك صغير فى الغرف .

(جبال عالية متناسقة فى الأعماق ، وأدغال خضراء ، لا بيوت على الاطلاق. غربان أو سحب صغيرة عابرة ، وأجراس ترن من قطيع جديان يرعى هنا وهناك . ولا شيء غير ذلك) .

هـذا العالم تماماً ، كما كان آنذاك ،

يريد أن يتخيلـه ،

ممسكاً رأسه بين يديـه ، مملوء بالذكريات والشمس والنغمات ،

مطلا على حيث تصطخب ، وتمور الهاوية المظلمة .

ـ ٥ ـ

بعد ذلك بكثير ، أدرك أن روحه مفرق طريق غريب ، وطأته آلاف الأقدام ، وطبعت عليه آثارها مسامير أحذية ثقال وحفرت شتى أنواع العربات بعجلاتها الضخام على أديمه الأخاديد .

مفرق طريق ، مليء بالطين المقيت ، معجون ببصاق خطباء ، ونفايات لاجئين عابرين ، ودموع شحاذين ، يقفون طوال النهار جامدين ، عميان يمدون صفائحهم الصدئة مستجدين ، والسماء تهيل عليهم أمطارها ، فيذوبون

بعد ذلك بكثير ، أدرك أنه كان بحاجة الى هذا الطين ، وأن كل ما حدث كان حسناً ان حدث ، وأنه ـ حمداً لله ـ عاش من العمر ستين ، وفعل أفضل ما بالامكان أن يفعل : أحب الناس حباً شديداً .

ولا يهم أن أخفق بسبب هذا الطين ، الطين الذى أنعم به عليـه ، كي يعجنه بضياء شمسه ، ويصنع نوعاً جديداً من الانسان ، على قمة جبل الأحزان .

ـ ٦ ـ

كتب حياته ، وسلم أوراقه للديـان
لا يرفض الزمان ـ كما ترون ـ أن يتلقى من احد أوراق .

على أن الكثير مما يتلقاه ينبذه ، وإن كان بالبعض يحتفظ .

يدرسه باهتمام ، ويغربلـه ،
ثم يدلـي بحكمـه . لا يعرف احد ابتداء باي صفة سيستقبلـه ـ وذلك إن استقبله ـ متهماً ، أم شاهداً ، أم مدعياً .

وعلى أي حال ، فهـو قد فـرغ .

كتب حياته على الورق . ووقع على ما كتب ثم نظر الى البحر والى الجبال . وانصرف يبحث عن مكان هادىء ينام فيه .

ـ ٧ ـ

مثل موجـة تَمَـزَّقَ قلبهـا
عنـد صخـرة عاليـة ، لمـع لحظـة
ثم حـل الليـل محلـه .

ترجمها عن اليونانية : د. نعيم عطية



الحركة والسكون

مع الفنان عبدالله يوسف

حركة الفن البحريني تبحث عن طريق !

أجرى الحوار : علوي الهاشمي

● : كيف كانت علاقتك الأولى مع اللوحة ؟

: يمكنني القول بان علاقتي الأولى مع اللوحة بدأت منذ دخولي المرحلة الابتدائية وكانت تتسم بعفوية أو سذاجة كبيرة يفرضها صغر السن وضحالة التفكير في تلك الفترة طبعاً ... لكن تلك العلاقة العضوية تنامت وتتطورت مع تطور التفكير ، حتى وصلت الى لحظة الدهشة وبالتالي الاكتشاف ... ذلك حتى توثقت علاقتي بشكل جدي مع لوحة « الرفض » وكان ذلك في العام ١٩٦٨ . تلك اللوحة احتضنت فيما بين اضلاعها الأربعة أول فكرة وأول اسلوب تقني ضمن تجربتي الفنية الخاصة .. منذ تلك اللوحة أصبحت علاقتي باللوحة تعني شيئاً اخر يبتعد بكثير عن السذاجة وضحالة الادراك .

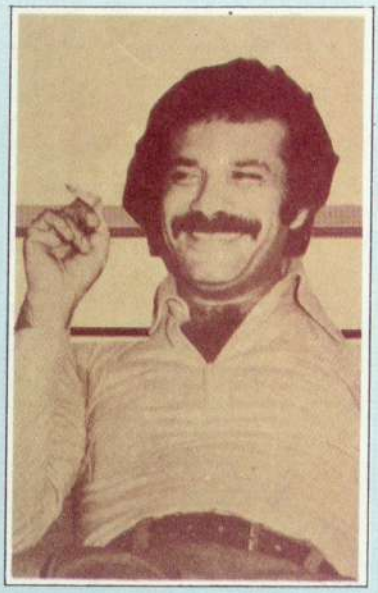
● : انت تضع قدميك بثبات وتوازن على ارضيتين : الفن التشكيلي والفن المسرحي .. ما هي الحدود المشتركة في نظرك بين الأرضيتين ؟ وما مدى ارتباط كل منهما بالاخرى ، في سياق تجربتك الفنية ، تاثراً وتاثيراً ؟ .

: الفن التشكيلي عنصر رئيسي وفعال ضمن مجموعة عناصر فنية تشكل فيما بينها الفن المسرحي بمعناه الشامل ـ فالمسرح كما قيل هو ابو الفنون ـ ومن خلال تجربتي المحدودة في الفن المسرحي ادركت أن المسرح ليس فقط ابا الفنون ، بل هو يتعدى ذلك الاصطلاح أو المفهوم الى آفاق ارحب واوسع . والحدود المشتركة بين الفن التشكيلي والمسرح .. عديدة ومتنوعة ، تبدأ من شكل المسرح الخارجي كمعمار مروراً بصالة العرض وبرواز الخشبة وتكوينها ومروراً بالديكورات والاكسسوارات والملابس والالوان والممثلين والاضاءة والحركة .. وكل ما يمكن أن يندرج تحت ما ذكرته .. والارتباط بين كل جزء والآخر فيما اشرت اليه كارتباط الشكل بالمضمون في اى عمل فني خلاق كل جزء ينبع من الآخر ويرتبط به ارتباطاً وثيقاً جداً .. وكل جزء يؤثر في الآخر ويتاثر به . واجزم بكل اقتناع بان الفنان المسرحي المبدع هو ذلك الانسان الذي يمتلك جانباً كبيراً من القدرات والامكانيات والاحاسيس المذهلة التي يتيحها الفن التشكيلي بكل عوالمه السحرية المدهشة .

● : يلاحظ على معظم لوحاتك مباشرية الموضوع والفكرة ، بحيث تبدو عناصرهاوابعادها واضحة كل الوضوح منذ الوهلة الأولى . مثلا : لوحة «مذكرات بحار» يتكون موضوعها من العناصرالتالية : الغواص ، الدانة او اللؤلؤة الكبيرة ، اليد ، العين ، المحارة الفارغة . ولوحة «تالف» تاتلف فكرتها من العناصر الموضوعية التالية : الصليب ، المئذنة ، السهم ، الشمس العتمة . هل تقصد من وراء كل ذلك الوضوح في طرح موضوعاتك وبسط افكارك ؟ ولماذا ؟

● : الملاحظ ايضا على لوحاتك ، في معظمها ، قوة الحدث أو المناسبة التي ينطلق منها ذلك الموضوع أو الفكرة ... الى درجة أن أصبحت مثل تلك «المناسبة» شرطاً من شروط فهم لوحاتك والتفاعل معها بالنسبة للمشاهد فمثلا لوحة « تالف » تنطلق من حرب لبنان الطائفية . ولوحة

نبذة فنية عن الفنان عبدالله يوسف



منذ بدايته الأولى فى المرحلة الابتدائية ، كان اهتمامه يشمل عدة أنشطة فنية ضمن الاطار المدرسي .. فقد كان عضوا فعالا فى جمعية الرسم والخط والنجارة والأشغال اليدوية والجمعية التعاونية ، التى كانت تهتم وقتها برسم الخرائط الجغرافية بأحجام كبيرة

فى عام ١٩٦٣ تعرف على الأندية . ومارس نشاطه فى الرسم من خلال نادى الاتحاد الثقافي والرياضي بالمحرق والذى تحول فى العام ١٩٧٠ الى مسرح الاتحاد الشعبي . ومن خلال ذلك النادى تعرف على المسرح من أضيق ابوابه ..

ومنذ عـــام ١٩٦٣ تركز اهتمامه فى خطين متوازيين ـ الرسم والمسرح ـ ٦٨ ، ٦٩ ، ١٩٧٠ كانت هي الأعوام الحاسمة فى بلورة رغبته الجادة فى الممارسة الفنية .. فقد ركز جزءاً أساسياً من وقته فى البحث عن الصياغة التشكيلية فى اللوحة .. ونفذ مجموعة أعمال عرضها فى أول معرض علني أقامه فى نادى البحرين بالمحرق سنة ١٩٧١ .

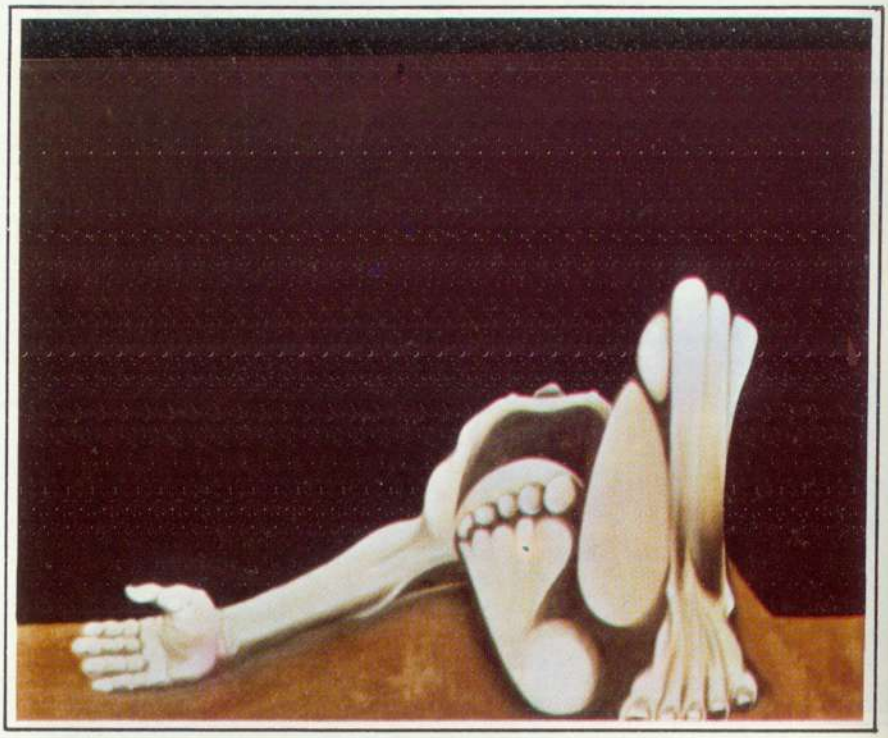
وكانت تلك السنة بمثابة البداية الجادة والحقيقة له نحو الفن التشكيلي .

في عام ١٩٧٠ طرح فكرة تأسيس كيان يمارس العمل المسرحي بشكل منظم ويحصر جل اهتمامه فيه .. وبالفعل تم تحويل نادى الاتحاد الثقافى والرياضي الى مسرح الاتحاد الشعبي .

بعد عدة شهور لاتتجاوز الأربعة حدثت خلافات حادة بين الأعضاء وانقسموا الى مجموعتين .. مجموعة واصلت انتماءها لمسرح الاتحاد الشعبي ، وقسم آخر فضل الانسحاب معه .. فخرجوا وعقدوا اجتماعاً فيما بينهم فى نفس الليلة حيث طرح فيه فكرة تأسيس كيان مسرحي آخر ، وبالفعل تم الاتفاق على تأسيس ذلك الكيان تحت اسم «المسرح البحريني» الذى تبدلت تسميته بعد ذلك الى «مسرح أوال» .

ومنذ ذلك التاريخ واصل بأسلوب جاد ومركز اهتماماته بالمسرح والفن التشكيلي كل منهما يخدم الآخر ويلتحم به . وقد شارك فى عدة معارض تشكيلية ، سواء فى البحرين أو خارجها .

ولا يـــزال يواصـل السيـر .



خطوة فى الحلم

«الحدث» تنطلق من استشهاد أحد المناضلين . ولوحة «مذكرات بحار» تنطلق من حياة الغواص بتفاصيلها وشروطها . الا ترى أن مثل هذا الربط «المناسبي» من شانه الحد من اتساع الأفق الانساني العام للـوحة الفنية؟

: أنا أعتقد بان مباشرية الموضوع مع لوحاتي ، تستنتج فى أحيان كثيرة من عناوين اللوحات وفى بعض الأحيان من طبيعة وشكل التكوين الفنى فى اللوحة ، لذلك يشعر المشاهد للوحاتي منذ الوهلة الأولى بانه اكتشف ما تطرحه اللوحة من مضامين ـ من ناحيتي أحرص على ابراز الحس الجمالي فى اللوحة وعلى شد المشاهد من خلال ذلك الجمال وصدمه منذ الوهلة الأولى بحيث يشعر بانه امتلك اللوحة وسبر أغوارها . ويحدث ذلك الشد الذى أعنيه من العنوان أو من خلال الشكل والألوان بالدرجة الأولى . المهم أن يتوافر فى اللوحة كعمل فنى تشكيلي عنصر شد مباغت يتيح للـوحة فرصة فرض نفسها على المشاهد الذى

حركة الفن البحريني تبحث عن طريق !

بالتالي يستهويه حب البحث والاكتشاف ، فيحاول التمعن كثيراً في الأشكال والألوان المعروضة أمامه ، وبناء على تكوينه النفسي والثقافي تبرز أمامه عدة استنتاجات وتحليلات تكون في كثير من الأحايين أبعد بكثير عن المباشرية التي فوجيء بها في البداية .

وفي رأيي بأن أي عمل فني لا يتيح للمتلقي في عالمنا الثالث تلك الفرصة فانه يظل في حدود الشكل . كما أنني اعتقد بأن قوة الحدث أو المناسبة التي تنطلق منها مواضيع لوحاتي ، لاتحد من اتساع الأفق الانساني العام للوحة ـ ذلك أن الأساليب الفنية الحديثة تختزل الأفكار والاشكال في رموز وتكوينات فنية ايحائية تحاكي العين والتفكير مجتمعين وليس العين فقط .

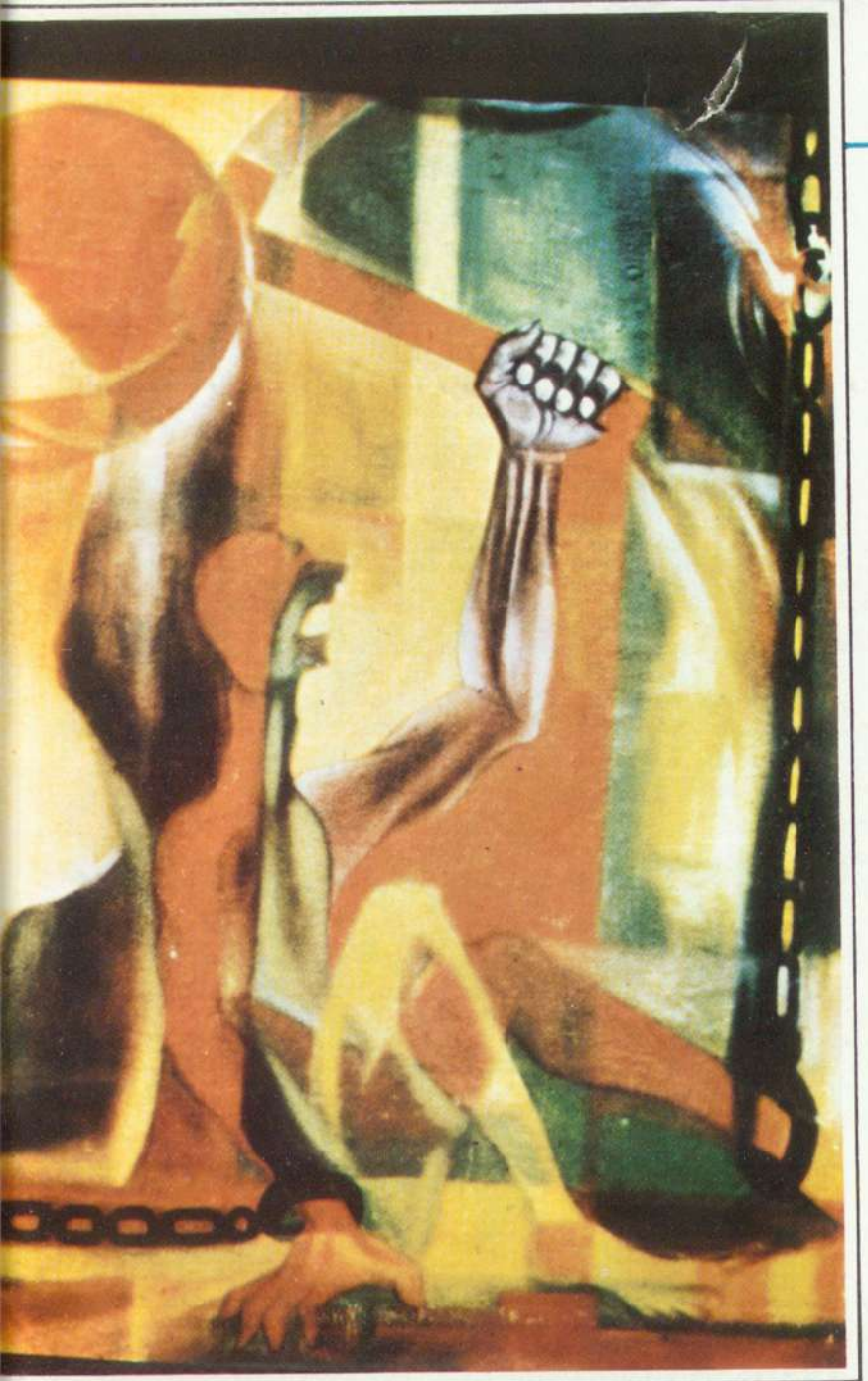
● : تتراوح لوحاتك فيما بينها من ناحية الأسلوب الفني والتصميم ، خاصة فيما يتصل بالخط واستخدام اللون . ماذا يعني ذلك في سياق تجربتك الفنية ؟ وهل هو يعكس حالة نفسية معينة ؟ .

: ذلك يعني أنه أول أسلوب تعرفت عليه ووضعت من خلاله لوحاتي . وكان جديداً على الحركة الفنية في البحرين ... وقد بدا ذلك واضحاً من خلال اشتراكي لأول مرة في المعرض السنوي الذي تقيمه الوزارة وكان ذلك في المعرض الثاني عام ١٩٧٣ . وقد كانت آراء الجمهور والزملاء الفنانين متفقة على أن اسلوبي كان جديداً ومغايراً لكل الأساليب المطروحة في الساحة الفنية التشكيلية المحلية.

كان ذلك دافعاً مفرحاً وقوياً لي كي أواصل معالجتي التشكيلية بنفس الأسلوب الذي استطاع أن يكون حوله جمهوراً يناقش ويحلل ويطلب المزيد . ولقد توغلت زمناً يتجاوز العشر سنوات في دهاليز ذلك الأسلوب ، حتى صرت أشعر حالياً برغبة عارمة في الانطلاق من خلاله نحو أساليب ومعالجات أكثر زخماً وعطاء .

أما الجزء الثاني من السؤال والمتعلق بما إذا كان ذلك الأسلوب يعكس حالة نفسية معينة ... فانني اعتقد بأن النتاجات والأعمال الفنية في أي مجال من مجالات الابداع الانساني الفني تكون بالضرورة انعكاساً لحالات نفسية صادقة بقدر ما فيها من صدق وأصالة .. كما أنني أثق تماماً بأن كل عمل فني صادق وأصيل ، يتخلق نتيجة حالة شعورية ونفسية يعيشها ويعاني سوراتها أي فنان صادق ... وما عدى ذلك فهو محض ثرثرة .

● : في نظرك هل هناك



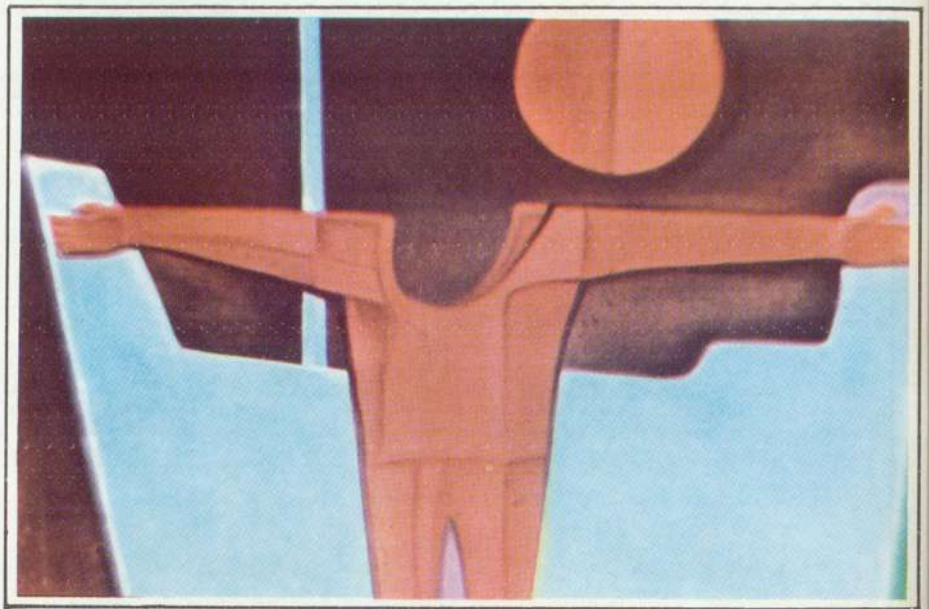
الحديد ساخن فلا توقف الطرق



الحدث



من مذكرات بحار .



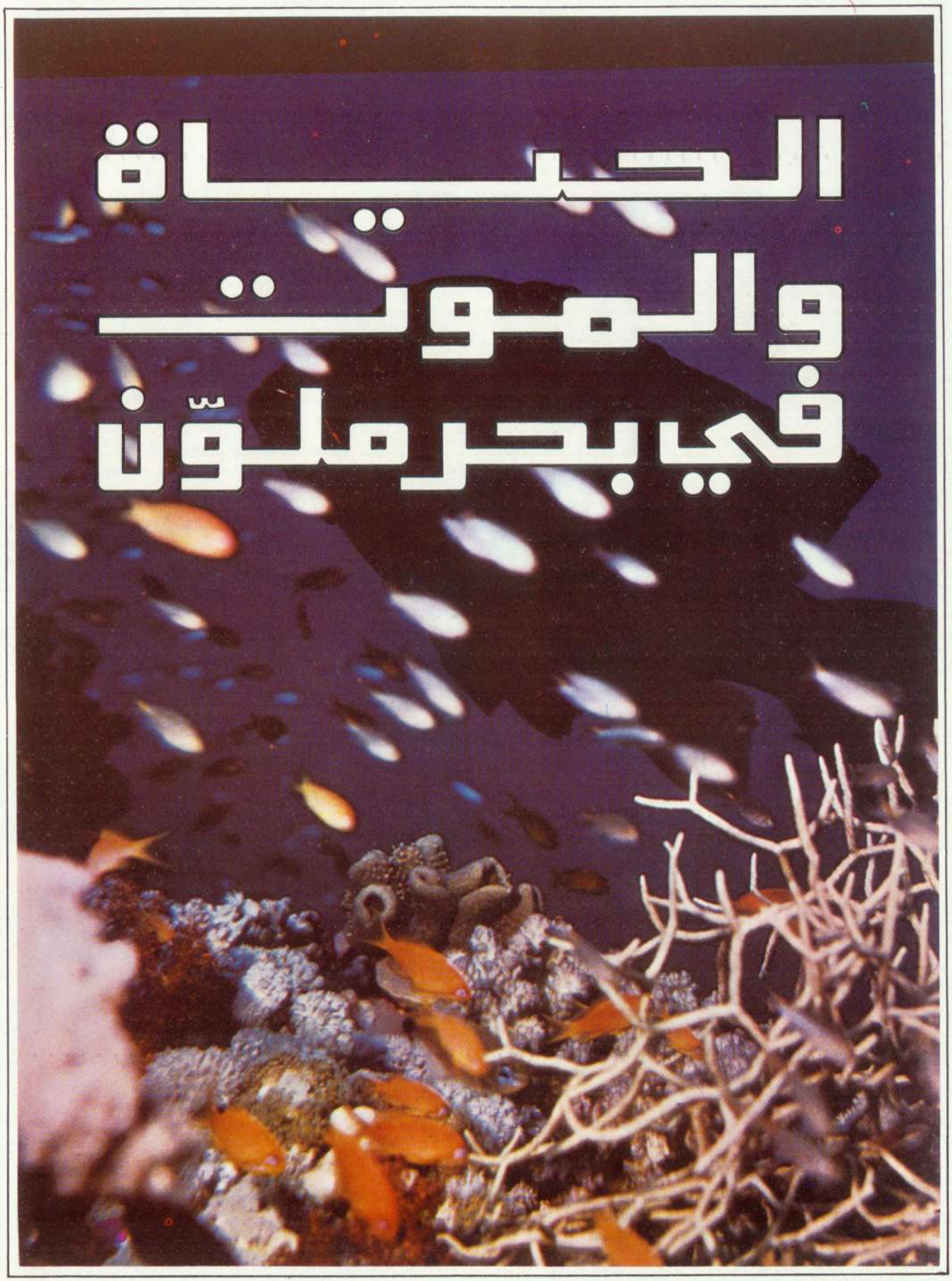
الرأس

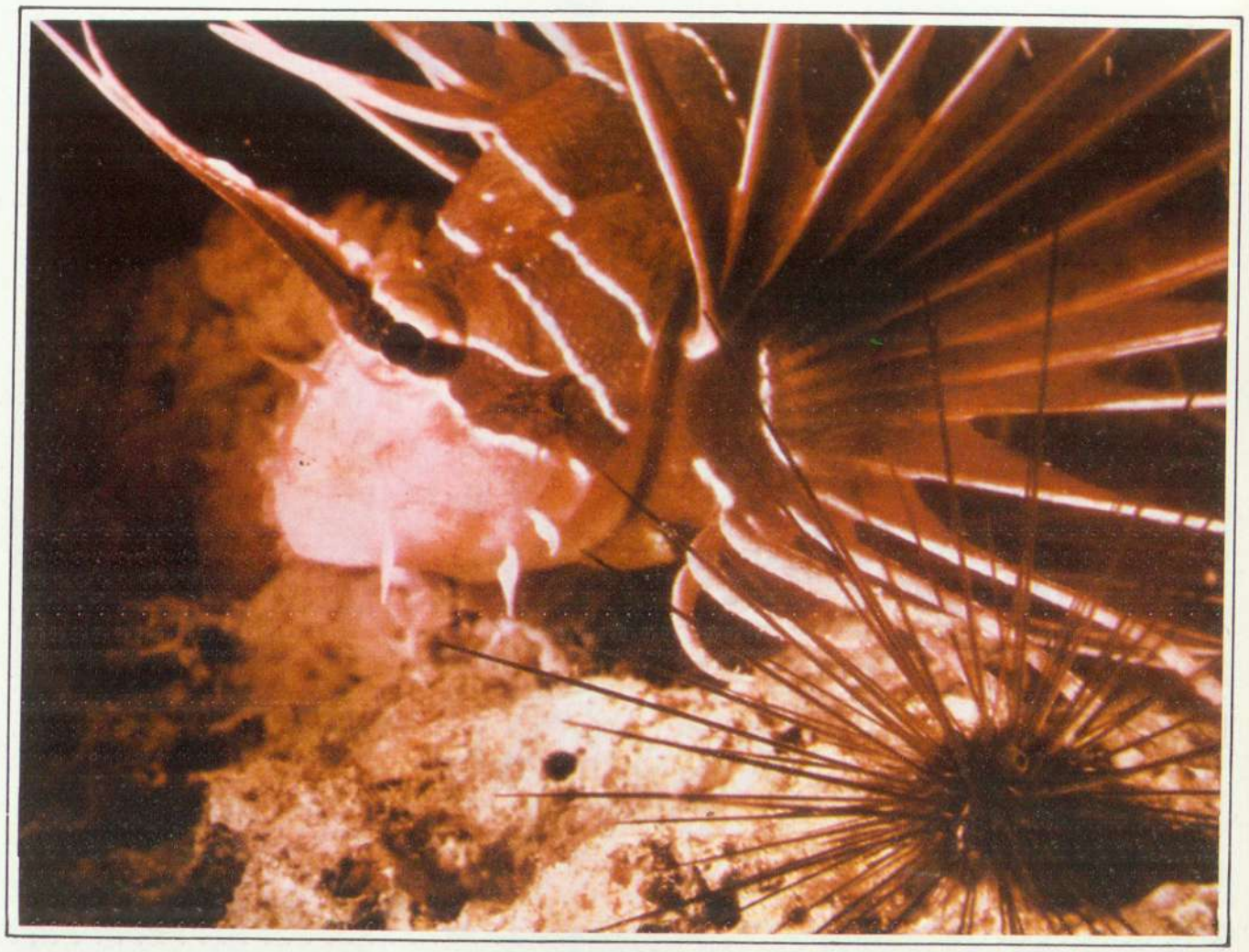
خصوصيات مميزة للوحة التشكيلية في البحرين ، وما هي ؟

: الحركة الفنية التشكيلية في البحرين لازالت حتى اللحظة الراهنة تبحث لنفسها عن المستوى المطلوب سواء في المضامين أو التقنيات . نحن في البحرين لازلنا نناقش ونتساءل عن المستوى الذي توصل اليه الفنان التشكيلي من التجربة والحضور في الساحة ، هل هو يقترب بمستواه الفني من العتبات الجيدة أو المتوسطة أو المتدنية ؟ بمعنى آخر أعتقد بانه من المحال أن تتوحد خصوصيات مميزة للوحة التشكيلية في البحرين ما لم يستقر الفنانون بمستوياتهم عند العتبات الجيدة .... لازال كثير من الفنانين رغم التجربة الطويلة في الممارسة الفنية والعرض تتعرض مستوياتهم في معظم الأحيان للاهتزاز والضعف والهزال . إذا بوضع كهذا لا نستطيع أن نرصد بأي حال من الأحوال خصوصيات مميزة للوحة التشكيلية في البحرين ... في رأيي ذلك مطمح بعيد جداً ، لا يمكن أن يتحقق مالم يتحقق للحركة التشكيلية مستوى راق من الابداع الفني في المعالجة والطرح .... ومالم يتمكن الفنان التشكيلي من الارتقاء بمستواه الفني والثقافي والفكري . أخيراً يمكنني الجزم بانه لا يمكن أن تتبلور خصوصيات مميزة للوحة التشكيلية في البحرين مالم تتبلور خصوصيات مميزة راقية لكل فنان تشكيلي يمتلك رصيداً زمنياً كبيراً من التجربة في الممارسة العملية والعرض والشهرة

علوى الهاشمي البحرين

الحياة والموت في بحر ملوّن





قنفذ بحرى من ذوى الأشواك السوداء الطويلة وفوقه سمكة الجنخ الشهيرة التى تشبه الديك الرومى عندما تنشر أشواكها السامة .

بقلم : صنع الله إبراهيم

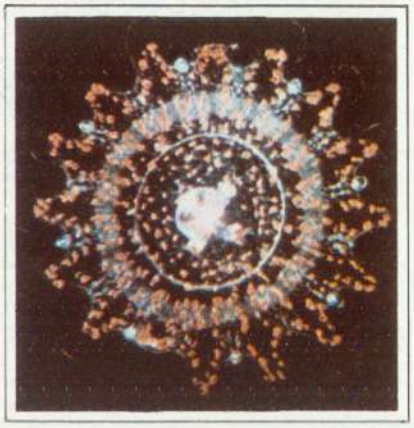
يعتبر البحر الأحمر ، الذى يقع فى قلب العالم العربي ، من أكثر البحار اثارة فى العالم ، سواء من حيث تاريخه السياسي أو تكوينه الجيولوجي أو موقعه الجغرافي .

هذه الخصائص بالذات جعلته ينفرد بثروة حيوانية نادرة ، ومتنوعة ، لم تحظ للأسف الى الآن بالاهتمام الكافي من جانب الأقلام العربيـــة .

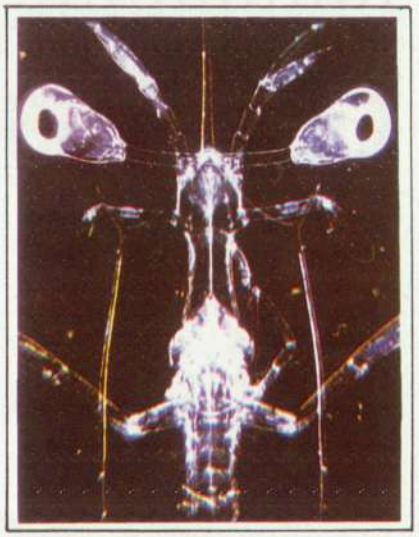
وفى هذا الموضوع والموضوعات القادمة تحاول «الدوحة» تلافي هذا النقص بمغامرة مثيرة ، تنقل عالم البحر الأحمر لأول مرة الى مجال الابداع الفني ، فى قصص شائقة ، تستند الى نتائج أحدث الدراسات العلمية .

وهو النهج الذى اتبعه كاتبها فيما نشر له حتى الآن من قصص علمي ، أصدرتها دار الفتى العربى البيروتية ، وتناولت عوالم العناكب والنحل واليرقات والحيتان والدلافين .

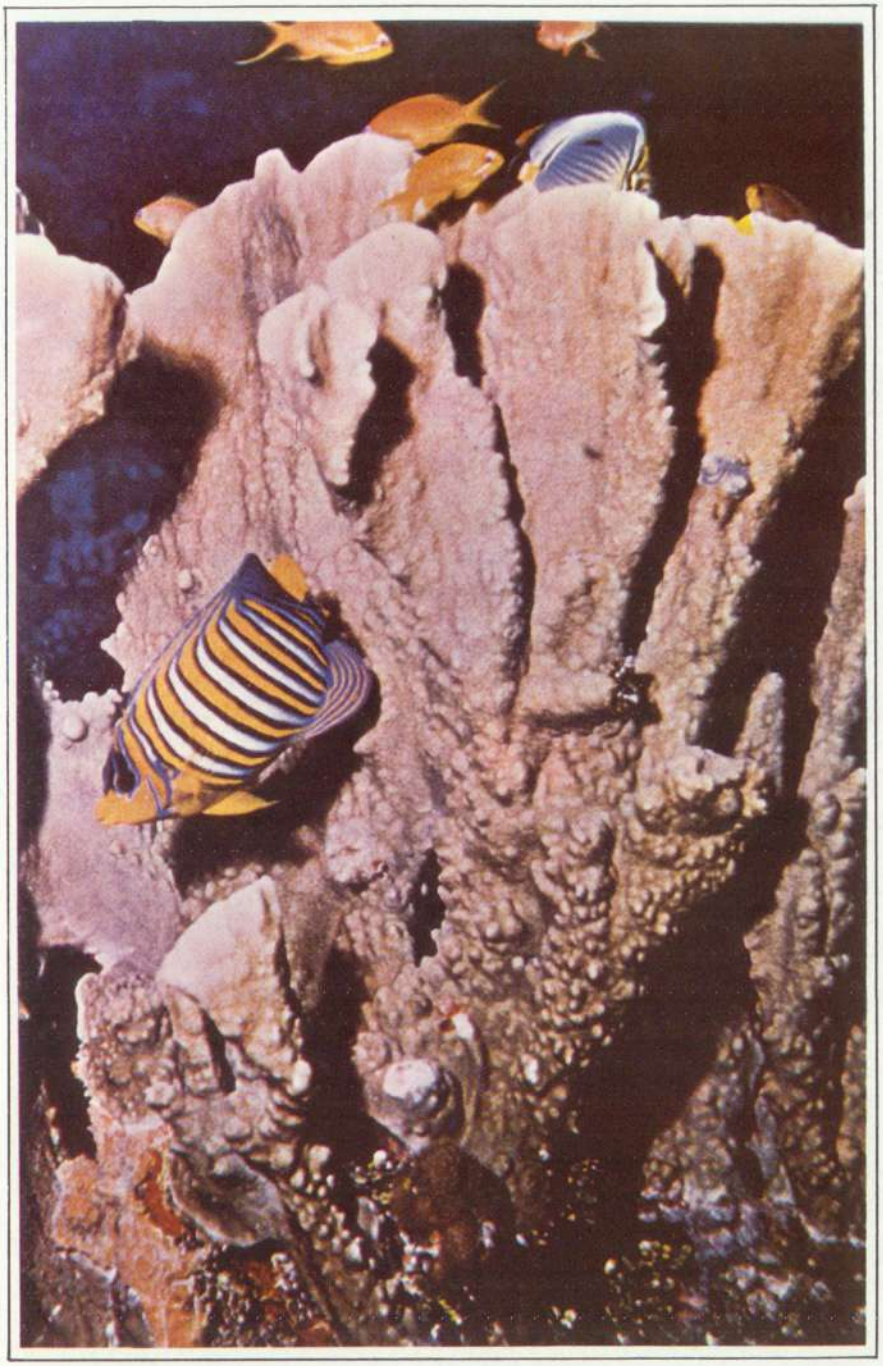
الحياة والموت في بحر ملوّن



عضو آخر من مملكة الحيوانات الدقيقة .



هذا الشبح المرعب ليس إلا أحد أعضاء المملكة الحيوانية الدقيقة .



جزء صغير من الجدران الملونة التى تمتد على شاطىء البحر الأحمر

الغـــزو

كانت مياه الشاطىء مغطاه بمادة لزجة منفرة ، خضراء اللون .

وتحت السطح ، أكتست الصخور المنحدرة نحو الأعماق ، لوناً غير مألوف هو اللون الرمادى .

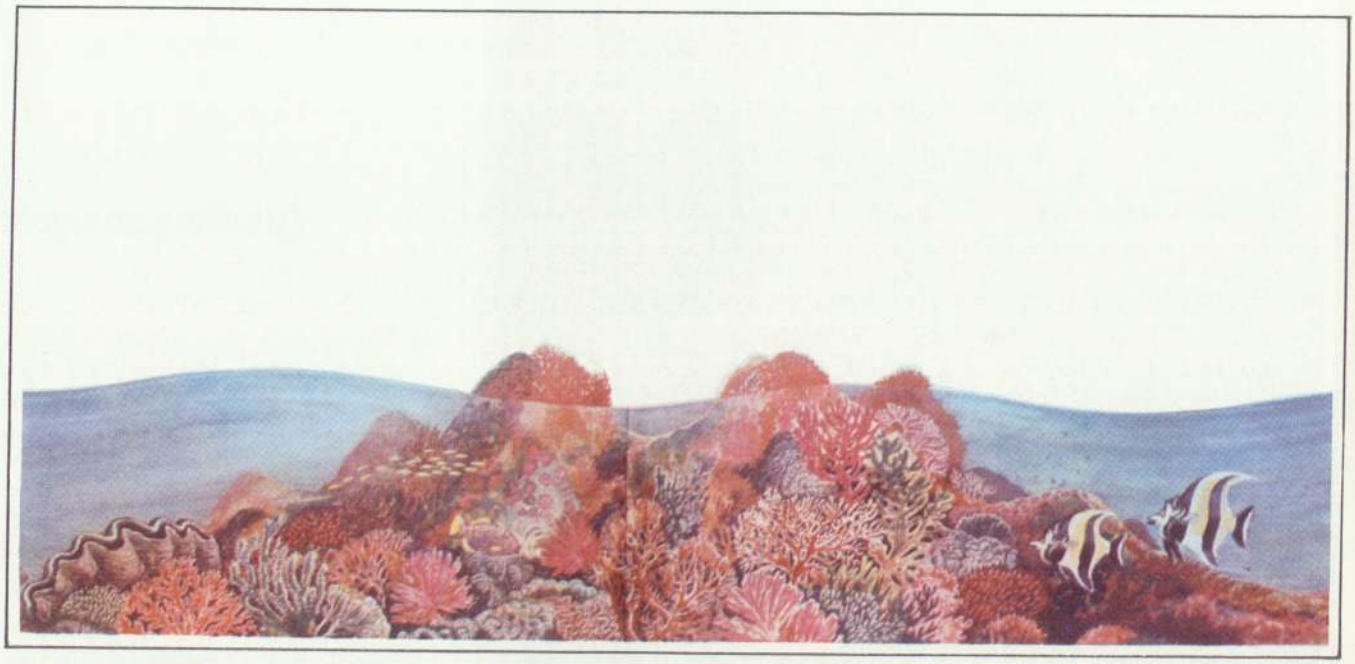
وبينها ، زحفت عدة مئات من السراطين فى بطء شديد . توقف بعضها عن الحركة تماماً ، عندما انفصلت سيقانه ووقعت في الماء .

وهنا وهناك تناثرت المحارات من ذوات الصدفتين ، وقد التصقت الطحالب بفتحاتها المنفرجة ، ونمت أنواع من بكتريا العفن على اللحم الميت داخلها .

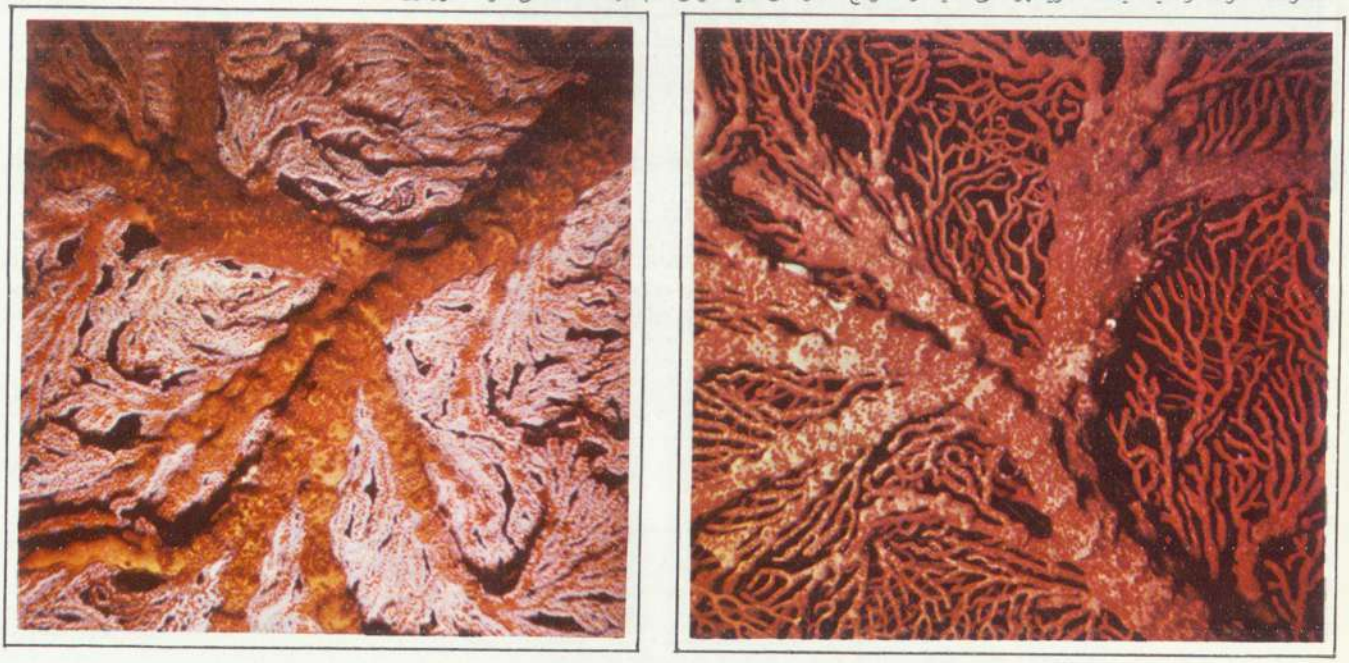
وبدت الطحالب ذاتها متجعدة مجردة من ألوانها اللامعة . وهو ما حدث أيضاً لنجوم البحر ، التى كانت منذ أسابيع قليلة تزهو بألوانها البرتقالية والحمراء والزرقاء ، وهي تتنقل فى نشاط بين الصخور ، فى حركات رشيقة ، تصل عند بعض أنواعها الى مرتبة الرقص .

وتساقطت يرقات الأسماك ميتة الى القاع . أما الأسماك فعامت الى جوار الشاطىء فاغرة الأفواه ، تتحرك خياشيمها بسرعة ، كأنها تجد صعوبة فى التنفس .

ووسط مظاهر الهلاك هذه ، لم يكن بوسع تلك الحيوانات الجميلة الشبيهة بالزهور ، أن تحيـــا .



الأشكال المتنوعة بألوانها الساحرة للمستعمرات المرجانية المختلفة هكذا تبدو تحت الماء الشعاب المرجانية وتحمل الأسماك المستوطنة الوانا زاهية أيضا . ويظهر الى اليسار نموذج نادر من حيـــوان البصر العمـــلاق ذو الصيفتين .



عندما تنكمش البوليبات فى مستعمرة المرجان المعروف باسم مروح البحر ، تبدو مثل النقط الحمراء فوق اللحم البرتقالى (الصورة الأولـى) وفى الليل تتمدد لتتغذى ، فتبرز من مكامنها بأجسامها الشفافة لتخفف من اللون البرتقالى الساطع للحم المستعمرة (الصورة الثانية) .

عندئذ ، لم يعد أمام قنافذ البحر ذات الأشواك الطويلة السوداء ما يدعوها للبقاء ، وشرعت تزحف مبتعدة .

• • •

وقعت هذه المأساة الصغيرة عند مدخل خليج العقبة ، حيث تجمعت مع الزمن كتلة من النفايات الطافية ، استقطبت كل ما تقذفه السفن العابرة من زجاجات وفوارغ ومعلبات وأكياس بلاستيكية .

وذات يوم انضمت اليها طبقة من البترول التى تسربت من إحدى الناقلات . وتكونت من الاثنتين ملاءة سميكة ، حجبت الضوء والأوكسجين عن الكائنات الحية تحت سطح الماء .

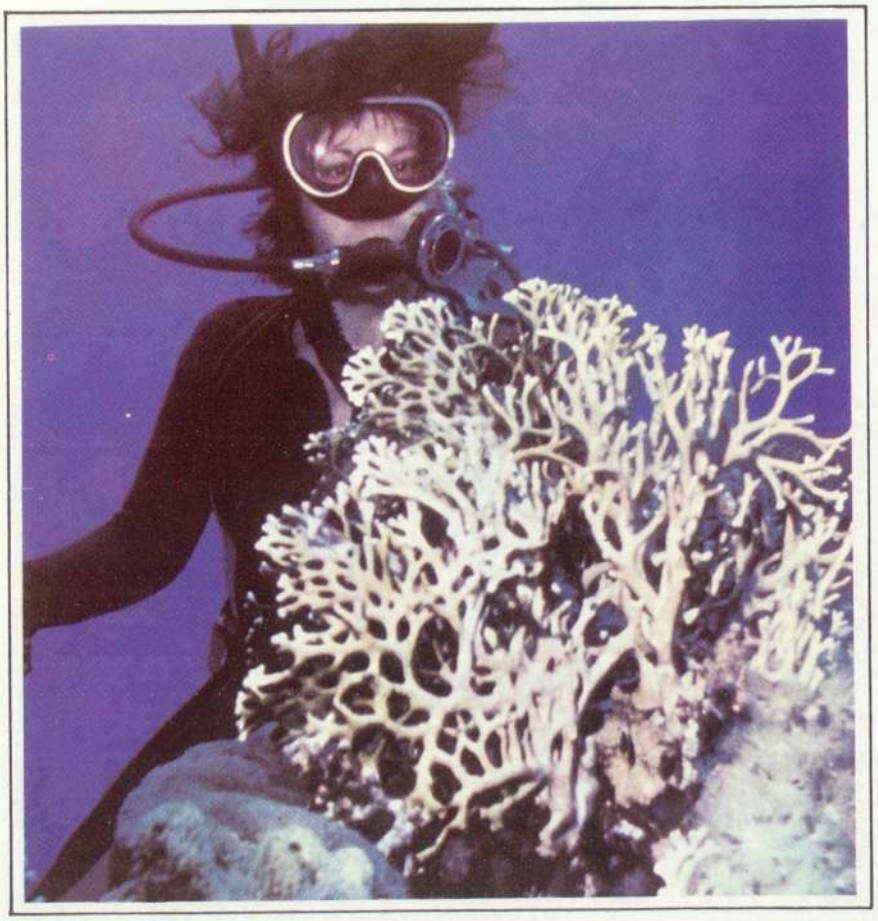
ولأن البحر الأحمر بحر شبه مغلق ، لم تتمكن تياراته من أن تجرف الكتلة المدمرة بعيداً نحو المحيط ، والتصقت بالشاطىء ناشرة الموت بين أحيائه .

إلا أن تأثيرها لم يكن قاصراً على مدخل الخليج وحده . فقد كانت مسئولة بشكل غير مباشر عن مأساة أخرى صغيرة جرت على امتداد الشاطىء العربي للبحر الأحمر نحو الجنوب ، على مبعدة ٢٥٠ كيلومترا .

• • •

اتجهت القنافذ جنوباً تبعاً لاتجاه

الحياة والموت في بحر ملوّن



مستعمرة من المرجان المعروف باسم النارى أو اللاسع ولا تظهر البوليبات فى الصورة

حركة الطبقات العليا من المياه ، التى تأثرت بدورها برياح صيفية تهب على طول البحرمن الخليجين الى باب المندب.

على أنها كانت تدرك أيضاً ـ بذلك الحدس الذى يتولد عند الحيوانات من الرغبة فى البقاء ، والمعرفة التى تتجمع عبر ملايين السنين ـ أن الاتجاه شمالا حيث الخليج المغلق الضيق ، الذى تقطعه السفن جيئة وذهاباً طول الوقت ، لن يعود بغير المزيد من التلوث .

وأثبتت الأيام التالية صدق حدس الحيوان الصغير .

كانت جماعاته تتحرك ليلا وتهجع نهاراً . فما إن تشرق الشمس ، حتى تهبط الى الأعماق البعيدة عن الضوء ، فتحفر لنفسها بين لب الرمال والصخور ، أو تنزوي فى الشقوق والفجوات . ثم تستأنف السير مع حلول الظلام .

وبالتدريج أخذت المياه تصفو ، وتمتلىء بأشكال الحياة المتنوعة . ولكن القنافذ واصلت السير . فأحيانا لا تتوفر كميات كافية من ذلك الحيوان الجميل الشبيه بالزهرة ، الذى خرجت تبحث عنه لتتغذى على لحمه الرقيق .

وأحياناً أخرى تكون المياه ضحلة ، مرتفعة الحرارة .

وهو ما كان يدفع جماعات أخرى من القنافذ ـ ينتمي بعضها الى أنواع مختلفة تتميز بأشواكها القصيرة وألوانها الارجوانية ـ الى الهجرة والانضمام الى الجيش الزاحف .

وسواء كان الحماس نابعاً من كثافة جموعها أو شعورها المتزايد بالجوع ، فانها كانت تتحرك الآن بأقصى سرعتها بعضها كان يتقدم على أقدامه الأنبوبية الرفيعة . والبعض كان ـ بدافع الرغبة فى الاسراع ـ يلجأ الى أشواكه ، فيتدحرج فوق أطرافها .

والنتيجة أنها أصبحت تقطع قرابة نصف الكيلومتر فى الساعة الواحدة . وهي سرعة فريدة بالنسبة لحيوان بغير رأس أو عينين .

والواقع أن قنافذ البحر تنتمي الى واحدة من أكثر المجموعات اللافقرية تقدماً . وتتوفر أدلة قوية على أنها تمثل حلقة هامة فى العلاقة بين هذه المجموعات ، والسلالة الفقرية التى خرج منها الانسان .

فجسمه الصغير الذى لا يتجاوز فى حجمه أو شكله حبة من حبات الطماطم ، يتألف من كتلة من اللحم الطيب ، تحيط بها علبة جيرية ذات فتحتين : واحدة على السطح السفلى ، بين الأقدام ، هى فتحة الفم . والثانية تقابلها على السطح العلوى وهى فتحة الشرج .

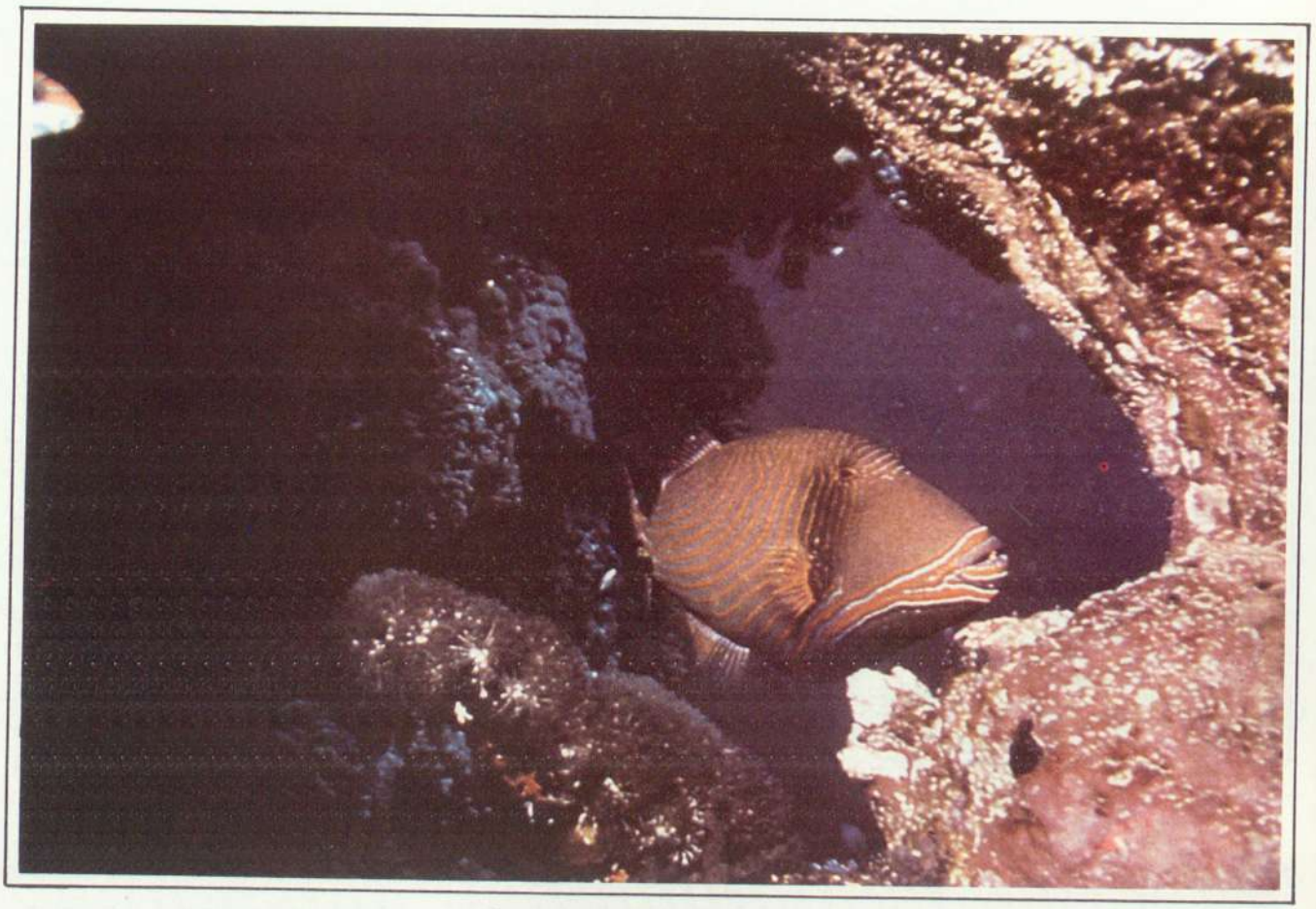
لكن غابة من الأجهزة المعقدة ، وأسلحة الدفاع والهجوم تنتشر على سطح هذه العلبة ، فتكذب منظرها البسيط .

فمن الفم تبرز الأطراف المدببة الصلبة لخمسة أسنان بيضاء مقوسة ، تصطف بصورة دائرية حول فتحته . وتحيط بالفم حلقة من الخياشيم ، ثم مجموعة من الملاقيط الصغيرة ، دائمة الحركة ، تنتهى بثلاثة فكوك صغيرة تماثل مناقير الطيور ، يحتوى بعضها على غدد سمية .

وتأتي بعد ذلك خمسة صفوف مزدوجة من أقدام أنبوبية مطاطية ، قادرة على التمدد ، تنتهي بممصات يمكن أن تلتصق بأى سطح صلب .

وعلى الجسم كله تنتشر أجسام مستديرة دقيقة ، كالعيون ، تحتوى على خلايا الاحساس المتصلة بشبكة عصبية

ويتخلل هذا كله ، عدد لا يحصى من الأشواك الاسطوانية المدببة ، ذات الصلابة البالغة ، يتراوح طولها فى بعض الأنواع ٢٥ و ٤٠ سنتيمترا ،



سمكة شائعة بالبحر الأحمر من عائلة الخنزير .. تستطيع أن تقضم أشواك القنفذ البحرى شوكة شوكة .

وترتكز على الجسم بمفاصل تسمح لها بالدوران فى قواعدها .

فاذا اقترب جسم ما من أية ناحية ، فانه يحدث تغيرا مفاجئاً فى درجة الضوء الذى تستقبله خلايا الاحساس على سطح القنفذ ، وعلى الفور تدور الأشواك حول محاوره . كالمدافع الصاروخية الحديثة ، لتتجه في ايماءة تهديدية نحو الجسم الغريب وتتابع أى حركة تبدر عنه .

• • •

على مبعدة نحو مائتين وخمسين كيلومتراً جنوباً ، كان الشاطىء الذى تحف به سلاسل جبلية ملونة بالأسود والأحمر ، ينحنى فى شبه مرفأ صغير ، يسمى بالشرم ، صنعه فى الماضى مصب واد من أودية الصحراء العربية .

وعندما تنحسر مياه الجزر ، تتكشف بالتدريج طبقة طينية قبيحة المنظر ، ملاصقة للشاطىء ، وتمتد فى البحر عدة مئات من الأمتار .

ولكن ما إن يصل هذا الامتداد الطيني الى اقصى نقطة له فى عرض البحر ، ويبدأ فى الانحدار نحو الأعماق ، حتى تتغير الصورة تماماً ، إذ يختفى الطين تحت أغطية من الألوان الارجوانية والذهبية والبنفسجية التى تمتزج مع زرقة البحر الشفافة فى لوحة رائعة التكوين .

ولا يستمر هذا الجدار الملون ، الذى تبرز منه شرفات هائلة تغطيها الأشجار الى أعمق من ستين متراً ، يواصل الشاطىء هبوطه بعدها فى صخور صماء فوق سلسلة من الدرجات يتراوح ارتفاع كل منها بين مائة وأربعمائة متر حتى الظلمات الباردة للبحر الساخن ، الذى يزيد أقصى عمق له على الألفي متر بقليل .

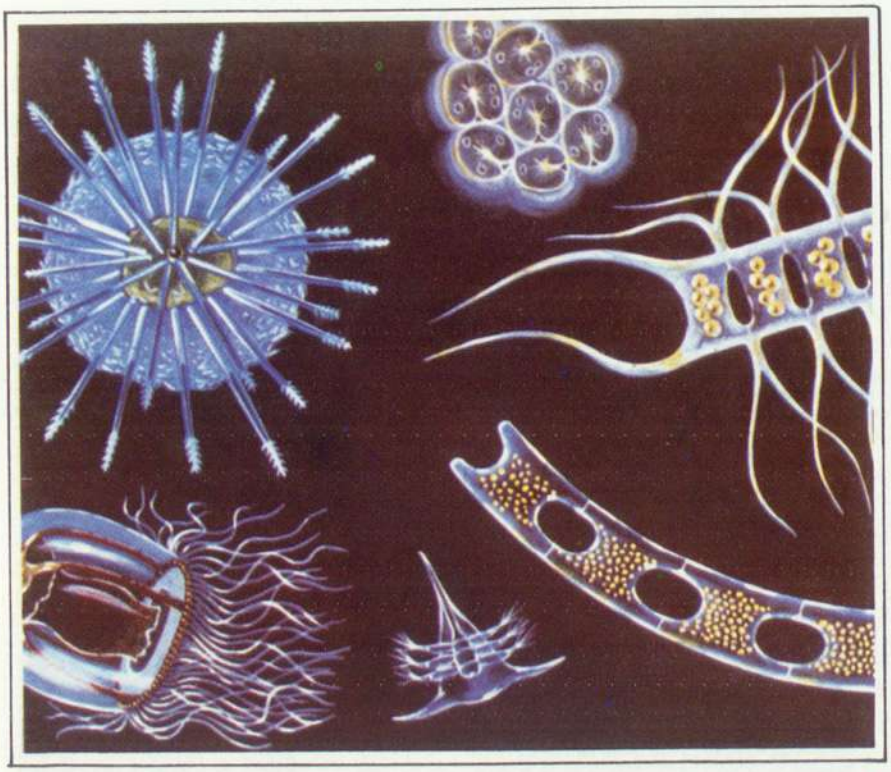
أما كتلة الجدار نفسها ، التى تشكل الطبقة الطينية سطحها العلوي ، فعبارة عن منصة هائلة تألفت على مدى ملايين السنين من تراكم الهياكل الجيرية لعدد من الحيوانات التى تتمتع بالقدرة على امتصاص أملاح الكالسيوم الذائبة فى الماء وإعادة افرازها من جديد فى هياكل متنوعة السمك والشكل تحيط بها نفسها.

وأمثال هذا الجدران الجيرية الملونة التى تعرف باسم الشعاب المرجانية ، توجد فى أماكن كثيرة من عالمنا : حول استراليا ، وفى البحر الكاريبي . وعلى شواطىء المحيط الهندى ، بل وفى البحر الأبيض المتوسط .

إلا أن الطبيعة خصت البحر الأحمر ، وشاطئيه اللذين يمتدان أكثر من ألفى كيلو متر ، بعدد من أقدم هذه الجدران ، وأكثرها تنوعاً فى الألوان وأشكال الحياة

ويعود السبب الى ما تتمتع به مياه هذا البحر من خصائص فريدة على رأسها الدفء وثبات درجات الحرارة (التى لا تهبط عن ٢٠ درجة مئوية على مدار العام) ، والملوحة الزائدة وانعدام

الحياة والموت في بحر ملوّن



كل شكل من هذه الأشكال الغريبة عبارة عن «دياتوم» أونيات دقيق الحجم للغاية بحيث لا يرى بالعين المجردة ومع ذلك فهو أساس الحياة الحيوانية في البحر .



مستعمرة مرجانية كما تبدو بالليل وقد تمددت البوليبات واستطالت وانتشرت ملامسها المزودة بخلايا لاسعة . ووسط رأس كل بوليب تبدو فتحة الفم الدقيقة .

الأمطار .

وهي الشروط التى تحتاج اليها أشكال الحياة بالشعاب ، المتحرك منها كالأسماك والسراطين ، والثابت في مكانه لا يريم كالاسفنج والمرجان .

وعلى أساسها قام هذا المجتمع المغلق الذى تربط بين أفراده عديد من العلاقات المعقدة المتشابكة ، سداها التعاون والتكافل حيناً ، ولحمتها الاستغلال الذى يصل الى درجة الافتراس فى الأحيان الغالبة .

• • •

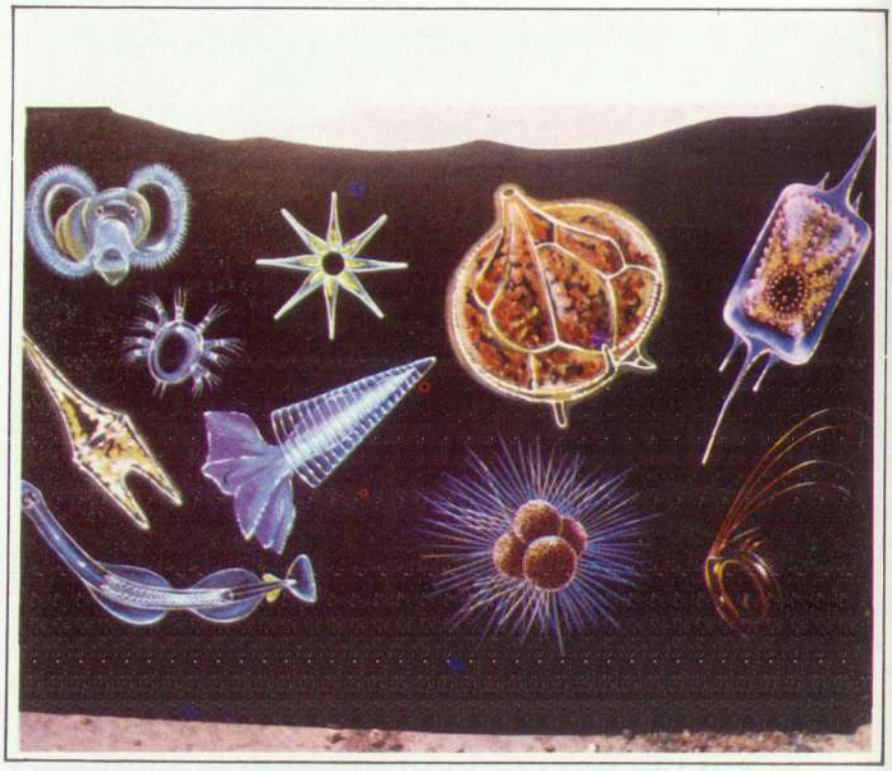
ويحتل مركز الصدارة فى هذا المجتمع حيوان صغير الحجم للغاية ، حتى أن قطره لا يزيد أحياناً عن ملليمترات قليلة ، ولا يتجاوز ارتفاعه عدة سنتميترات ، يتواجد غالباً فى مستعمرات من عدة مئات أو آلاف ، لا يزيد حجم أغلبها عن ثمرة ناضجة من ثمار البطيخ . ويماثل الزهرة فى شكلها الخارجي وألوانها ، لكنه لا ينتمى الى مملكة النبات ، وهو فوق ذلك كله من آكلي اللحوم المفترسة ، رغم ضعفه الشديد ، إذ تكفى لمسة من انسان أو حفنة من رمال للقضاء عليه .

يطلق الناس على هذا الحيوان اسم «المرجان» ، ولكن الدقة العلمية تفرض علينا أن ندعوه باسمه : «البوليب » .

والبوليب كلمة فرنسية الأصل تعني «أقداماً كثيرة» . وهو وصف غير دقيق للحيوان البحري الذى لا يملك قدماً واحدة ، وينتهي جسمه الاسطوانى القصير من أسفل بقاعدة ملتصقة بالصخور . ومصدر الاسم فى الغالب هو الطرف الآخر لجسم الحيوان الذى ينتهي بقرص أفقى ـ كالزهرة ـ تتوسطه فتحة الفم (وهي فتحة الشرج فى نفس الوقت) ويحيط بها عدد من الأصابع القصيرة ، سهلة الحركة ، تشبه بتلات ممتلئة لزهرة ، يطلق عليها اسم اللوامس .

هذا الجسم المكون من مادة هلامية ، ليس أكثر من جهاز هضمي مجوف تحيط به طبقتان من الخلايا : واحدة داخلية تفرز العصائر الهاضمة ، والأخرى خارجية تفرز الجير ...أحياناً .

ذلك أن البوليب أنواع . بعضها ينتمي لحيوان مختلف تماماً هو المعروف باسم الشقائق البحرية . أما البقية فتتوزع على مجموعة من الحيوانات



لشكال أخرى لا ترى بالعين المجردة للنباتات الدقيقة فى البحر .

المتشابهة ، أحدهما فقط هو المرجان الحقيقي ، وهوالذى يفرز بوليبه هيكلا خارجياً من الحجر الجيرى ، ولا يعيش إلا فى مستعمرات من آلاف الأفراد أو البوليبات .

أما البوليبات الأخرى فمنها ما يتميز بلين الهياكل التى تكونها عندما تتفرع ، أو بمادتها القرنية التى تشبه مادة ظفر الانسان . وبعضها يعيش فى مستعمرات ، والبعض الآخر يعيش منعزلا عن الآخرين . وتدعى جميعاً بالمرجانيات . ومنها المرجان الأحمر الثمين الذى لا يوجد في البحر الأحمر ، وانما يتكاثر على شواطىء المغرب العربي .

وبقدر تعدد أنواع المرجانيات وألوانها ، تتعدد أيضاً أشكالها وتتباين ، فهناك مراوح البحر ، وأقلام البحر ، وقرن الغزال ، والمخ ، وعيش الغراب ، والكأس ، والكف ، والأرغن ، ودم الأخوين .

• • •

وإذا كان البوليب هو مركز الحياة فى مجتمع الشعاب ، فان الشمس هى حاكمه العسكري .

فالبوليب لا يتحمل البرد الشديد بمثل ما لا يتحمل الحرارة الشديدة أو الضوء المباشر لأشعة الشمس .

والنتيجة أن المملكة المرجانية الحية لا تغامر بالبروز فوق سطح الماء ، ولا تمتد نحو الأعماق أبعد من ٣٠٠ متر فى العادة ، عندما يتلاشى آخر أثر للأشعة فوق البنفسجية .

وطالما كانت الشمس ساطعة ، انكمشت البوليبات وغطت أجسامها بملامسها ، أو اختفت داخل كؤوسها الحجرية .

وعندما تغيب الشمس ، تدب الحياة فى ملايين البوليبات ، فتتمدد وتنتفخ ، وتبرز من كهوفها الصخرية ، وتنبسط لوامسها وتخفق : تستيقظ لتاكل وتتناسل وتموت .

انتشر الظلام فى الطبقات العليا للبحر ، انعدمت الرؤية بين الشعاب ، وهو أمر لا أهمية له فى عالم يعتمد سكانه على وسائل أخرى أكثر فعالية من الرؤية المباشرة .

مثلما كانت تفعل الآن ملايين البوليبات الجائعة المنتشرة على الشعاب ، والتى كانت لوامسها تخفق فى الماء وتتموج فى حركة دائرية ، الهدف منها هو التقاط أبناء مجتمع الكائنات الهائمة .

فأفراد هذا المجتمع – ويقدرون بمليارات الكائنات التى لا يرى أغلبها بالعين البشرية المجردة – يهبطون فى هذا الوقت بالذات من سطح البحر الى الأعماق بعد نهار كامل قرب الشمس .

ذلك أن الأعضاء الأساسيين لهذا المجتمع ينتمون الى عالم النبات ، ويحتاجون الى الشمس من أجل القيام بعملية التمثيل الضوئي ، أى يستعينون بضوئها لتحويل ثاني أوكسيد الكربون المذاب فى الماء الى سكريات وأوكسجين

وهذه النباتات عبارة عن طحالب ، يتألف كل منها من خلية واحدة لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة ، لكنها تتكدس فى قطرة الماء الواحدة بنفس الصورة التى توجد بها ذرات الغبار فى شعاع من أشعة الشمس .

والطحلب الواحد – أو الدياتوم كما يسمى علميا – عبارة عن مادة خضراء مغلفة بصبغة سمراء تحيط بها علبة زجاجية يكونها الكائن من المعادن المحيطة به . ويتخذ التكوين اشكالا ساحرة متنوعة .

وعلى الدياتومات ذاتها أو ما تخرجه من أوكسجين ، تتغذى بقية أعضاء مجتمع الكائنات الهائمة أو الدقيقة ، الذين ينتمي بعضهم الى عالم الحيوان مثل بيض ويرقات الأسماك والقشريات والقواقع ، ويتأرجح البعض الآخر بين العالمين ونعني به تلك الكائنات العضوية أو السوطية التى تتحرك بذيولها كالحيوان ، وتصنع طعامها بنفسها كالنبات .

ويتحرك الجميع فى سحابة كثيفة تجعل البحر مثل طبق هائل من الحساء ، تصعد محتوياته (التى لا يبدو منها سوى الاجسام الشفافة للبرقات والقشريات الصغيرة) الى السطح مع شروق الشمس وتهبط الى الأعماق مع غروبها .

وإذ تقترب جيوش الكائنات الدقيقة من الحائط الملون للشعاب ، تبدو أشبه

الحياة والموت في بحر ملوّن



ما أبعد الشبه بين هذه الكائنات وأنواع السراطين والجمبريات لكنها ليست إلا يرقات هذه القشريات المعروفة و هى بذلك من الأعضاء الأساسية بمجتمع الكائنات الهائمة فى البحار .

بأسطول من القوارب الصغيرة يجرب إنزالا ليلياً مفاجئاً على الشاطىء فى غفلة من حراسه .

وما يحدث لهذه الحيوانات الدقيقة عندما تلامس الأهداب المنتشرة فوق النتوءات البارزة المتموجة للبوليبات الضئيلة ، هو نفس مايمكن أن يحدث لأسطول الانزال الليلي إذا كان الحراس فى انتظاره .

فعلى أسطح هذه اللوامس تنفجر كبسولات دقيقة للغاية مخبأة تحت الجلد ، تحتوى على خطوط حلزونية ملفوفة ، ومشدودة .

وتنطلق هذه الخيوط بقوة ، شأنها شأن خطاطيف صيد الحيتان التى ترتد أثناء الاطلاق ، فتلتف حول الأشواك البارزة على سيقان القشرية أو اليرقة وتكبلها تكبيلا جيداً .

ومن كبسولات أخرى تنطلق خيوط مماثلة تغطيها أشواك مائلة فى عكس اتجاه اندفاع الخيط ، وتتميز عن الخيوط السابقة بأنها مجوفة ومتصلة بأكياس من السم فى قاع الكبسولة ، وأنها تنطلق بقوة تجعلها تخترق أجساد الضحايا .

والطبيعي ألا تستسلم الفرائس الدقيقة بسهولة ، وتقاوم باستماتة . لكن مقاومتها لا تؤدى إلا الى اشتراك المزيد من الخلايا اللاسعة فى المعركة . ولا يلبث أن يتدفق الى أجسادها عبر المجاري المجوفة للخيوط . وفى ثوان يكون الشلل قد أصابها .

عندئذ تحف اللوامس من حولها ، وتدفعها فى رفق نحو فم البوليب .

وتكون إحدى المواد الكيماوية فى سوائل أنسجة الحيوان المشلول قد تسربت الى الماء ، والتقطتها خلايا الاحساس البوليبية ، المنتشرة على سطوح اللوامس . وتنتقل الرسالة الى فم البوليب ، فينفرج استعدادا للوليمة القادمة . وتتأهب شعيرات طويلة فى مدخله ، وظيفتها تمرير الماء الى البوليب ، لدفع الفريسة داخله .

وتنضم اليها أهداب أخرى تعمل عادة في إخراج المياه المحملة بفضلات الهضم فتعكس اتجاه حركتها متخلية مؤقتاً عن وظيفتها الأساسية .

وما إن تنزل الفريسة من بلعوم البوليب الى كهفه الهضمي ، حتى يتقلص جداره الداخلى ليعصرها بين عضلاته ويغرقها فى فيض من الانزيمات الهاضمة .

وعندما تتحول الفريسة المطحونة الى سائل سميك ، وتمتصها عضلات الجدار لتستكمل عملية الهضم فى خلاياها ، ومنها تنتشر المادة المهضومة الى بقية خلايا البوليب ، ومنها الى بقية البوليبات فى المستعمرة .

ومن عجب أن هذه الحيوانات جيدة التسليح تقع فرائس سهلة لقنافذ البحر . والأعجب من هذا أن غالبية المستعمرات المنتشرة على شعاب الشرم، جنوبي خليج العقبة بمائتي وخمسين كيلومتراً ، حيث ظهرت طلائع القنافذ بعد حوالى شهر ونصف من بدء هجرتها، تنتمى الى ما يعرف بالمرجان الناري أو اللاسع .

وتتميز مستعمرات هذا النوع ، فضلا عن الارتفاع الذى يبلغ المتر ونصف المتر أحياناً بتقسيم عمل واضح . فكل مستعمرة تتألف من نوعين من البوليبات نوع يقتصر على الصيد والقنص ، والنوع الثاني يتولى عملية الأكل والهضم ثم يقوم بتوزيع المادة المهضومة فى أنحاء المستعمرة كلها .

ولهذا السبب يمثل النوع الأول الأغلبية ، فكل ستة أو سبعة من أفراده تحيط بواحد من النوع الثاني . كما أنه أكثر نحافة واستطالة ، لأنه يمسك بالفريسة ثم يميل جانباً بحيث يقدمها الى بوليب مركزي ، قصير ، غليظ ، ذى فم وجهاز هضمي .

ولنفس السبب تحمل لوامس النوع الأول أعداداً كبيرة من خلايا لاسعة بالغة القوة ، قادرة على اختراق جسد الانسان نفسه ، الذى أطلق على الحيوان لقب النار .

لكن هذه الخلايا بالغة القوة ، كانت عاجزة تماماً عندما بدأ غزو القنافذ .

• • •

لم يكد أخر أثر للأشعة البنفسجية يختفى من الأعماق ، حتى برزت جموع

القنافذ من مكانها ، وبدأت رحلتها الى أعلى .

زحفت فوق صخور غطتها طحالب جيرية ، وبين اسفنجيات معلقة كالأيدى البشرية ، وتسلقت الهياكل اللينة لمستعمرات مرجانية على هيئة شجيرات ومرت خلال فروع قرنية تشبه الأقلام والمراوح .

وبينما عامت فى تكاسل أسماك بديعة التكوين ، تنطق عيونها بالدهشة الدائمة انكمشت السراطين والجمبريات بين ثنايا المستعمرات المرجانية ، وأوقف رتل من الكياتن الرحلة التى بدأها منذ شهر بالضبط قطع خلالها متراً كامل ، وجمدت الاستاكوزات الضخمة فى أماكنها وهى تحرك قرون استشعارها فى قلق ، وأغلقت محارات البصر العملاقة صدفاتها على أجسامها المنتفخة الملونة ، وتراجعت الثعابين الضخمة داخل جحورها بعد ساعات من التردد ، أطلت خلالها برؤوسها المرقطة ، التى لا يتفق شكلها المرعب مع جبن صاحباتها الشهير

لم تكن القنافذ بالحيوان الغريب على مجتمع الشعاب ، لكنها تتواجد دائماً فى أعداد محدودة لا تبعث على القلق .

أما هذا الحشد الهائل منها الذى انتشر على سطح الشعاب مثل سحابة سوداء ، فأمر يدعو للخوف .

وهو خوف بلا مبرر .

فرغم أن أغلب حيوانات الشعاب تصلح طعاماً دسماً للقنافذ الجائعة ، إلا أن هذه ماكانت لترضى بغير لحم البوليبات الرقيق ، وهو الهدف الأساسى لرحلتها الطويلة الشاقة .

ولهذا واصلت الصعود بلا هوادة الى أعلى ، حيث تنتشر المراجين الصخرية والنارية .

استولى الذعر على البوليبات .

فصواريخها المرعبة فشلت فى اصطياد الأجسام الزاحفة .

لقد نجحت فى تكبيلها ، لكن الرماح المسممة لم تتمكن من اختراق ترسانة الأسلحة التى تحملها الحيوانات السوداء فوق ظهورها .

والأدهى من ذلك ، أنها فشلت فى وقف زحفها ، وأصبحت عرضة للعضات القاتلة من اسنانها الحادة .

والواقع أن أغلب البوليبات تمكنت من التراجع فى الوقت المناسب ، إذ انقبضت لوامسها وانطوت متشابكة فوق رؤوسها ، ثم انكمشت أجسام البوليبات ذاتها أو انسحبت داخل غرفها الصخرية لكن مصيرها تحدد .

فالقنافذ قادرة على أن تحفر بأشواكها فى هياكل المرجان الصخرية مسافة لا تقل عن ١٤ سم ، وعلى أن تكشط بأسنانها جدران الغرف الحجرية للبوليبات حتى تبلغ أجسادها اللذيذة .

وفى أسابيع قليلة يمكن أن تهلك المراجين ، وتفقد الشعاب ، على مدى امتداد كيلومترين ، زهورها الملونة .

ولا يلبث الدمار أن يمتد الى بقية أشكال الحياة بالشعاب ، وهى الاشكال التى يعتمد كل منها على الآخر بدرجة أو بأخرى فى سلسلة معقدة متشابكة ، ينفرط عقدها إذا تحطمت إحدى حلقاتها.

لولا القانون الذى يسود عالم البحار.

فكما أن للمراجين عدواً منيعاً لا تؤثر فيه سهامها المسمومة ، تحظى القنافذ بعدو مشابه .

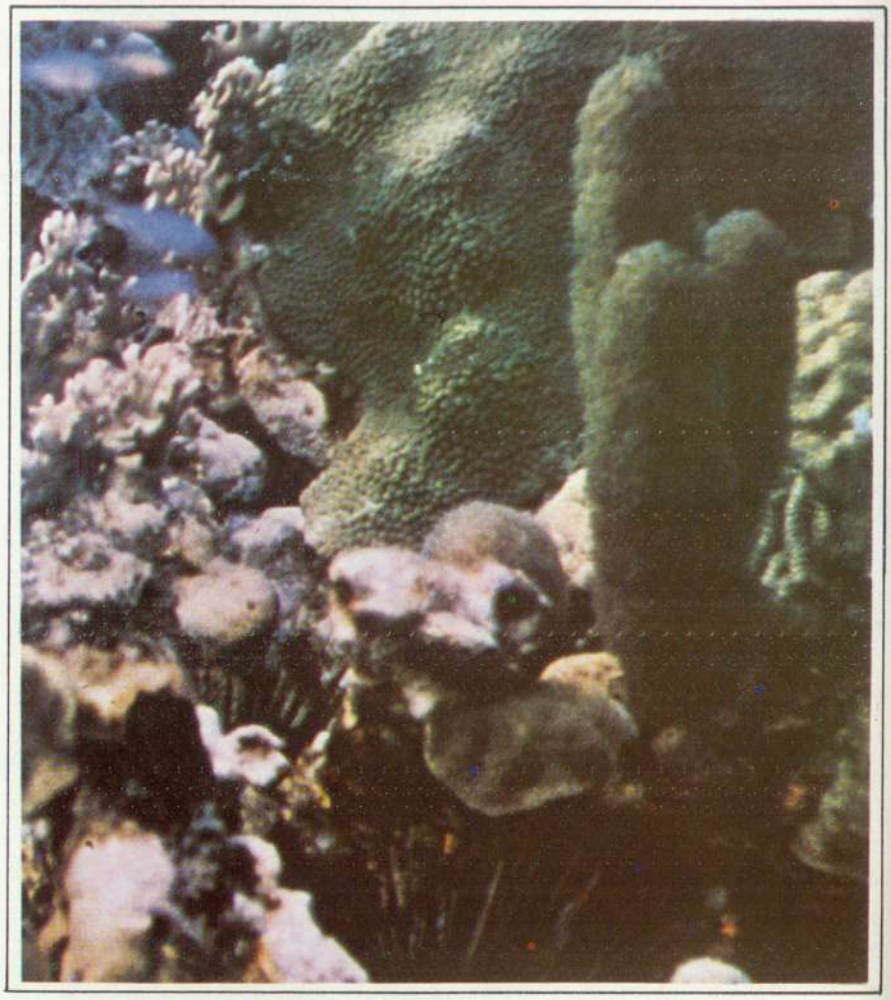
وسرعان ما تتوافد على جموعها أفواج من أسماك الشعرم والخنزير والدرمة .

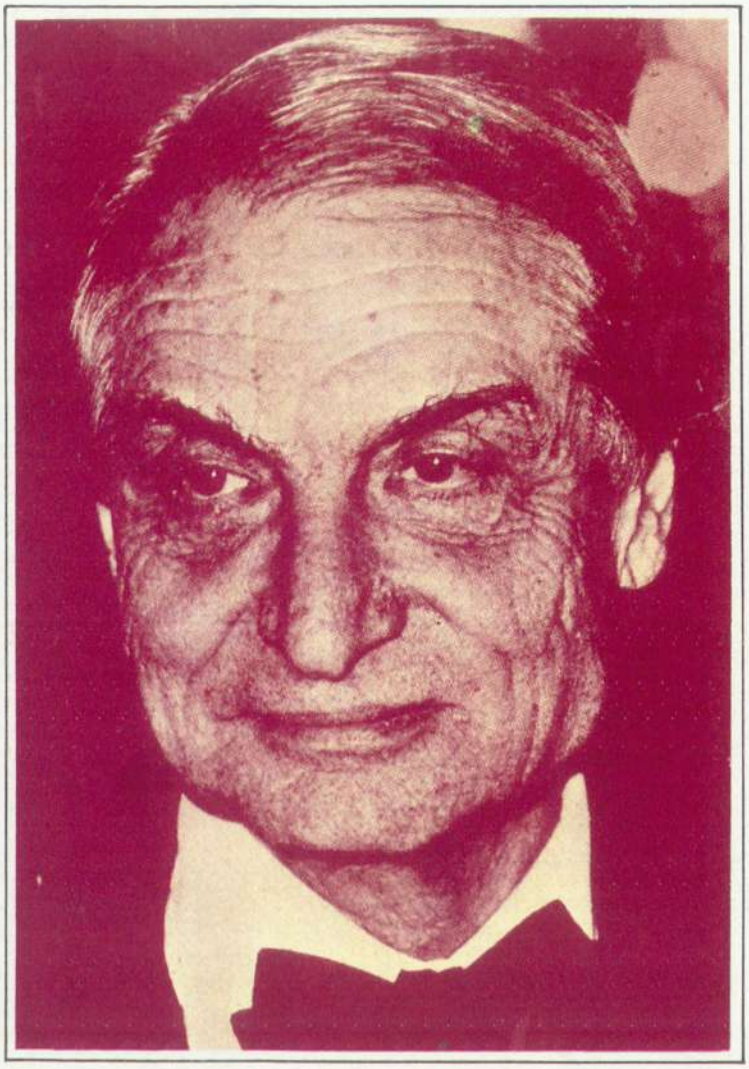
ودونا عن بقية الأسماك والحيوانات البحرية ، فان هذه الأسماك التى تتمتع بفكوك بارزة معقوفة وأسنان قوية ، وتتغطى أجساد بعضها بالأشواك حتى عرفت باسم العائلة القنفذية ، قادرة على أن تقضم أشواك القنافذ قطعة قطعة ، وشوكة شوكة ، إلى أن تعريها تماماً من اسلحتها ، وعندئذ تستمتع بالتهام لحمها الطيب .

فليس بالبحر من لا يقهر .!

صنع الله ابراهيم

عندما تحتل القنافذ أحد الشعاب لا يبرز منها غير أشواكها .





ريتشارد إيتنجهاوزن .



مدارس التصوير العربى .

ريتشارد إتينجهاوزن

وقصة البحث عن عبقرية الفن الإسلامي

بقلم : جمال قطب

قصة اليوم .. هى قصة نبوغ ووفاء والتزام من نوع نادر ..

نعود الى صيف عام ١٩٧٦ ، لنرى حدثا عالمياً مثيراً على ارض بريطانيا وفى رحاب عاصمتها لندن ؛ إذ أقيم «مهرجان العالم الاسلامى» الذى هز الضمير الانسانى بعنف ، وفتح بصائر العلماء والمثقفين على حقيقة واقعة ، وهى تلك العبقرية المعجزة للحضارة العربية الاسلامية ، ممثلة فى فنونها وآدابها وعلومها التى ايقظت وجدان البشرية على التفتح والمعرفة . وصدر بهذه المناسبة نحو سبعين مؤلفاً ، تتفاوت بين الموسوعات الضخمة والكتب العادية والنشرات



فنون الهند الاسلامية .

المصورة ، ولكنها تتفق فى غالبيتها من حيث معالجة شتى تخصصات الفنون الاسلامية . كما كان القاسم المشترك بين المؤلفين والباحثين والمؤرخين فى هذا الفيض من الدراسات التراثية اسماً كبيراً يدوى فى أرجاء الفكر العالمى المعاصر هو (البروفيسور ريتشارد إتينجهاوزن) ! الرجل الذى أوقف حياته وعلمه على استجلاء الحقيقة وإعلاء شأن الحضارة الاسلامية عامة والعربية بوجه خاص ، واتسمت أبحاثه بالموضوعية والتجرد ، ضارباً فى أعماق التاريخ البعيد قبل الرسالة المحمدية .. وصولا الى مشارف العصر الحديث . وعرف منهجه فى الكشف والاستقصاء

ريتشارد إتينجهاوزن

وقصة البحث عن عبقرية الفن الإسلامي

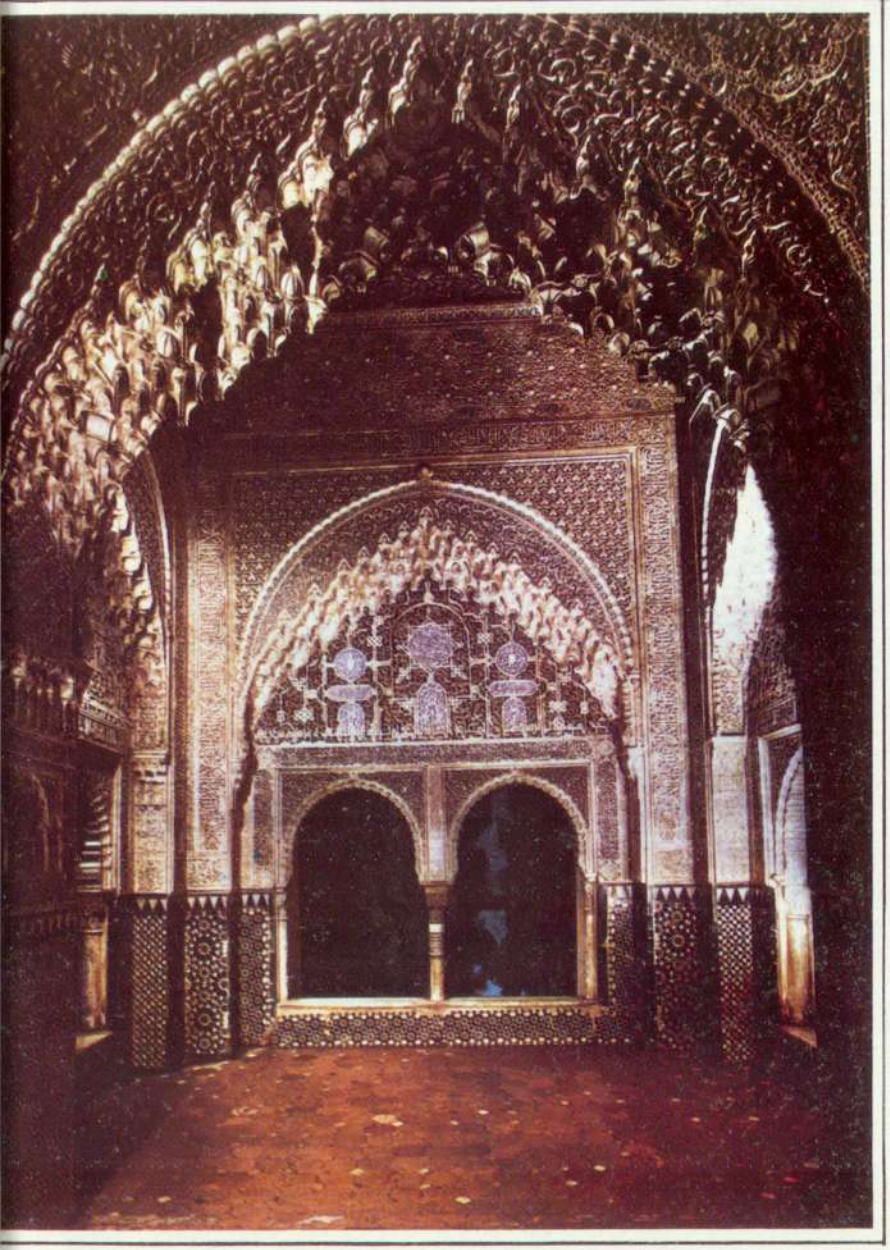
بانه المرجع العلمى الذى لا يرقى اليه شك فيما يصدر من أحكام مدعمة بالأدلة والبراهين .. وما أن تعمق الرجل فى الدراسات الاسلامية حتى تغنى بها وتحول الى داعية لأمجادنا الابداعية وإيمانا لا يبارى فى اخلاصه وتفانيه وحبه الذى وصل الى درجة الهيام . وغمر مكتبات العالم ومحافلها الثقافية بالموسوعات والكتب والمنشورات والمقالات الصحفية والمحاضرات .. وكلها تبحث فى مجالات العبقرية الفنية عند العرب والمسلمين .

.. وأخيراً ، مات الرجل عن عمر يناهز الثالثة والسبعين ! وفجع المجتمع الدولى والمثقفون والمتخصصون فى الدراسات الاسلامية برحيله . وكتب اسمه فى سجل الخالدين ! وكنا نحن العرب ـ ومازلنا ـ فى صمت مطبق نحو هذا العالم الجليل ... ولا أدرى على وجه اليقين ما اذا كانت حكوماتنا العربية أو مؤسساتنا الثقافية قد عملت على استضافته فى حياته الطويلة ، أو قدمت اليه الأوسمة والدرجات التقديرية عرفانا له على عطائه الرائع ؟

وبعد أن رحل عن عالمنا وخلف للبشرية هذا الكم الهائل من نتاج فكره ، هل تفكر تلك المؤسسات الثقافية العربية فى أن تتبنى مشروعاً لترجمة مؤلفاته التى تزيد على مائتين وخمسين مؤلفاً بينها كثير من الموسوعات النادرة والمراجع النفيسة ؟ إن تخليد اسم الرجل واجب يفرض نفسه على الضمير الاسلامى فى كل بلاد الاسلام عامة ، وفى الوطن العربى خاصة ، ليبقى رمزاً للنزاهة العلمية المتالقة ، وقد أضافت للفكر الانسانى هذا الفيض من الروائع عن حضارتنا ومآثرنا الخالدة !

المستشرقون بين الأهواء والتجرد

ولكى نوفى بأن إتينجهاوزن ظاهرة فريدة بين علماء الغرب ممن تخصصوا فى مجالات البحث عن العرب والاسلام ، لابد أن نستعرض فى عجالة مناهج البحث عند هؤلاء المستشرقين والمستعربين ؛ فنرى الكثيرين منهم وقد توافدوا على بلادنا العربية منذ بدء حركة الاستشراق التى ظهرت بشكل مركز منذ نحو قرنين من الزمان حتى بلغت أوجها فى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن . ويمكننا أن نقسمهم الى ثلاثة أقسام حسب مناهجهم وآرائهم : فريق دفعته أهواؤه ونوازعه الى الاساءة المتعمدة الى كل ما هو



روائع الفن العربى فى الاندلس .

عربى أو اسلامى ؛ فقد رأينا ـ مثلا ـ راهباً يدعى (لامانس) ، كانت مؤلفاته تتفجر حقداً علينا ـ نحن العرب ـ إذ يقول فى أحد مؤلفاته عندما يتناول فن العمارة الاسلامية :

«إن أغنياء قريش ما كانوا يهتمون إلا بالطعام وبسعة القدور ، أما مساكنهم فلم تعرف الفن ، ولم تكن لهم مهابة ، ولم يعرفوا كلمة قصر ، بل كانوا يلجأون الى صناع أجانب إذا ما أرادوا ترميم الكعبة» !

وكان فى كتاباته الأخرى ، كثيراً ما يتعمد الاساءة الى العرب ويتهمهم ـ بمناسبة أو بغير مناسبة ـ بالتخلف والبداوة ، ويجردهم من كل جذور حضارية ، وبالتالى ينكر عليهم مجرد المشاركة فى بناء الحضارة الاسلامية !

● والفريق الثانى ، لاشك أنه أضاف الى العلم الشىء الكثير عن تراثنا ومساهماتنا الابداعية فى المسيرة الانسانية ، وذلك كتسجيل وثائقى وأمر واقع لا يمكن انكاره . ولكن علماء هذا الفريق لم يكلفوا أنفسهم عناء البحث فى تالق العبقرية العربية تحت لواء الاسلام أو قبله (وقد اثبتت الحفريات والاكتشافات الحديثة أن حضارات مزدهرة تماثل الحضارة الفرعونية والرومانية والاغريقية وغيرها ، كانت تقوم على الأرض العربية قبل الاسلام) . لم يتكبدوا تلك المشاق ، لغياب التعاطف مع تراثنا وأمجادنا التى أقروا بها وانفعلوا باكتشافها ولكنهم لم يتفاعلوا معها تفاعلا وجدانياً من أعماقهم .. ومن هؤلاء ، وجدنا باحثاً مثل (كروزويل) الذى تربع على عرش التاليف فى مجال الفن الاسلامى (وبخاصة فنون العمارة الاسلامية) ، كما كان فى الوقت ذاته مديراً لمعهد الآثار الاسلامية بالقاهرة بعد أن كلف بانشائه عام ١٩٣٣ ، نراه وقد صارت مؤلفاته حينذاك مرجعاً لكل المهتمين بتراثنا وفنوننا وحضارتنا ، وللحقيقة ، فقد اضاف كروزويل للمكتبة العالمية عن العمارة الاسلامية موسوعات رائعة بالكلمة واللوحة والرسوم التفصيلية ، وأهم هذه المؤلفات القيمة أربعة مجلدات تناولت بالترتيب التاريخى : العمارة



فنون الحضارات القديمة للدول الاسلامية .



تاثير مدارس الفن الاسلامى على المدارس الأوروبية .

الاسلامية المبكرة ـ الفاطمية ـ الأيوبية ـ المملوكية .

ولكنه أنجز هذه الأعمال الكبيرة من واقع الانبهار بما هو كائن ، ومن دافع ولعه بمتعة الاكتشاف والتالق .. ولم يكلف نفسه مشقة البحث فى مقومات العبقرية العربية الاسلامية أو الاشادة بالتفوق الابداعى للذهن والوجدان العربى فى تلك العصور الذهبية ، بل نراه على النقيض من ذلك ، يلجأ فى بعض الأحيان الى الايحاءات المغرضة ـ متأثراً بنفس النهج الذى سلكه من سبقه من المستشرقين ـ والغرض من هذه الايحاءات هو إنكار فضل العرب فى قيام الحضارة الاسلامية وفنونها المعجزة !

● أما الفريق الثالث ، وهم صفوة العلماء وأجلهم تجردوا فى سعيهم وراء الحقيقة بنزاهة وموضوعية ، حتى أظهروها فى صورتها المثلى ، وكان منهجهم فى البحث ينبع من قناعة شخصية وصلت الى درجة التعاطف والاعجاب ثم الحب لدرجة الهيام .. وكان على رأس هذا الفريق ـ ولقرابة نصف قرن ـ ريتشارد اتينجهاوزن ! فقد تغنى بالعبقرية العربية الاسلامية .. وتباهى بها من منطلق التفوق والريادة ، بعد أن تخطى موقع الدفاع عنها بعزم وإصرار وثقة ، وملأ أسماع العالم وبصره بروائع ابداعاتنا التاريخية النادرة !

الأستاذ ومآثره

نادراً ما نقرأ مؤلفاً لعلمائنا وباحثينا العرب فى العصر الحديث فى مجال الفنون والحضارة العربية الاسلامية ، إلا ونرى اسم إتينجهاوزن يتصدر قائمة المراجع والمصادر الموثوقة المحققة التى استمد منها المؤلف معلوماته ومناهله .

وعندما هممت بكتابة هذا المقال ، ورجعت الى مكتبتى ، وجدت بين مراجعى عن الفنون الاسلامية كثيراً من المؤلفات القيمة ، من بينها ما كتبه (الدكتور ثروت عكاشة) ، ويشيد الرجل باعزاز دائماً ـ ضمن مصادره ـ بالبروفيسور إتينجهاوزن . ومؤلفات (الدكتور عبد العزيز الدولاتى) عن عبقرية الفن الأندلسى والمأثر الابداعية العربية على أرض اسبانيا ، نرى أن اسم إتينجهاوزن يحظى بالقسط الأوفر من بين مصادره . أما (نعمت اسماعيل علام) تلك الباحثة الجادة الرائعة ، فنراها لم تكتف بذكر اسم أستاذها ضمن مصادرها ، بل تصدر بعض كتبها عن فنون الشرق الأوسط بكلمة تقدمة ثمينة من العالم الجليل ، وقد ذكر فى احداها اعتزازه بأن تكون (نعمت) من تلامذته المرموقين فى مجال الأبحاث الاسلامية .

وكذلك يفعل د. فريد شافعى ، د. حسن الباشا ، د. حسين مؤنس ، عبد الله عنان وغيرهم .. وغيرهم .. من الصفوة الذين برعوا فى الكتابة حول هذا التخصص الرفيع ! فالاسم الكبير قد فرض نفسه على العالم أجمع ، وعلى كل باحث عن الحقيقة فى مجال التراث العربى والاسلامى بشتى مراحله وتخصصاته .

النبوغ والعطاء

ومن حق القارىء علينا ، بل ومن واجبنا نحو هذا المفكر العظيم ، أن نورد شيئاً عن حياته ومناهل ثقافته ، ثم عن عطائه وانجازاته التى لم تتوقف للحظة واحدة ... الى أن رحل عن عالمنا فى الثانى من ابريل عام ١٩٧٩ .

● ولد ريتشارد إتينجهاوزن فى مدينة فرانكفورت على نهر المأين فى الخامس من فبراير عام ١٩٠٦.

● تلقى علومه التاريخية والفنية فى جامعتى ميونيخ وكامبردج ، واهتم بدراسة اللغة العربية وآدابها ، وتوج تلك الدراسات العميقة عام ١٩٣١

ريتشارد إتينجهاوزن

وقصة البحث عن عبقرية الفن الإسلامي

ببحث نال عليه درجة الدكتوراه ، وكان موضوع تلك الرسالة : «قدح الوثنية فى القرآن الكريم» . وطبعت فى فرانكفورت عام ١٩٣٤ ، وكانت من أولى اهتماماته وتفهمه لعالم الاسلام وللرسالة السماوية والاعجاز القرآنى .

● عنى حينذاك عناية خاصة بالدراسات الشرقية والاسلامية فى مجال الفن والآثار ، وتوالت مؤلفاته فى تلك السن المبكرة عن الحضارة الاسلامية وفنون العالم العربى .

● هاجر الى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٣٤ ، وما أن استقر به المقام حتى بدأ فى نشر الموسوعات الكبيرة عن الفن الاسلامي وتراث المنطقة العربية .

● من عام ١٩٣٤ الى ١٩٣٨ عمل إتينجهاوزن مساعداً فى المعهد الأمريكى للفن والآثار ثم عضواً فى (معهد الدراسات المتقدمة) ، ومن عام ١٩٣٨ حتى عام ١٩٤٤ عمل أستاذاً للفن الاسلامى فى جامعة ميشيجان .

● وفى عام ١٩٤٤ أصبح عضواً عاملا فى رواق الفن فى واشنطن حتى صار أميناً عاماً للرواق عام ١٩٥١ ، وفى نفس العام تقلد منصب أستاذ الفنون الجميلة فى جامعة نيويورك حتى عام ١٩٦٧ مركزاً فى دراساته على الفنون الاسلامية وتخصصاتها التطبيقية المختلفة .

● وفى الأعوام التالية أخذ يهتم بقسم المعروضات الاسلامية فى متحف (متروبوليتان) فى نيويورك ، وأخذ يطوره ويرعاه حتى وصل به الى ما هو عليه الآن من الضخامة والتنسيق واحتوائه للتحف الاسلامية النادرة !

● اعتمدته معظم المتاحف الأمريكية مستشاراً وخبيراً لا مثيل له فى العالم لانشاء الأقسام الاسلامية فيها . وبفضل مشورته وتوجيهاته توسعت المتاحف الأمريكية فى اقتناء التحف الاسلامية من كل مكان ومهما كان ثمنها ، حتى أصبحت مراكز حقيقية لأبحاث الفن الاسلامي والتراث العربى ، وبفضل أستاذيته وعمله الدائب فى البحث واستحداث الآراء فيما يتعلق بالتعليم الأكاديمى وحلقات الدراسات العليا ، خرج أجيالا من العلماء المهتمين بكل ما هو اسلامى فى ربوع الولايات المتحدة ومن يفدون عليها طلباً للمعرفة من أنحاء المعمورة .

ولم يكتف إتينجهاوزن بهذه المجهودات ، ولكنه أصدر العديد من المجلات المتخصصة مثل (فن الشرق ـ الفن الاسلامى ـ اسلاميات) وغيرها فى كثير من دول العالم المتقدم .

البحث وراء الجذور

وقد سعى (البروفيسور) الى جذور الحضارة العربية وحضارات الدول التى دخلت الاسلام وفنون الشرقين الأدنى والأوسط والهند الاسلامية والأندلس ، فنرى موسوعاته تغطى كل العهود والأمصار . ومن مؤلفاته من المراجع الفذة فى المكتبات العالمية : إيران ما قبل العهد الاسلامى ـ البارثيون والساسانيون ـ الفترة الانتقالية من الفن الساسانى والبيزنطى الى أولى المدارس الفنية فى المعهد الاسلامى ـ الفن فى العصرين الوسيط واللاحق لايران ومصر وتركيا ـ الفن فى الهند الاسلامية ـ فنون الأندلس ـ وقد أصدر موسوعة أدبية رائعة عام ١٩٧٢ بعنوان :

«من بيزنطة الى ايران الساسانية والعالم الاسلامى : ثلاثة أشكال من التأثير الفنى» . وبديهى أن يتناهى فى أبحاثه هذه الى أدق التفاصيل من عمارة وزخارف ونقوش وخزف وسجاد ومنسوجات وتعدين وصناعات خشبية وأيقونات وفنون الكتاب والمخطوطات وجماليات الخط العربى ... الى غير ذلك من التخصصات التطبيقية التى تتميز بها الفنون الاسلامية .

ومن موسوعاته التى حظيت بالشهرة الواسعة مؤلفه الرائع «فن الرسم العربى» ، وقد نشر على العالم فى عام ١٩٦٢ باللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية ، وذاع صيت هذا المرجع النادر بشكل مذهل ، وحتى اليوم ، لا يخلو محفل علمى أو وثائقى فى العالم أجمع من هذا المؤلف الثمين ، وسيظل منطلقاً أساسياً لكل باحث متخصص فى مثل هذه الدراسات الرفيعة .

وتعددت مجالات إتينجهاوزن فى التاليف والنشر وفى المتاحف والجامعات ، الى جانب عضويته فى عدد لا يحصى من الجمعيات العلمية : فنراه عضواً فى معظم الجمعيات الأمريكية وعضواً فى معهد مصر وفى معهد الآثار الألمانى ، وفى الأكاديمية الفرنسية .

وفى عام ١٩٧٣ أقامت له جامعة نيويورك حفلا تقديرياً ضخماً على هيئة ندوة للأبحاث اشترك فيها تلامذته وزملاؤه ، وقد تناولت تلك الأبحاث حياته ومجهوداته ومؤلفاته وأستاذيته ودرجاته العلمية وغير ذلك .. وقد طبعت هذه الأبحاث فى مجلد خاص ، أدرج فيه فهرساً يحتوى على مؤلفاته الكبيرة ، وكانت حتى ذلك العام مائتين وواحد وعشرين مؤلفاً .

وفى الخمس سنوات التالية ـ وهى التى سبقت وفاته (توفى فى الثانى من ابريل عام ١٩٧٩) ، لم يكف عن البحث والكتابة ليوم واحد وشهدت تلك السنوات الخمس العديد من مؤلفاته الثمينة نذكر منها النقوش العربية ـ المضمون الرمزى فى الفن الاسلامى ـ أوراق اللعب فى العصر المملوكى ـ اتجاهات الأساليب فى عصر شاه عباس ـ الخزفيات الايرانية والفخاريات الاسلامية المتأخرة ـ الفنون الزخرفية الاسلامية طبيعتها ومجالاتها ـ تأثير الفنون الاسلامية على الفن الأوروبى ـ تراث الاسلام ـ الفن التطبيقى وفن العمارة فى الاسلام ـ فى عالم الاسلام : التاريخ والحضارة على سنة الرسول ـ الحديقة الاسلامية وتاريخ المناظر الطبيعية ـ الخط الكوفى فى اليونان البيزنطية ـ الغرب اللاتينى والعالم الاسلامى ـ الأصالة والتقليد فى الفن الاسلامى ـ الفردية والتقليد فى الاسلام الكلاسيكى .

..... وهكذا كان ريتشارد إيتنجهاوزن ، عبقرية ناصعة أهداها الله للبشرية جمعاء ، لتنير العقل الانسانى بنور المعرفة الاسلامية الخالدة ..

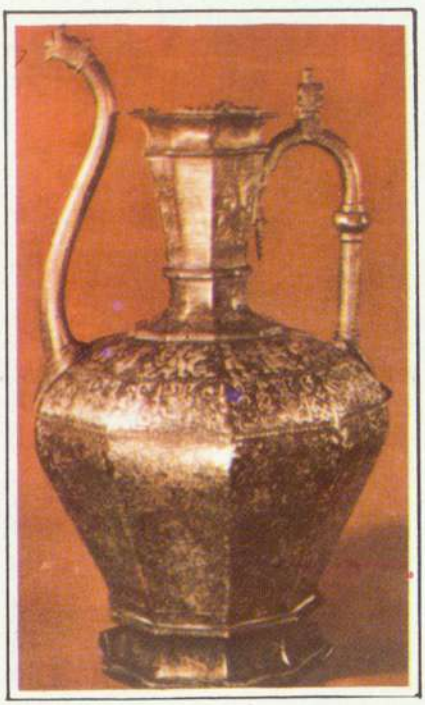
وأخيراً ، أتساءل وكانى أجيب على هذا التساؤل من واقع فكرنا العربى المترف :

ماذا قدمنا للرجل فى حياته تقديراً لعطائه الفذ فى مجال البحث فى تراثنا وحضارتنا ؟ وبماذا نخلد ذكراه وماثره بعد أن رحل عنا ؟

واليوم .. أرجو أن تكون هذه السطور المتواضعة لمسة وفاء وعرفان لروح العالم الجليل علها تبعث ايحاءات خيرة فى ضمير الوجدان العربى المعاصر ، فنرى بعض حكوماتنا أو مؤسساتنا الثقافية وقد أقدمت على تبنى مشروع لترجمة مؤلفات الراحل العظيم ، لتكون فى متناول أيدينا نحن أصحاب التراث والتاريخ والأمجاد !

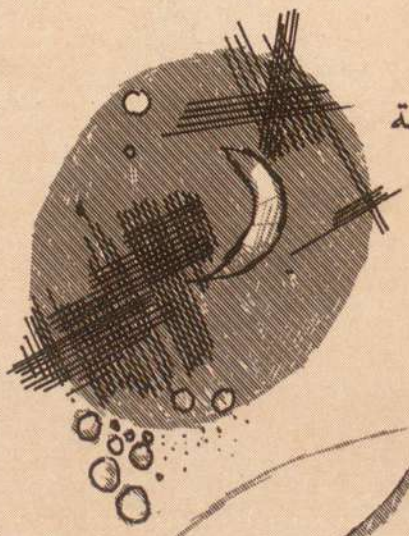
جمال قطب

من روائع الفنون التطبيقية الاسلامية



أحبك..

شعر: محمد خليفة

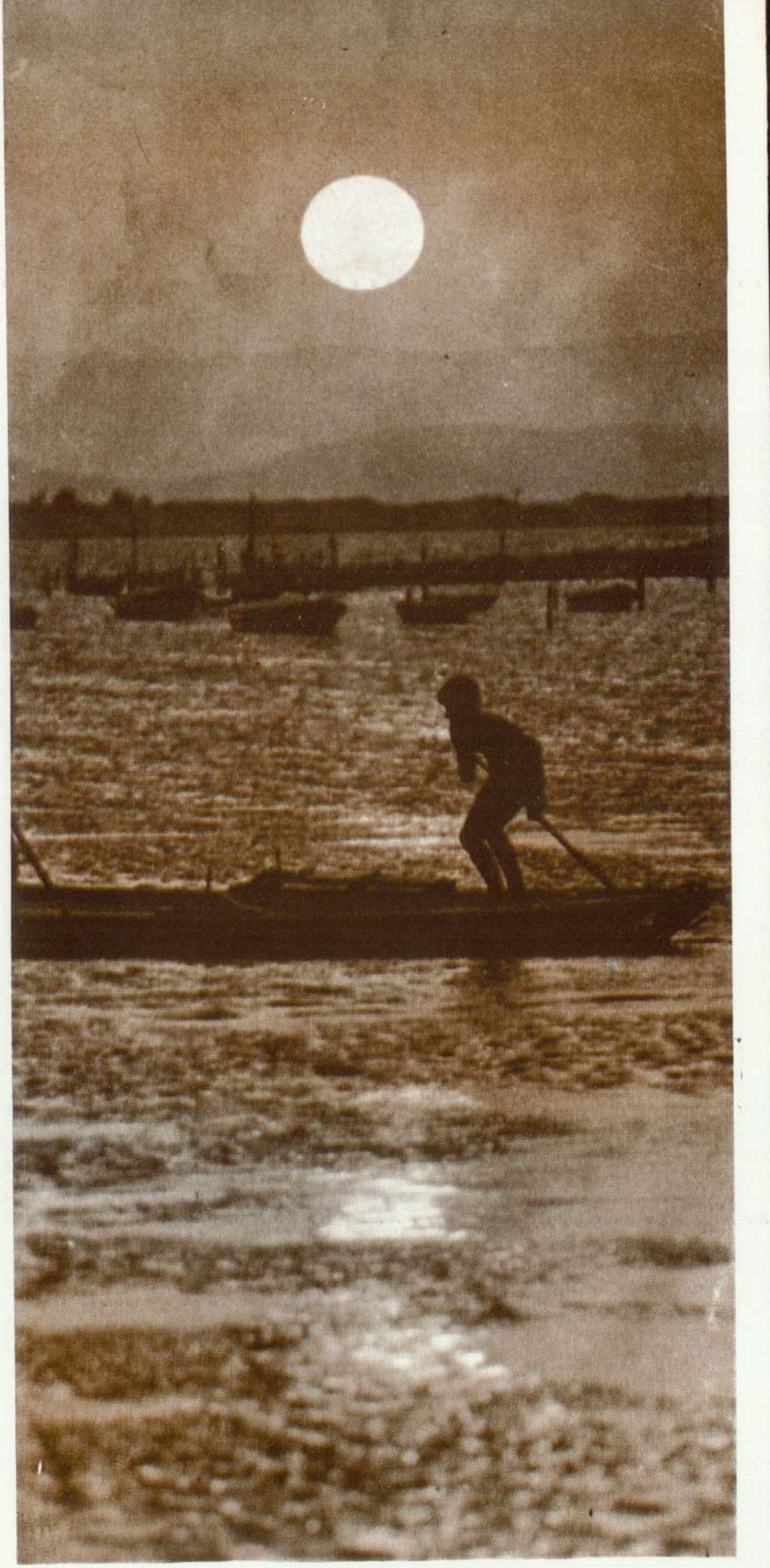


أُحِبُّكِ
فانتظريني على شرفة الصبحِ
آتيكِ
معشوشباً بالضياءْ
مثخناً بدم الليلِ
مُغْتَسِلاً بندى الفجرِ
أحمل خاتم حب
وأيقونة الانتصار
سآتيك
فانتظري
وانسجي بدلة العرسِ
حتى أجيء
غدا يبدأ العشق
والفرح العربي
وتشتعل الأرض
والعشب
والماء
في رقصة دامية
أنت أجمل عاشقة
وأنا أول العاشقينْ

●

أحبك
موعدنا ساعة الغسق العربي
على صهوة الصبح
آتٍ إليك
أشيلك بين يدي
الى ساحة العرس
اني اقتربت .. اقتربت
فكوني على أهبة الاستعداد
لنفتتح العرس
فى رقصة الانتصار

خواطر



عندما كنا طلاب علم فى الجامعة ، كان لنا أستاذ انجليزى ، لا يفتا يعيرنا ، كلما جدت المناسبة ، باننا بلد الواجهات! واجهة ليس إلا ! عندنا جامعة .. اى نعم ! منظرها من بعيد باهر .. مبنى القبة العتيدة فى الوسط ، وعن جانبيه كليتا الآداب والحقوق ، بالعمارة الرصينة الأنيقة ، والمدخل اليها ، بين زينة حدائق مصر .. الأورمان والحيوان ، خلاب يأخذ بالألباب .! أشجار الكاسيا نودوزا بزهرها اللبني القرنفلي تحف بجانبيه ، والخضرة الأنيقة وأحواض الورد تغطى أديمه .. مشهد متالق مؤثر ينطبع فى الفؤاد ! فاذا ما اجتزت ذلك كله ، وبلغت عتبة الكليات ، وخطتها قدماك دالفاً فى قلعة العلم .. لم تجد من حياة الجامعة شيئاً ..

صخب ولغط ! لا طلاب يؤمون المكتبة ولا حلقات بحث ونقاش ، ولا أبحاث ينكب عليها الباحثون بالنهار وبالليل ، ولا جلسات ودية بين الطلاب وأساتذتهم يتناولون فيها شتى الأحاديث العلمية والاجتماعية ، ولا جولات صافية فى بساتين الجامعة ورياضها ، ولا مناظرات نابضة بالحيوية فى الشئون الفكرية العامة ، تجتذب وتستقطب ، تكون رأياً عاماً للجامعة ، وتنمي الأساليب السليمة

... من الشاطئ

بقلم : محمد فتحي

للنهج العلمي فى المناقشة وتبادل الرأي

لا شيء من ذلك ، لاشيء من فكرة الجامعة وروحها وغاياتها ؟!

هكذا كان الاستاذ الأجنبي يعيرنا فى مناسبات القصور من جانبنا . وكان بنقده المر اللاذع يستثيرنا . يثير فى صدورنا الضيق والغيرة والعزم ، وفى صدور البعض الاستفزاز والرغبة فى التشاجر .

لم تبرح مخيلتي ، على كر الأعوام ، هذه الدعوى ، أصحيح نحن بلد الواجهات ؟! واجهة ليس إلا ؟!

تدخل ذلك المبنى الحصين الرابض على النهر ببرجه الشاهق المشرف على الهضاب والجبال والوديان فتكاد تسمع فيه صوت الخواء ، إن كان للخواء صوت لا تستشعر بالنبض الذى ينبغي أن تستشعر به ، نبض البلد ، ماضيه وحاضره ومستقبله .. موكبه المصيري السائر فى طريقه .. يقينه وفكره وفلسفته ومزاجه وتطلعاته .. لا تجد خطة ، وإنما فتافيت خطة بلا نظم ولا نسق ولا ترابط ؟!

وما الدار إلا مثال من أمثلة متكررة ، سواء ربضت على النهر ، أو رسخت فى الحي القديم ، أو نهضت فى الشارع الجديد .. !

وإذا عَنّ لك أن تجوس بقدميك فيما وراء الشارع الفسيح الذى يزهو بعمائره الشاهقة وشجيراته الباسقة لهالك الهول وسيصدق لديك القول ، إن وراء الأكمة ما وراءها !

يصفعني هنا مرة أخرى قول الاستاذ الأجنبي ! أو اذهب الى الثغر الفتان ، وتعمق فى سيرك ، وراء الواجهة ، وراء المقاصير حيث يقطن الوجهاء ، لسوف تثور نفسك وتتساءل فى حدة احقا هناك عدالة فى توزيع الرعاية والعناية على القصور وأهل القصور ، وعلى الأكواخ وساكني الأكواخ ؟! ذلك أن التلال المرتفعة على طول الشوارع الخلفية وعرضها من القمامة تعترض طريق قدميك ونشقَ أنفك ، دعك من الطفح المختلف الينابيع الذى يلطف حدة القيظ

وإذا بالسائر هنا يتلقى صفعة إضافية إذ يقرأ فى لوحة إعلانية ضخمة أنيقة .. مرحباً بك في حي شرق ، أو حي غرب ، أو مع السلامة مع توقيع حي غرب ؟!

لا يملك المرء وهو مايفتأ يصطدم بهذه الدعوى فى شتى المواقع أن يتساءل ..

هل نحن نؤخذ بالبريق والمظهر دون الجوهـــر ؟!

هل ماتزال تجرى فى عروقنا اثارة من جاهلية فيستهوينا التباهي والتفاخر والادعاء ؟!

هل نَقَلْنَا عن الغير فَصَلَ بيننا وبين أصالتنا ، وانسانا أصولنا ، وأضلنا سبيلنا ؟!

هل ما نزال نخوض فى وحل النكسة ونكتفى من الغنيمة المتوهمة بالواجهة؟!

واجهة واحدة لا زيف فيها . لا تخدعك ولا تغشك . المخبر فيها لا يختلف عن المظهر . تلك هي التى صنعها الله . اذهب الى شاطىء البحر ، واجعله قبلتك أدر ظهرك للحضر . سيستغرقك جمال البحر وصفاؤه وعظمته وستأنس اليه نفسك ، وتقر عينك . ولسوف تنعم فى حضن الطبيعة التى صنعها الله باوقات من اللين والسماحة والرضا ، لا تعكرها أكدار الزيف وهمومه ..

أو اذهب الى حافة الصحراء وأقم خيمتك ، أو فوق الهضبة أو على سفح الجبل ..

ستجد هناك لفحات الشمس حامية ، وهَبَّات الريح مزمجرة ، ولكنك لن تجد إلا الطهر والحق وبدائع صنع الباري .

محمد فتحي

هذا ما كان

قال الحاج « عناني » انه مسئول عن ديون رجاله ، كانت الرسالة قصيرة أرسلها الى الأستاذ « مدبولي » ناظر المدرسة الابتدائية ، وتسلمها فى صحن الجامع بعد صلاة الجمعة ، وكان يتاهب للخروج فوقف حائراً ، أن يختاره الحاج عناني من دون الأهالي جميعاً لتبليغه الرسالة ، وهو لم يلتق به أبداً فى حياته ، وليست له ديون طرف رجاله

رآهم فى الجامع يتجمعون حول الرسالة . وظل واقفاً بجوار الباب وعيناه عالقتان بها حتى عادت اليه ، وطواها داخل الجيب المبطن بالحرير فى محفظته ، وغادرهم دون أن يقول كلمة .

استبشر الأهالي خيراً ، فرجال الحاج عناني ليسوا مثل خلق الله الطيبين . كان يتصيدهم واحداً واحداً من بلاد لم يروها أو يسمعوا عنها ، وكلما جاءت «ترحيلة» لتطهير النهر ، كانت تغادر البلدة وقد نقص عددها ثلاثة انفار أو أربعة . وكان « خولي » عزبته كثيراً ما يعلن ـ بعد سهرة ثقيلة فى المقهى وهو يفتل شاربه ، وعيناه الحمراوان تنظران شمالا ويميناً ، وخلفه كوكبه من رجال العزبة ـ أن هؤلاء الرجال فى البلدة لا يصلحون إلا لتنقية الأحواض من الحشائش ، وجمع روث البهائم ـ ويبصق لاعنا ، ويركبون الحنطور الى العزبة .

كان ياتي مع الاسطوات الذين يعملون على الجرارات والمكينات فى العزبة لقضاء السهرة فى البلدة ، يتنقلون من مقهى الى مقهى ، ويخرج من جيبه منديلا ملفوفاً يضعه على سطح المنضدة ، ويفتحه فى بطء ـ والعيون تحدق اليه ـ عن قطعة حشيش فى حجم نصف الكف ، ويقطع منها بمطواه صغيرة على هيئة سمكة ، ويجمع « الفتافيت » ويلوكها فى فمه ، ويسيرون فى الشوارع صاخبين يقذفون الكلام نحو النوافذ المغلقة ، ثم يتجهون الى النهر . وينتهى بهم المطاف مبللين الى سياج الجسر يلاحقون المارة بتعليقاتهم ، ويغادر أبناء البلدة السياج واحداً وراء الآخر .

وكانوا ياخذون ما يحتاجون اليه من الدكاكين «على الحساب» . وفى البداية كانوا يدفعون ، ثم ملأت ديونهم صفحات فى دفاتر التجار ، واستمر التجار يعطونهم ما يريدون .

كان الخولي يشرف على كل شؤون العزبة . وكان الحاج عناني ياتى لقضاء شهر في الصيف ثم يمضي . يرى الناس عربته الزرقاء تخترق شوارع البلدة والستائر مسدلة على النوافذ ، ويرونها مرة أخرى فى نهاية الشهر تمرق عائدة الى المدينة .

● ● ●

سمع عم «شاكر» البقال بما كان ، وخطف رجله الى عبد الستار تاجر القماش .

ـ هل سمعت ؟

ـ آه سمعت .

وقفا على مصطبة الدكان . ودفع عم شاكر طاقيته إلى مؤخرة رأسه وقال :

ـ هل ذهب أحد الى هناك ؟

العلم عند الله .

كان عم شاكر يتفرس فى وجهه بعينين جاحظتين ثم قال :

ـ وماذا لو ذهبنا ؟

ونظر كل منهما فى عيني الآخر .

كان الجو حاراً ، والشمس تغطى المصطبة ومدخل الدكان . وقال عبد السميع :

ـ ننتظر قليلا .

ـ وماذا ننتظر ؟ الم يرسل الى الأستاذ مدبولي ؟

إنهما فى النهاية اتفقا على أن يذهبا إلى العزبة فى الصباح الباكر .

● ● ●

لبس كل منهما جلباباً نظيفاً وحذاء ، وحمل دفتره ملفوفاً فى فوطة تحت أبطه ، وكان عم شاكر يضع كوفية من قماش لامع حول رقبته . وخرجا الى الطريق الزراعي . وكانا يسيران فوق خط من الحشائش الجافة بعيداً عن التراب . وتوقف عبد السميع فجاة ومد رقبته النحيلة وقال عابساً :

ـ لم تقل إنك ستلبس كوفية ؟

توقف عم شاكر أيضاً ، وهربت عيناه بعيداً نحو قمم الأشجار ، وقال عبد السميع مزمجراً :

ـ لم أرها عليك من قبل . من أين جئت بها ؟

ـ كانت عندي .

وعبرا جسراً يؤدى الى طريق ضيق وسط الحقول ، وسارا متجاورين . وقال عبد السميع :

ـ كم مبلغك ؟

ـ عشرون جنيهاً وثلاثة واربعون قرشاً .

ـ وماذا اشتروا بكل هذا المبلغ ؟

ـ سجائر . جبن . حلوى .. وكم مبلغك ؟

ـ كثير .

ـ كم ؟

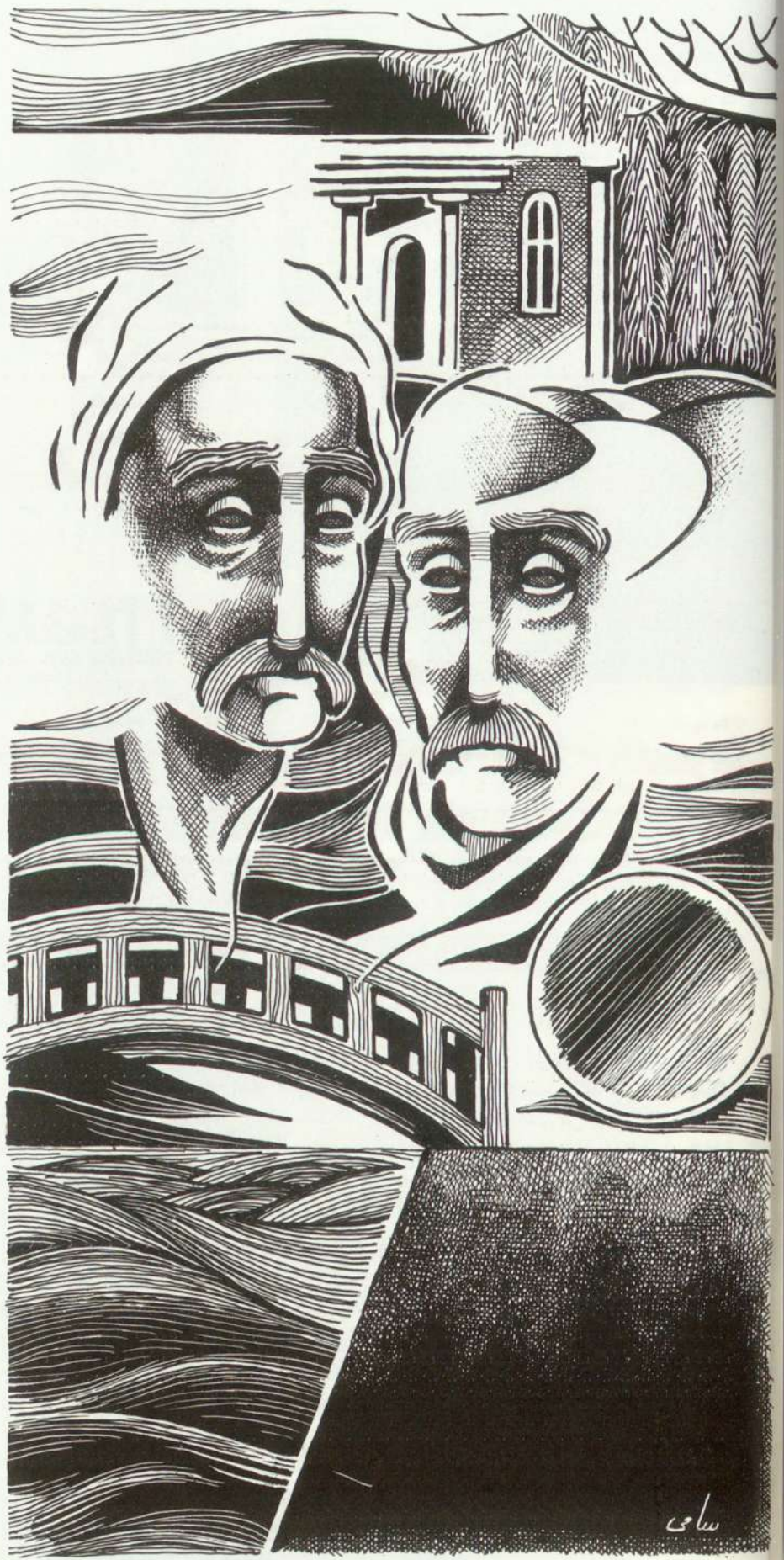
ـ خمسة واربعون .

وصمتا، وقال عبد السميع :

ـ أتظنه يسدد المبلغ كله ؟

ـ ولم لا ؟

بقلم : محمد البساطي



ـ ربما رأى مبلغى كبيراً ؟

وشربا من ماء زير تحت شجرة . ومسح عم شاكر العرق والتراب عن وجهه بمنديل نظيف اخرجه من جيبه ، وكان عبد السميع ينظر اليه صامتاً . ثم قال :

ـ أرني دفتـــرك

نظر اليه عم شاكر متردداً . وقال عبد السميـــع :

ـ هاهو دفتـري خـذه .

اخذ كل منهما دفتر الآخر ، ووقفا فى ظل الشجرة . كان خط عبد السميع مائل الحروف ، والكلمات تنتهى بتقوسات ، وعلامة فوق حروف المد . وفى نهاية الصفحات وضع جملة المبلغ داخل مربع صغير بلون احمـر ، وكتب ايضاً بالحروف . وفى دفتر عم شاكر بدت الكتابة غير واضحة ، كان يستخدم حبراً فاتح اللون ، والحروف مبتورة الأطراف ، والأرقام محشورة وسط الكلمات . وقال عبد السميع :

ـ لنسرع قبل أن تسطع الشمس .

ولحق به عم شاكر :

ـ اتظنه يستطيع أن يقرأ الدفتر ؟

ـ وماذا يهم . أقراه لـــه .

كيف . وهل ينتظر حتى اقراه ؟

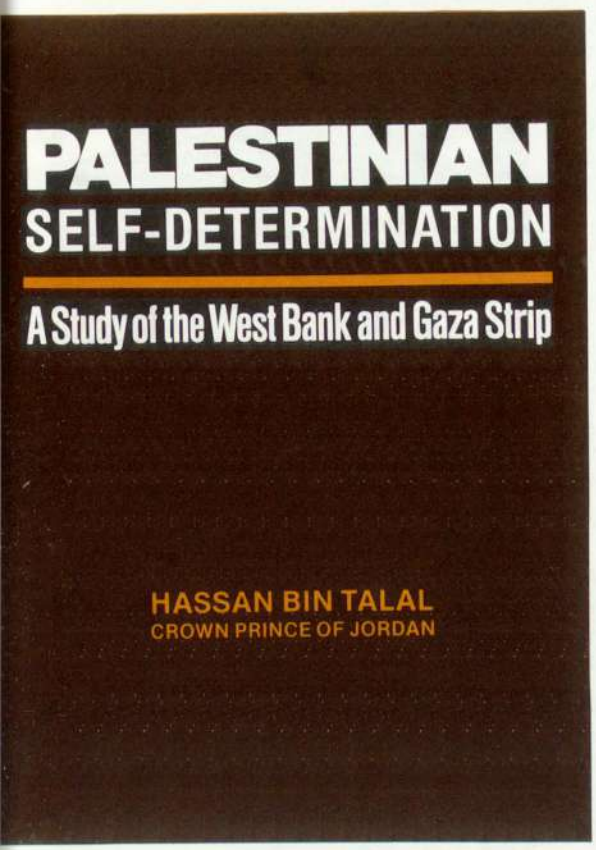
ضع علامة فى الدفتر من الآن .

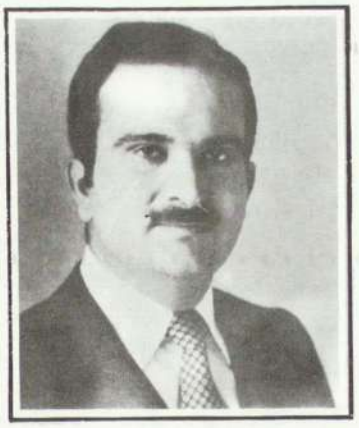
ووضع كل منهما عوداً صغيراً من القش عند صفحة الدين .

بدا البيت الكبير امامهما تحيط بـــه اشجار الكافور العالية ، كانت له واجهة بيضاء واعمدة وشرفة عريضة ، وابراج صغيرة من الزجاج الملون فوق السطح تتوسطها قبة كبيرة كانت تعكس بريقاً ملوناً .

وقفا عند منحنى الطريق يحدقان فى صمت ، وتردد نباح الكلاب وسط الأشجار .

كتاب الشهر





الأمير الحسن بن طلال

تقرير مصير الفلسطينيين

دراسة للضفة الغربية وقطاع غزة

تأليف: الحسن بن طلال ولي عهد الأردن
تقديم ومراجعة: أحمد العناني

يتمتع الأمير الحسن بن طلال ولي عهد الأردن بتقدير عميق فى الأوساط الثقافية والفكرية العالمية ، كباحث هادىء دؤوب ، ومثقف واسع الاطلاع ... وهو فى سائر انشطته الذهنية سواء على مستوى الحوار فى مجلسه الخاص أم على مستوى الندوات الفكرية التى اعتاد المساهمة فيها بفاعلية بارزة ، أم على مستوى التاليف فى قضايا محددة يعكس صفات العالم المتمسك بموضوعية الباحث عن الحقيقة ، وصبره وتباعده عن العواطف الفائرة والتعميمات المرتجلة ، وقد كان له وما يزال دوره الرائد والمؤثر فى سير الحركة العلمية والتقنية فى الأردن بكل ما حققته من انجازات واضحة فى نهضة تلك البلد العربي الذى يواجه تحديات ضخمة ربما كانت عواقبها أهم العوامل المقررة لمصير الأمة بعامة ... وقد صدر فى لندن مؤخراً كتابه الذى نحن بصدده الآن ، ولا يفوتني قبل تقديم موضوعه الى القراء أن أنوه بالأسلوب الرصين المتمكن الذى يتمتع به المؤلف ولاسيما من حيث الدقة البالغة فى انتقاء المفردات وصياغة العبارات واصطناع الأسلوب العلمي المباشر المتخفف من الزخارف والحشو ، والالتزام بالمحتوى المنطقي القائم على الحجة الواضحة دون العواطف الفائرة ، بحيث يجب اعتبار هذا الكتاب بالذات انموذجاً رائعاً للكيفية المثلى فى مخاطبة سائر الأوساط المعنية بقضايانا فى الغرب، وإذا ما تعلق الأمر بامور عاطفية كشقاء الرازحين تحت عذاب الاحتلال الاسرائيلي الباغى من العرب فان المؤلف يقدم مجموعة مختارة من الصور الفذة التى تعبر بذاتها عن الأبعاد الوحشية التى وصل لها الصهاينة المتعصبون فى استهتارهم وانغلاق بصائرهم .

فى الوقت الذى انطلقت فيه وسائل البغى الاسرائيلي ممعنة فى مصادرة الأرض ، وتشريد الناس ونفيهم وإحلال عتاة المهاويس من عصابات كاهانا فى أملاكهم جهاراً نهاراً ، أقول بالنظر لهذا كله جاء كتاب الأمير الأردني تماماً فى وقته ليضع النقاط على الحروف ، ويعرض حقيقة القضية كلها على ضوء الواقع التاريخي ، والموقف القانوني

الدولى كاشفا كل غطاء عن حقيقة ماسمي بالحكم الذاتي ، وعما تتذرع به اسرائيل بأسم الأمن والدفاع عن النفس للقضاء على أمن العرب وطمس حضارتهم فى الأرض .

فصول الكتاب

قبل أن أعالج تقسيمات الكتاب التى أملتها طبيعة البحث والأسلوب الذى اختير لعرضه ، أقول ان سائر ما فيه يدور حول محور واحد وهو إقامة الدليل على صدق المقولة التى استهل بها الأمير مقدمة كتابه حيث يقول « لم يحدث إلا نادراً فى التاريخ أن شوهت مبادىء الوحدة وتقرير المصير ومعنى الدولة والضمانات الأمنية ذلك التشويه الشيطاني الذى وقع فى قضية فلسطين » وقبل أن يشرع المؤلف فى ايراد أدلته فانه يواصل فى المقدمة تصوير أبعاد الأزمة الناتجة عن ذلك التشويه الشيطانى حيث استكمل ربط اقتصاديات الضفة الغربية والقطاع بالاقتصاد الاسرائيلي ، وتواصل احتلال الأراضي العربية وطرد سكانها وباتت حكومة بيجن تنادى علنا بيهودية الضفة والقطاع مستندة الى نفس النصوص التوراتية التى تجعل أرض اسرائيل من الفرات للنيل ، كما كانت اجراءاتها التعسفية فى القدس بالذات على مستوى من التحدى لكل الأعراف والقوانين والمقررات والرغبات الدولية بحيث لا سند له إلا هذه الادعاءات التوراتية التى يروجها بيجن وأمثاله من غلاة الصهاينة المتعصبين .

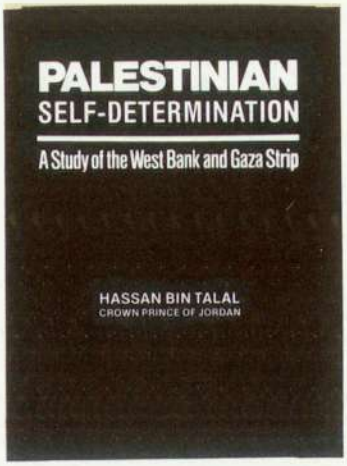
التسلسل التاريخى للمأساة

ما أن دخلت قوات اللنبى القدس فى ١١ ديسمبر ١٩١٧ فانتهت سيادة الخلافة العثمانية التى دامت قرابة أربعة قرون ، حتى تبين أن وزير خارجية بريطانيا اليهودى لورد بلفور قد أصدر الى اللورد روتشيلد اليهودى أيضاً رسالة تضمنت وعداً رسمياً من الحكومة البريطانية بانشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين مع مراعاة عدم الاضرار بالحقوق المدنية والدينية لطوائف السكان المقيمين بالأرض المقدسة ومراعاة لرغبة بريطانيا قرر أطراف معاهدة سيفر من الحلفاء الغربيين عام ١٩٢٠ اضفاء شرعية على الادارة العسكرية البريطانية فى فلسطين فعهدوا الى بريطانيا بالانتداب عليها دون أى اعتبار للدولة ذات الشرعية وهى تركيا الخاسرة للحرب أو لسكان البلاد من رعاياها السابقين ، وفى سبتمبر عام ١٩٢٢ وافقت عصبة الأمم المتأثرة جداً بالنفوذ البريطانى على اضفاء الشرعية على ذلك الحكم الشرعى بالموافقة على الانتداب اياه وفى عام ١٩٢٣ والأوضاع قد باتت فى تركيا مواتية لبريطانيا عقدت معاهدة لوزان التى تنازل فيها حكام تركيا المستجدون عن كل حقوق لهم فى السيادة على فلسطين فى جملة ما تنازلوا عنه ، وهكذا زالت كل الاعتراضات من طريق الانتداب الذى أقرته عصبة الأمم قبل ذلك بسنة ، والذى خولت مادته السادسة المؤسسة الصهيونية العالمية صلاحية مراقبة أعمال الادارة البريطانية فى فلسطين بما يكفل تنفيذ وعد بلفور الأمر الذى سارع بخطى الصهاينة فى الاستحواذ على أراضى الدولة أيام العثمانيين وشراء المساحات الضخمة من الأراضى التى كانت مسجلة لاقطاعيين معظمهم لبنانيون ووضح الخطر الكبير وبدأت مقاومة العرب فى فلسطين وبدأ سيل الهجرة اليهودية المتعاظم فى عهد النازية يخل بالنسبة السكانية فى فلسطين اخلالا واضحاً ، ثم كانت سلسلة الثورات العربية المتلاحقة التى جعلت بريطانيا فى مهب رياح الحرب العالمية الثانية تقترح ابتداء تقسيم فلسطين ثم تصدر الكتاب الأبيض عام ١٩٣٩ لتصرح فيه بانه لم يكن فى نيتها انشاء دولة يهودية أو فتح باب الهجرة اليهودية بلا حساب وما لبثت الحرب العالمية الثانية أن اشتعل أوارها .. ويواصل المؤلف استعراض الأحداث وانفجار حركة العنف الصهيونى وتخلى بريطانيا عن الانتداب وقرار الأمم المتحدة رقم ١٨١ (١١) بانشاء دولتين للعرب واليهود وتدويل القدس وتدخل الجيوش العربية والهزيمة التى حاقت بها عام ١٩٤٨ ثم قصة الوجود الأردنى فى القدس والضفة والوجود المصرى بغزة حتى عام ١٩٦٧ ثم اعلان اليهود القدس عاصمة لهم وادعاءاتهم بالحاجة للتواجد فى الأراضى العربية المحتلة لأغراض أمنهم ، ثم يختم هذا العرض التاريخى بوصف دقيق للوضع الراهن عام ١٩٨١ .

الجوانب القانونية

ثم يجىء الفصل الثالث الذى اعتبره شخصياً أثمن ما فى الكتاب ألا وهو الاستعراض الوافى للمنطويات القانونية للاحتلال العسكرى البريطانى بعد زوال السيادة التركية ذلك الاحتلال الذى يبطل كل ادعاء بالشرعية حيال التصرف فى الأرض المحتلة عسكرياً ، وكذلك التلاعب المقصود الذى أغفل الاشارة الى استعادة السكان الوطنيين فى فلسطين حقوق سيادتهم لدى انتهاء الانتداب على غرار ما ورد فى حق الشعوب الأخرى المنتدب عليها . ويتدرج المؤلف بالموضوع القانونى تدرجاً منطقياً قائماً على حقائق القانون الدولى لكى يتوصل الى أن اسرائيل لا تتمتع باية أوضاع شرعية أو ادعاءات قائمة على أي أساس بالسيادة على الأراضي التى لم تكن مشمولة باشرافها لدى عقد الهدنة عام ١٩٤٩ .. كما أن من أكبر التناقضات أن تكون لاسرائيل ادعاءاتها المستندة لقرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ فيما هي تتجاهل ما يختص بالقدس من تلك المقررات .

ويفند الكاتب كل المعاذير التى تنتحلها اسرائيل سواء فيما يتعلق بأمنها المدعى ، أو الأمن فى داخل ما ابتدعت له اسم «المناطق المدارة» من الأراضى العربية المحتلة لمواصلة الاحتلال والتستر المؤقت على مطامع عدوانية مبيتة ، وهو يستخدم التفاسير الواضحة لنصوص ميثاقى عصبة الأمم وهيئة الأمم المتحدة واتفاقات جنيف – أو مواثيق جنيف – ومقررات محكمة لاهاى الدولية ، ونصوص الانتداب على مختلف درجاته ، والمقررات المتلاحقة بصدد فلسطين فى المنظمة الدولية والقانون الدولى للحرب كما يقتبس نصاً صريح الدلالة من المادة ٤٢ من لوائح لاهاى لعام ١٩٠٧ يؤكد موقوتية الاحتلال العسكرى ومسئوليته عن إعادة حق المحتلين فى السيادة على أرضهم



تقرير مصير الفلسطينيين

وتقرير مصيرهم كما يقتبس من نص المادة ٤٩ (٦) من ميثاق جنيف الرابع النص المثبت بان إنشاء اسرائيل مئة وست مستعمرات في الضفة الغربية وبعض المستعمرات في قطاع غزة لاينشىء أى وضع شرعي لها لمواصلة احتلالها ، ولايعطى هذه المنشات أى حق للبقاء.كذلك يفصل المؤلف المخالفات القانونية للمحتلين الصهاينة في مصادرة الاملاك العربية الخاصة واعتداءاتهم على مختلف اشكال المؤسسات الدينية والعلمية والجمعيات الخيرية خلافا للمادة ٤٦ من لوائح لاهاى لعام ١٩٠٧ . ويصف المؤلف ادعاء اسرائيل بانها انما تواصل العمل بقوانين الطوارىء المفروض من قبل الانجليز عهد الانتداب بانه استناد مبطل الى اجراءات لم تكن مسوغة اصلا حيث كان الانجليز يلجاون لنسف المنازل والاعتقال والتشريد ، وعلى كل حال فالانجليز كانوا يقتصرون على تلك النظم الجائرة فى احوال الطوارىء العارضة ولم تكن لها صفة الديمومة التى يمارسها الاسرائيليون ، ثم يناقش الامير الكاتب موضوع الجولان حيث الحجة ضد اجراءات اسرائيل أشد وضوحا وأدل على سوء نوايا هؤلاء الغزاة .

حقوق تقرير المصير

لقد تطور موضوع تقرير المصير حتى أصبح حقا أساسيا عاما من حقوق البشر كافة وقد أكدت ذلك في الغرب وثيقة الاطلنطي لعام ١٩٤٢ وميثاق الأمم المتحدة حيث تضمنت المادة الأولي من ميثاق الحقوق المدنية والانسانية لعام ١٩٦٦ نصا صريحا يؤكد بان لسائر شعوب الأرض حق تقرير المصير ، وهو حق يعطى كل شعب حق تقرير وضعه السياسي وطريقته الخاصة في ترقية وتطوير شئونه الثقافية والاقتصادية والاجتماعية . وقد وقعت اسرائيل ذلك الميثاق ، ثم جاء اعلان حقوق الانسان الدولى لعام ١٩٧٠ الذى أكد الاجماع الدولى العالمى على احترام المبادىء الاساسية لميثاق الأمم المتحدة في أمر الحقوق الطبيعية لسائر شعوب الارض بلا استثناء . وقد نص قرار الجمعية العمومية للامم المتحدة رقم ٢٧٦٧ الصادر في ٨ ديسمبر ١٩٧٠ على أن لشعب فلسطين من الحق في تقرير مصيره ما لسائر شعوب الأرض قاطبة ، وقد تلاحقت احداث ناميبيا والصحراء الأفريقية جعلت من تقرير المصير حقا معترفا به عمليا لكل شعب تحت الشمس

على أن الذى يجرى في اسرائيل مغاير لكل ما هو جار في العالم فهى تنقل مثلا رعاياها للسكن في أرض محتلة عسكرية على عكس المادة ٤٩ من ميثاق جنيف الخاص بالرعايا المدنيين الذى يحظر على كل محتل «أن ينقل أيا من سكان بلاده الى منطقة الاحتلال بغرض السكن فيها » .

الحكم الذاتى ـ والدفاع عن النفس

يحسم المؤلف تماما كل شك في أن الحكم الذاتي شىء مختلف تماما عن تقرير المصير فان نطاقه لايتعدى الشئون البلدية مع المساهمة في الابحاث الخاصة بموضوعات تهم المتقاعدين في تفاهم اتحادى كموضوعات الطاقة والماء ويؤكد الاهمية الحيوية للرفض المطلق من كل فئات الفلسطينيين والسواد الأعظم من الأمة العربية لموضوع الحكم الذاتي المقترح كما ينوه بنصوص قرارات فينيا للدول الأوروبية التسع التى اعترفت بحق تقرير المصير الفلسطينى ثم يعود الى توضيح المقاصد التوسعية الخفية لما تكرره اسرائيل بشأن الدفاع عن النفس وهو أمر غير متماثل ابدا مع الحاجات الأمنية كما أنه لاينشىء أى حق مستديم لاحتلال أراضى الغير بموجب النصوص الثابته لميثاق الأمم المتحدة ، كما أن قرار مجلس الأمن ٢٤٢ لعام ١٩٦٧ و ٣٣٨ لعام ١٩٧٣ يؤكدان وسيلة الأمن الاسرائيلي عن طريق انسحابها من الاراضي العربية والتزام الكيان السياسي العربي المستقل بعدم الاعتداء .

قضية اللاجئين

يقدم المؤلف خلاصة رقمية سريعه عن المراحل المعروفة لتطور قضية اللاجئين واعدادهم المتزايدة ومهمة هيئة الاغاثة الدولية الخاصة بهم ومشكلاتها المالية واصرار اللاجئين على حق العودة المقرر لهم دولياً ، والتازم المستمر في الشرق الأوسط نتيجة استمرار معضلتهم وحتمية ربط قضيتهم بحل شامل في المنطقة وضرورة ايجاد جهاز دولى

فعال للاعداد للوفاء بحقوقهم ومطالبهم .

تثمين المطالب القانونية

الوضع الناشيء عن قضية فلسطين منذ عام ١٩١٧ وحتى الان هو وضع فريد لامثيل له في التاريخ، ولايمكن أن يكون له غير أحد حلين ـ الحل السياسي بالمفاوضة على أسس سلمية أو استمرار التأزم وانتظار الحرب التى بات يتدخل فيها توازن الرعب الذرى بين الدولتين الاعظم وقدرة الولايات المتحدة على التأثير في اسرائيل التى تجادل علنا بالتمسك بالاراضى العربية بحجة صيانة أمنها ، وتضرب عرض الحائط بسائر الاعتبارات والمواثيق والقوانين الدولية وتمعن في اصطناع اشد العنف لتحقيق عدوانها متجاهلة كل حق للاردن في السيادة ناشيء عن ظروف قبل عام ٦٧ مصرة على الاستمرار فى سياساتها الى أن يتقدم لها الاردن والفلسطينيون بطلب التفاوض ، منكرة كل حق للامم المتحدة أو أهمية لأى من مقرراتها ، وهى تتصرف في موضوع القدس وحقوق السكان العرب تصرف من لايحسب أدنى حساب لأمم متحدة أو سواها ، ومع انها تتصرف تصرف الذى ضم كل أراضى العرب لكنها تنكر انها فعلت ذلك وهكذا فان شرعية المطالب العربية مرتهنة بمن يتولى تنفيذها بالقوة .

الحلول المقترحة

يتعرض المؤلف لرأى اسرائيل فى الحكم الذاتي ورفضها لمشروع تطبيق صورة مقترحة من ذلك الحكم فى غزة ، حيث هي تصر على الاحتفاظ بكل أمر ذى قيمة فى الصلاحيات الادارية لأى مجلس محلي .. ويقول إن الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية قد رفضتا كل حديث عن الحكم المحلي يضار به الحق الطبيعي للاجئين بالعودة وتقرير المصير، فالسياسة الوحيدة التي تفهمها اسرائيل هي سياسة البقاء وهي

● ضرورة إعداد جهاز دولي للاجئين للوفاء بحقوقهم ومطالبهم

عندها تقتضي التواجد الدائم فى سائر الأراضي المحتلة . ولقد فشل قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ فى فتح الطريق أمام أى حل للقضية من جراء الاختلافات القائمة على تفسيره بما فى ذلك الخلاف بين التفسير الأمريكي والاسرائيلي الأمر الذى أفسح المجال لبيجن لطرح مفاهيمه العتيقة عن أرض اسرائيل كمفهوم سماوي حتمي ، وقد تستطيع الجمعية العمومية للامم المتحدة أن تلتمس استشارات تؤدى الى فهم حاسم لذلك القرار وذلك بموجب المادة ٩٦ (١) من ميثاقها . على أنه قد اصبح واضحاً للعالم كله استحالة التفاوض فى مستقبل الضفة وغزة والقدس وعودة اللاجئين بغير اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية الأمر الذى ترفضه اسرائيل أو تعترف بها المنظمة . وغنى عن القول أن مثل ذلك الاعتراف يكاد يدمر موقف الفلسطينيين فى أية مفاوضات ويدمر حقهم غير المنازع دولياً فى تقرير المصير ، ولا شك أن موقفاً خطيراً قد ينشأ إذا ظلت الأمور على ماهي عليه الى مابعد اتمام الانسحاب الاسرائيلي من سيناء فى ربيع ١٩٨٢ الأمر الذى يضاعف من مسئولية الولايات المتحدة الأمريكية فى مواجهة الأطراف المعنية بما تتوصل هي اليه من قناعات مدروسة ومنصفة فان اسرائيل تعلم انها فى نهاية المطاف ستواجه حتمية الانسحاب من الأراضي العربية فى مقابل السلام كما أن العرب سيرتضون بوجود كيان غير متوسع لاسرائيل كحياة طويلة سلمية فى جوارهم .

طوالع السلام

يرى المؤلف أن على سائر الدول التى تنتفع بسيادة السلام فى الشرق الأوسط أن تتعاون بحزم مع سائر الجماعات الدولية لاحلال السلام العادل الذى بات الشرق الاوسط بحاجة ماسة اليه بعد حروبه الأربع . وهو سلام فى مصلحة العالم كله اقتصاديا وسياسيا بحيث يستاهل كل مشاق الوصول اليه . وينبغي الاشارة الى أن مؤتمرات القمة العربية فى بغداد وتونس وعمان قد أكدت أن الحاجة قائمة لسلام شامل مرتكز على اقرار حقوق الفلسطينيين فى العودة وتقرير مصيرهم بأنفسهم . ثم يفصل المؤلف فى تقديم تصريحات لمختلف زعماء العرب يقرون فيه السلام على مثل الأسس التى وردت آنفاً من حيث الشمول والانصاف ، وستدعو الحاجة الى انشاء قوة سلام دولية كجزء من الضمانات المطلوبة للحل الشامل والتى قد يكون من بينها ضمانات من سائر الأعضاء الدائمين بمجلس الأمن بعدم لجوء أى من أطراف الحل المذكور الى التسلح لمقاصد عدوانية . إن اسرائيل تدرك أن من العبث التفكير فى أى حل عسكري وحيث هي تريد السلام كما ينشده الآخرون فانه لا مناص من الاقرار بحقوق الفلسطينيين والتعايش مع دولة فلسطينية مجاورة على أسس من السلام والحدود الواضحة ، وبحيث تتوافر الجهود لوضع الحلول المنصفة للجوانب الشائكة من القضية كالترتيبات الخاصة بضمان وسلامة سائر أهل الأديان السماوية فى الوصول الى الأماكن المقدسة مع ضمان الحقوق العربية فى القدس وضمان حق تقرير المصير للفلسطينيين ذلك بان استمرار الاحتلال اليهودى للأراضي العربية أربع عشرة سنة لا يغير شيئاً فى الوضع الشرعي لتلك الأراضي وأهلها ولن تجدى التسميات المستحدثة من نوع «الأراضي المدارة » أو غيرها فى زحزحة ذلك الوضع القانوني كما لن تؤدى الاعتداءات على املاك العرب الخاصة أوانشاء المستعمرات الى أى تأثير على الصورة الحقيقية الشرعية لسلام شامل عادل منصف فى نهاية المطاف . إن أمن جميع شعوب المنطقة هو أمن واحد لا يتجزأ كما أنها على قدم المساواة فى التمتع بحقوق تقرير المصير وكل ما يعطيه العدل والانصاف ...

من أدب المرأة في قطر

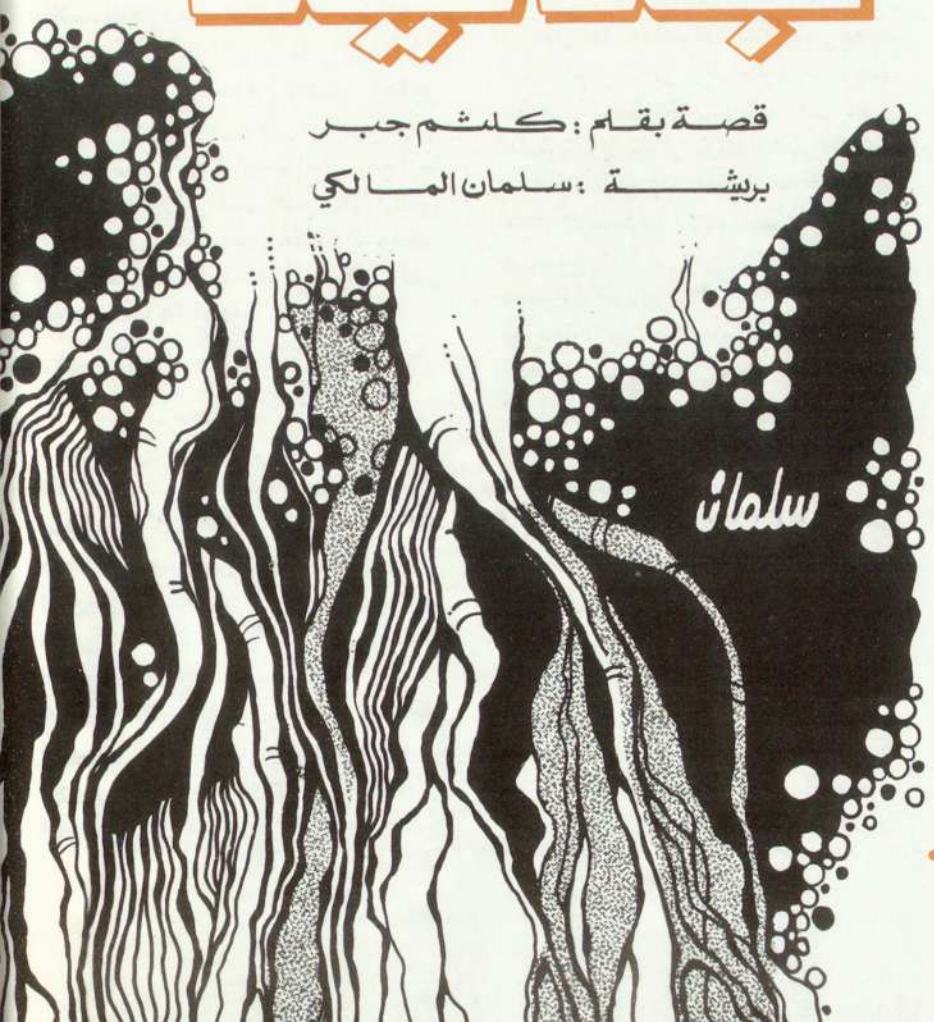
الأدب النسائي فى قطر بل وفى الخليج كله يشهد نشاطاً وحيوية يلفتان النظر ، ويستحقان الاهتمام والدراسة والمتابعة ، فما أكثر ما تكتب المرأة القطرية والخليجية الجديدة ، فى محاولة صادقة للتعبير عن نفسها وأحلامها وطموحها ... والقصتان اللتان نقدمهما هنا هما نموذج حي لهذا الأدب النسائي ... الأولى هي قصة « ميلاد جديد » للأديبة كلثم جبر التى خطت خطوات جيدة فى هذا الميدان ونشرت من قبل عدداً من قصصها فى الصحف والمجلات .

كما أصدرت مجموعة قصصية رحب بها النقاد والدارسون .

أما « نوره آل سعد » فهي كاتبة جديدة تشق طريقها وتضع أقدامها الأولى فى ميدان الابداع الأدبي والفني ، معتمدة على موهبة واضحة ، واجتهاد ثقافي ملموس . وقد قام برسم هاتين القصتين الفنان الشاب القطري الموهوب سلمان المالكي .

« الدوحة »

ميلاد جديد



قصة بقلم : كلثم جبر

بريشة : سلمان المالكي

(١)

وكان علي كأية مسافرة اخرى أن أعد حقيبة سفرى وأبحث عن أشيائي الصغيرة ... المهملة وغير المهملة أيضاً وبعض كتبي و .. و .. وأواريها فى الحقيبة ...

فتحت دولاب ملابسي .. نثرت كتبي .. وكومت أشيائي الصغيرة بعثرتها ... جمعتها بيدي ثم عدت فالقيتها تناثرت .. واستقرت فوق ارض الغرفة اشلاء مبعثرة ..

فرحت بمنظرها هكذا ...

وبلحظة أخرى قادمة شعرت إننى لا أريد التقاطها لا أود حملها معي .. لا أريد ...

لم على الانسان أن يحمل حقيبة سفر ويسافر بها .. لم .. ؟

وقررت أن اسافر بدون حقيبة .. وكان

(٢)

تلفتت الصغيرة حينما احتوانا بهو الفندق والحقائب تتراكم أمامنا والجميع منهمك فى البحث عن حقيبته ليضمن وجودها بجانبه وانا وحدى صامته ...

ـ أين حقيبتك ؟

هززت رأسي نفياً .. العيون حاصرتنى فى دهشة وصوت أجش يخاطبنى .. هو أبي ..

ـ أين حقيبتك ؟

أطرقت صامتة .. خائفة .. العياذ بالله وهل مثلي يخاف ؟ .. ولكنى أكن لهذا الصوت احتراماً شديداً يفوق احترامي لنفسى .. ولذا علي أن أشرح الأمر ...

ـ الحقيقة ...

وصوت « الخادم » سبقني ..

ـ يمكنكم اللحاق بي سادتي.

وتنهدت ... الحمد لله ...

سرت وراءهم وانا أشعر براحة عجيبة .. راحة من نوع آخر .. لم أشعر بها قبل ذلك .إني لا أعني بشيء ما كاني ولدت من جديد .. لا شيء هناك على التفكير به لاشيء .. ! ليتنى بالفعل أولد من جديد . سأتخذ لنفسى اسماً آخر .. ماذا .. دانيا .. داليا .. دانه .. د .. وما فائدة الأسماء ولماذا التعلق بحرف «د» ربما له علاقة ما بصورة ذهنية مطبوعة بـ .. اللاوعي .. وهو يخرجها بهيئة

اسماء تبدأ بحرف د .. ربما .. ولكن .. بالفعل لماذا أبحث لنفسي عن اسم آخر ؟ لماذا لا أكون بلا اسم ، «أنا» فرد بدون اسم كما اننى الآن بدون حقيبة ! .

(٣)

ـ ألن تنامي ؟
ـ سأفعل .
ـ لماذا لا تأتين بحقيبتك ؟
ـ لا توجد لدي حقيبة .
وهبت أختى مذعـورة ....
ـ هل فقـدت ؟
ـ لا
ـ إذن أين هي ؟
ـ لم آت بها من المدينة .
ـ مـاذا ؟

وفغرت فاها من الدهشة في حين شرعت أنا بخلع ملابسي .. ومن ثم طويتها بعناية ووضعتها فوق المقعد الخشبي واستلقيت على الفراش الملاصق لفراشها حيث تفصلني عنها ـ طاولة زجاجية ـ ويحتلها هاتف رمادى اللون يقارب بلونه «الأباجورة» المنسق اعلاها بخيوط مذهبة كيف يتماشى الخط الذهبى واللون الرمادى ..
غـداً لن يكون لي اسم أيضاً ...
وبهدوء انسللت تحت الأغطية وأنا أهمس ...

(٤)

الساعة تشير الى البواكير الأولى من الصباح والشمس لا تزال بعد غافية فى خدرها .. ونشاط عجيب يسرى فى جسدى وانسللت بخفة حيث الستارة الكـثيفة التى تستر الحاجز الزجاجي .. أزحتها ومن ثم فتحت الزجاج .. الهواء البارد لسعني فأخفيت صدرى بيدى والهواء يتلذذ أتنشقه « باريس » المدينة اللاهية غافية وضباب رمادى اللون كالهاتف يغطيها .. وأنا فرحة بهذا اليوم حيث اننى بلا حقيبة .. وسوف أكون بلا اسم بعد ذلك .

(٥)

خطواتي المبكرة أثارت انتباه «موظف الاستقبال» النشط . من يراه يحسب أنه قد بدأ دوامه منذ اللحظة فى حين أنه



سوف يبادل زميله الواقف بجانبه العمل.

قبل أن تصل خطواتي الى الباب كانت يده أسرع منى فى فتح الباب الزجاجي ..

ـ صباح الخير ياسيدتي ، المدينة لاتزال غافية وخطواتك هي الأولى فى هذا الصباح .

رسمت ابتسامة فوق وجهي .. استقبلنى الهواء باردا .. سرت طويلا .. طويلا .. وكنت أتبع الجهة اليمنى او الطريق المستقيم الذى يبدأ منه الفندق ولا أعلم الى أين ينتهى .. حتى لا أتوه حين العودة .. وأنا عادة أكره العودة . أن أسير فحسن ؛ اما أن أعود فشيء لا أطيقه . ليتنى دائمة السير .. لماذا علينا العودة عندما نذهب ؟ لماذا لا نسير فقط ولا نعود الى الطريق الذى غادرناه لماذا؟

« باريس » تستيقظ مع خطواتي المنحدرة الى أسفل .. هل الفندق يقع فوق جبل وإلا ما سر هذا الانحدار ...

رائحة الخبز ملأت أنفي . وقفت أمام المحل آه شعرت بالجوع .. الجوع نهشني .. أنا لم أذق طعاماً منذ الأمس نظرت فى ساعتى لقد مضت مدة طويلة وأنا أسير واحساس عجيب بالسعادة يغمرني .. حيث لا أحد هنا يعرفني .. لا أحد يعلم اسمي .. أو يمكنه مناداتي .. أو يعرف هويتي ومن أكون ..

ولكن هناك احساساً آخر إنه «الجوع»

حملق الرجل بي من خلف الزجاج حيث طالت وقفتى .. وأدار الباب وغرس عينيه فى عيني ..

ـ عربية أنت ؟

قالها بلكنة انجليزية ركيكة يغلب عليها الطابع الفرنسى .. عيناه سوداوان .. وبشرته سمراء .. ليست سمراء داكنة وليست أيضاً بيضاء ولكنها مزيج من ذلك .. شعره كثيف يغري بالعبث به ولكنه لا يعادل نعومة شعري وكثافته ! .

ـ أجائعة أنت لقد استطالت وقفتك ؟

لكنته .. أنه لا يجيد الانجليزية بقدر ما يجيد الفرنسية ولكنه ليس فرنسي الأصل بالطبع وقد يكون عربي الهوية هارباً من قدره هناك ...

ـ أنت لا تملكين نقوداً ، ومع ذلك فعيناك تشيران إنك تملكين بئراً من النفط .

النقـود .. بحثـت في جيـبي عـن النقود .. أنا لا أملك بالفعل نقوداً ، وغزانى احساس جديد .. لقد تحررت من شيء آخر .. هو النقود .. فلم يعد المال يستعبدني .. وكانت قبضته قوية فوق ذراعي ..

ـ من أنت ؟

أنفاسه ساخنة فوق وجهي «وبرد»

باريس يتسلل فى ثنايا جلدى .. ويدى الأخرى تهوى فوق وجهه .. تراخت يداه فأدرت وجهي وزرعت خطوات قوية فوق الرصيف ..

بصق خلفى وصرخ ..

ـ عربية جائعة ستعودين بعد ذلك . جميعهن يفعلن ذلك وفى النهاية يركعن تحت الأقدام أنه الجوع و ..

ولماذ أعود .. لماذا العودة .. المال .. والحقيبة .. والملابس .. والاسم .. لماذا الانتماء الى هوية واحدة .. أو وطن واحد .. أب واحد .. أم واحدة .. لماذا هذه الروابط .. لمـاذا ..

انها تخنقني كالسلاسل حول عنقي وأنا لا أود الانتماء .. ولا أريد العودة ..



(٦)

الجهة اليمنى من الطريق التى احتذيتها فى أول الأمر تركتها بلعتنى الأرصفة والشوارع الواسعة .. والطريق لم يعد منحدراً : اتسع واتسق وأصبحت له فروع والوجوه تسير مستقيمة .. والخطوات مسرعة .. وأنا يمكنني الصراخ .. والبكاء ... والغناء .. دون أن يلتفت الي أحد ما ويستفسر عن سر جنوني ويطالبنى بالكف والعودة .. ولكن الجوع يناوش سعادتي .. وهناك إحساس آخر إنه التعب ..

والوقت بعد الظهيرة .. قدماى ملتا من خطواتهما الواثقة فوق الطريق وباتتا تؤلماني .. الطريق .. والرصيف .. انتهى الرصيف .. وأنا جائعة ... المنازل هنا متناثرة .. وهناك بالقرب منها حديقة واسعة .. وخطواتي التعبة تقودني اليها .. المقاعد متناثرة .. احتللت أحدها خلعت حذائى مرغت قدمى بالعشب إنه مبلل .. القيت نفسى فوقه ومرغت وجهى به .. وجهي .. وشعري .. و .. نمت ..

لا لم أنم بعد .. انى اسمع .. خطوات .. همسات .. اسمع .. والجوع .. التعب .. الاحساس بالفرح .. لماذا يتلاشى .. أمي .. أجل أمي .. أبي .. أجل أبي .. إخوتي .. لا .. ماالذى أتى بهم ولماذا أفسد سعادتي .. أمي .. أبي .. والأصوات تقل من حولي .. أمي .. أخوتي .. أبي .. والتعب يجعل النوم لذيذاً فوق العشب .. و .. وأبي .. و ..

فجأة .. استيقظت . حفيف حولي .. حول قدمي .. فزعت .. الظلام يحيط بي وعيون تنظر الي .. انه المساء .. واغمضت عينى من جديد .. انى أحلم .. و .. لكن رجعت العيون البارزة فى الظلام افزعتنى فهببت واقفة ... أرعبنى الرجل الواقف .. أمامي .. ولغته فرنسية وأنا لا أجيدها إلا قليلا .. وكذا لا أريد التحدث .. ولكنه مخيف ..

الخوف انتابني .. الخوف .. الخوف اكتسح الاحاسيس الأخرى .. الجوع .. التعب .. الخوف غزا لحظتي وتمسك بأهدابها وغمسني بأرجائها .. الظلام .. والخوف .. الخوف زعزع ثقتي المزروعة بي منذ ثلاثة وعشرين عاماً .. وصرخت .. أمي .. أبي .. الظلام .. أخوتي .. الظلام .. صدى صرختى تردد فى انحاء الحديقة الواسعة ..

تجمع البكاء فى صدرى .. صرخت .. الظلام .. أخاف الظلام والعيون البارزة فى الظلام تنقض علي ..

أريد العودة .. ركضت خطواتي راكضة .. مسرعة .. راكضة أريد العودة .. والخطوات ورائى مسرعة أيضاً ..

أريد العودة .. أخاف الظلام .. والخطوات المسرعة خلفي .. أمي .. أبي .. أريد العودة ..

« وباريس » لا يوجد بها طريق مستقيم يقود الى الفندق وأنا غريبة .. وجائعة .. وخائفة .. وأريد العودة !

كلثم جبر

الحلم والانتظار

قصة بقلم : نوره آل سعد



دخلت المدرسة . هذه المرة كان يداخلها إحساس غريب مبهم عجزت عن فهمه . كانت تحس الخوف وتنتظر حدوث شيء ما .. شيء ما.شيء أعظم ما ينفرها منه .. إنها لا تدريه .

في لسانها بقايا مذاق ذكريات بعيدة .. عذبة لكنها تؤلم القلب .

بالطبع كانت سعيدة .

رغم أنها لم تعترف بذلك وغمرت احاسيسها المتاججة بكتل ثقيلة من الاكتئاب النفسي والصداع الذى اعتادته كانت سعيدة .

ولكنها أخفت مشاعرها ببراعة لا مثيل لها ، كان الفرحة طير مسجون فى ضلوعها ويكاد يحطم قفصها الصدرى ويرفرف عالياً فوق القمم الخضراء ويزعق بحرية فقد شفي جناحه المكسور تواً .

كانت سعيدة .

رغم عينيها اللتين تخزانها كالآبر فقد أرقت حتى انبلاج الفجر (بين اليقظة وبين الحلم مساحة ضيقة لا تسمح بالتنفس بشكل مريح .. لذلك أصبحت لا تنام .. لا تحلم) .

لكن سحقاً لعينيها .. انها سعيدة وكفى .

تنفست الصعداء عندما دلفت الى حجرة المدرسات . ضجة الأحاديث واللغط الفارغ سوف تمنعها من التفكير فى «الأشياء اللامجدية » كما تدعوها هي

منذ زمن وهي تقنع نفسها باشياء مماثلة .. زمن بعيد .. لم تعد تذكر منذ متى بالتحديد !

لكن ذاك زمن بعيد بالتاكيد .. زمن لم يكن فيه القمر يخبيء وجهه من النجوم خجلا .. ولم تكن هي تكف عن الرسم والتفكير .. وعادة صبغ عيون الأشخاص باللون الوردى فى لوحاتها .. ايضاً حينذاك كانت تمارس النوم كالأشخاص الآمنين .

أثاقلت الى مقعد ، رمت كراسات فوضوية كانت تحملها بعيداً .. بعيداً عن انظارها . وغرقت في تصحيح كراسات أخرى أمامها .. كالقدر لا مفر منه ومنها

دخلت الحجرة إحدى المعلمات وكانت تسب وتشتم فى عصبية وبصوت عال انتهك حرمة شرودها فرفعت ذقنها ببطء وراقبتها وهي تلقى نفسها على أول مقعد

أمامها وتنتفض غيظاً .. كسمكة اخرجت لتوها من البحر . قالت المعلمة وكانها تبصق الكلمات :

ـ ظلم .. محض ظلم ومستحيل .

وأضافت بسخرية :

ـ لو كان مستحيلاً .. لما حدث .

عاجلتها معلمة اخرى بالسؤال بينما واصلت قضم التفاحة التى بين أصابعها

ـ ماذا ؟ ماذا حدث ؟

اجابتها بمرارة :

ـ الذى حدث أن جهد شهور طويلة قد ضاع سدى .. انتهى فى غمضة عين .. منذ دقائق استدعتنى الناظرة ..

وابتسمت باشفاق وتابعت .

ـ وتاهبت لسماع كلمات الأطراء والثناء .. ولكن قاطعتها صاحبة التفاحة بفضول شره .

ـ وماذا حدث ؟ هيه .. ماذا ؟

توقفت هي عن تصحيح الكراسات . خلعت نظارتها فبدت عيناها متورمتين . ووجدت نفسها تصم اذانها باصابها المتشنجة .

ما أشرس هذه الأفكار التى تهاجمها من كل صوب وهذا التمرد العرم .. المكبوت . يقاوم . يقاوم .

وبالم ممض مرت بخاطرها مقترحات مسكينة غرقت فى تراب النسيان .. في احد الأدراج الخلفية لمكتب احد المسؤولين وقد ختم عليه « يؤجل حتى اشعار آخر » ودمتم .

كانت المدرستان لازالتا تتحدثان ، قالت احداهن وهي تلتهم القضمة الأخيرة من التفاحة .

ـ لكن ماذا فى ايدينا لنصنعه .

قالت الأخرى بنبرة الاستسلام ذاتها :

ـ أي والله . ماذا سنفعل ؟ .. هل نقتل انفسنا ونرتاح . هنا مشاكل وقرف .. وفي البيت ينتظرنا مليون شاغل ومشكلة . الله يلعن هكذا حياة .

أما هي .. فلا تزال تقاوم .

بالأمس كان زوجها يحزم أمتعته . ودت لو تستطيع أن تساله البقاء هنا .. بجانبها .. صار يسافر كثيراً . أسندت رأسها الى الوراء . قلبها واهن شيخ . سمعته يهمس بلا وعي « أعصابي متوترة » .. لحظات ثم طفق يحدثها عن هموم عمله .. عن مستقبله ومصيره ، بل مصير العائلة كلها متعلق بيده .. أليس هو رب الأسرة .. ورجل البيت .

شدت على يده المحمومة مشجعة . سحبها بعنف ممتزج بخجل رجولي . لم يكن يدري انها تحصي كل ارتجافة عضلة فى جسده .. مهما حرص على إخفائها .

همت بالحديث .. فهي أيضاً لديها شيء أسمه هموم العمل .. لديها هموم صغيرة وتافهة .. وتحتاج أن يسمعها . لكن قاطعوها قبل أن تبدأ . بكاء مخيف انبعث من غرفة الأولاد . (انقطع الحبل وسقطت فى قاع البئر حيث السكون والظلمة .. والحلم الذى تحول الى كابوس حينما تنازلت .. يوماً ما) .

قالت تلك المدرسة بعد ما أنهت التفاحة واخذت تمسح يديها :

ـ عندما اتذكر أيام الدراسة ألوم نفسي بشدة . لقد أضعت الكثير من الأوقات الحلوة .. تلك الأوقات التى لم أدرك قيمتها إلا الآن .. وبعد أن خبرت الزواج والأولاد والشغل والسام وبعد أن دفنت حية .



ـ نعم . آه .. كم كانت أياماً حلوة . كنا نحلم وننتظر .. ننتظر المستقبل .. وهاهو المستقبل المنتظر .. كومة دفاتر .. كومة مشاكل .. كومة غسيل ..

زوج .. عيال ومطالب لا تنتهي . ثم لا قيمة لمطالبك انت .. لرغباتك انت .. ولا كلمة تقدير واحدة على الأقل .

ـ حياتنا دوام متصل مستمر . ليل نهار . فى البيت وخارجه صدقيني .. أحياناً أمرض ولا أجد فرصة للذهاب الى الطبيب .

عادت تدفن رأسها فى الكراسات (أيتها النعامة .. العقي الطين حتى الابد)

صرخ فى وجهها ذات يوم .

ـ وأولادك ؟ بيتك ؟ وأنا ؟ أنا ؟؟ هل تتجاهلين كل هذه الأساسيات من أجل نزوة فارغة ، من أجل أمر ثانوى .. تافه ؟؟

أجابته بغصة :

ـ الرسم ليس أمراً ثانوياً .. والمعرض يمثل لي حاجة ضرورية لأشباع رغبة لا بديل عنها ، من خلاله سوف أحقق ذاتيتي . سوف أجد نفسى .. أجدك .. وسوف أجد العالم .. و ..

قاطعها بحدة :

ـ كلام فارغ .. لقد ضقت بلوحاتك وأصباغك .. وهذه القذارة التى أوجدتها فى بيتي .

أنذرك ألا تخلطي بين عملك خارج البيت .. وواجباتك المقدسة هنا .. كزوجة وأم وأمرأة . وإذا حصل أى تعارض .. فلابد أن ترجحي أحد الأمرين على الآخر .

كان صدرها يعلو ويهبط بسرعة . أصطنعت الهدوء ، قالت :

ـ القضية .. القضية ليست الرسم .. ولا البيت ولا المدرسة .. القضية هي .. أنا . أريد أن أكتشف من أنا ؟ ماجدواي ؟ .. أريد أن ..

صفق الباب فى وجهها وخرج مسرعاً . لن يعود قبل منتصف الليل كعقاب لها .

وفشل المعرض حينذاك . لأن الأشياء سائبة فى ذهنها .. لأن رائحة الألوان أصبحت تدفعها للتقيؤ .. كما تدفع زوجها الى الشجار .

قالت تلك المدرسة وهي تقشر البرتقالة لتتبعها بالتفاحة :

ـ لكن .. ما العمل ؟

قالت الأخرى بيأس تام :

ـ أي والله .. ما العمل ؟

أشاحت بوجهها بعيداً .. بعيداً . لكنها اصطدمت بمنظر (الفراشة) التى كانت تكنس الممر فى استرخاء وبرود . كانت تمضغ شيئاً ما في فمها . ربما كانت تدندن .. أيضاً . أما هي ففكرت « أن كلتيهما تجران ساقية خربة وتدوران كل يوم كجاموستين هرمتين .. بلا فائدة تذكر » هكذا فكرت .. لكن عادت تصحح لنفسها « إنها بالتأكيد أوفر حظاً مني .. إنها خاضعة لقدرها راضية به .. وربما كانت أكثر جدوى مني أيضاً » .

انتصبت واقفة . انها لا تستطيع أن تقف ساكنة بلا حراك .

ظلت طوال المساء تلوب أمام الهاتف . كانت تنتظر مكالمة من زوجها . لم يقل لها إنه سوف يخابرها لكنها على كل حال سوف تنتظر .

لسوف تنتظر .. ولسوف تخبره انها مرهقة للغاية .. وسعيدة . فالسعادة ـأحياناًـ شيء مرهق جداً .

سوف تقول له ما يوقر صدرها منذ الصباح .. بل سوف تصرخ بالخبر « إنهم يدعونني للاشتراك في معرض عالمي سيقام قريباً . إنها فرصة لطالما تمنيتها .. هل تعي ما معنى .. إنني تمنيتها ؟ »

لقد جهزت كلمات مطولة .. هي ذاتها تعرف انها لن تقولها . على كل حال سوف تقول إنها جائعة .. وتحس الفراغ بداخلها بئراً من العدم والحرمان . كم تساءلت : هل يمكن أن أكون قد مت وجسدي يتحرك دون ارادتي بسبب قوانين فسيولوجية غير مفهومة .. ترى هل يمكن هذا ؟ .

هامت على وجهها .. انتهى بها المطاف الى المخزن وفي ركن منزو رقدت أكوام كتب متربة .. ولوحات باهتة وذكريات يعجز القلب عن نسيانها ..

أو لايريد ذلك.نهضت مسرعة . انطلقت كالقذيفة الى الخارج .. وخرج صراخها الدفين « عبث .. عبث » رددتها مرات عديدة رغم انها لم تحتج لتاكيد ذلك .. لكنها أرادت فقط .. أن تعلنه بحرية .. فلقد سقط كل شيء .. علام تخاف ؟ .. فلقد سقط كل شيء.حياتها . طموحاتها.. قناعاتها .. كل الاقنعة عبث .. كل الشعارات عبث .. كل الأكاذيب عبث .

لا شيء حدث .. لاشيء يحدث.. لا شيء سوف يحدث . فعلام تخاف ؟

لفها حزام قاس من الصداع . صرخت بقوة غريبة :

ـ حتام الخوف ؟ التردد ؟ الهروب ؟ فلنشد الحبل بقوة ..حتى لو لم ينزل المن والسلوى فلنتوقف عن قرع الطبول البدائية .. فهذا لن يجبر الموت أن يقى أحلامنا .

هرولت الى المخزن .. التقطت الالوان غمست أظافرها فيها ، وعلى اللوحة بدأت الأشياء تتخذ صيغا ودلالات بعينها .

وانعدم العالم ليبعث من جديد فى اعماقها . لم تبال برنين الهاتف .. وبضجة غوغائية أخذت تقترب بطبول الحرب .. فقد عثرت على المرأة الأخرى التى تنازلت عنها .. ذات مرة .

نوره آل سعد

المثقف والقلق

أترى نحن أسرى للظروف والمقادير ؟ أم أننا رهن الأقدار والحياة والواقع ؟

ذاك هو السؤال الذى مازال يلح على ذهن الانسان المثقف .. أو الكائن الحقيقي الذى يرفض أن يتعاطى مجانية الأشياء حتى استنشاقه لجرعات الاكسجين .. ويتساءل :

إذا لم نكن قد منحنا وسائل الأعمال الجيدة أو الصالحة فلماذا نمنح الرغبة الدائمة فيها ؟

إن المتردد يعرف تردده ، لذا فهو يقوم بأفعال مفرطة وأكبر من طاقاته حتى يحقق الارتياح لنفسه .. والمرء الذى يتالم لعدم تحقيق ذاته يشعر بوجوده الى أبعد حد .. أما من يتخيل أن العالم يرفضه ويلفظه فهو يمارس أقصى التخيلات فى محاولة استعجال اعتراف الآخرين به .

ولكن المرء حين يشعر بالخوف من فقدان نفسه فهنا النهاية المحتومة التى تظل تراوده .. انه يتساءل « العالم كله ظلم فان قبلته أصبحت شريكاً فى الجزيمة ... وإن رفضته أصبحت جلاداً » هذا ما ورد على لسان احد أبطال المسرحيات السارترية .. إنى لا أملك إلا عقلى النابض فهو يعذبني ولا يتوقف أين أذهب منه ؟ وأفعالي .. آه .. تلك التى تخرج منى بسرعة دون أن أعرف إن كنت قد أردتها أو لم أردها .

وإن جاء الفعل منافياً لارادتنا علقناه على مشجب المصادفة . ثم انهم ينظرون الى تلك الفئة المعزولة عن عالمهم .. تلك التى تمثل من يسمونهم الطبقة الدنيا أو المسطحة بحقد لأنهم يرون رؤوسها ساكنة وهادئة تعج بالظلام والهدوء . يشمئزون من علاقات تفرض عليهم .. ويصابون بالغثيان والدوار أمام مواجهتهم بالرفض .. فالرفض ملك خاص لهم .. كما أن الواقع من حقهم .. وهم يتمنون لحظة الألم ويريدون أن يسلموا انفسهم لها .. وحين يسقطون فيه .. لا يعود الأمر بالنسبة لهم غير أنات وصيحات توجع .. وأمنية أن يسكت هذا الألم بأى شكل ..

إذن ... ؟

فلنكف ياصديقى عن الخوف من التفكير بأننا زائدون عن الحاجة .

ولنقتلع أنفسنا من مسرحية التحركات والتلاعب بالمفردات الى عالم أكثر واقعية .. لنفعل كل ما نعتقد أنه جيد حتى لو كان وسيلة لانهيار العالم .

نحن أحرار .. أحرار تماماً .. فافعالنا هي ملك لنا .. ولا حاجة للسقوط فى (مصيدة المواقف) .

لأن الانسان المثقف متميز .. وتمايزه ينبع من رؤيته الواضحة حتى ولو كان وضوح الرؤية أكثر عذاباً وشراسة من عدم الرؤية ؛ فنحن نساهم بأفعالنا فى تنمية وجودنا .. وحين نتوقف عن القيام بأفعال جديدة .. يقوم غيرنا بحيازة حياتنا . حينها لن نتمكن من فعل شيء .. وسوف يصل بنا الأمر الى الصمت حتى لو كان بامكاننا الكلام ..

ذلك أن كلامنا لن يفيد في شيء ، لأنه سيتحول الى أحتجاج ضعيف على الواقع ..

نحن وُجدنا .. سقطنا من أرحام أمهاتنا .. ولكن علينا بعد ذلك أن نوجد أنفسنا ونحقق وجودنا فى هذا الوجود .. ولن نستطيع التمسك بوجودنا مادمنا نفعل عكس ما نريد . لن يعود الخوف من النفوذ الى الآخرين والتاثير فيهم .. لأننا سنجد ألف طريقة للتسلل الى الجموع بدهاء وثقة . ولنتذكر أن بداخل كل منا رقابة .. فالرقابة تنبع من هنا .. من الداخل . والانسان المثقف الذى يصنع مواقفه انسان جديد يخلق نفسه كل يوم .. فلنعط وجودنا شرعية مادام أولئك الذين جاءوا الى العالم بدون شرعية يتمكنون من الانزلاق على سطح الأرض بحرية تامة دون النظر لانتمائهم

بشرى ناصر

أحمد فارس عبد المنعم

النظام الإذاعي في بريطانيا

يقوم النظام الاذاعي فى بريطانيا على دعامتين أساسيتين هما هيئة الاذاعة البريطانية، وهيئة الاذاعة المستقلة .

وفيما يلي تحليل لهما يتناول ظروف التكوين والهيكل التنظيمي وعلاقة كل منهما بالحكومة والبرلمان ومصدر التمويل .

أولا: هيئة الاذاعة البريطانية:

تعود أصول هيئة الاذاعة البريطانية الى شركة الاذاعة البريطانية التى انشئت عام ١٩٢٢ بواسطة ستة من منتجي الأجهزة الاذاعية ، وحصلت على رخصة لمدة سنتين من المدير العام للبريد الذى كانت بيده سلطة منح هذه الترخيصات آنذاك . وقد شكل المدير العام للبريد لجنة عرفت باسم « لجنة سايكس » لدراسة وضع الشركة وتطويره ، فاوصت اللجنة باخضاع الاذاعة لقدر كبير من سيطرة الحكومة عن طريق وزير يتحمل المسئولية عنها أمام البرلمان ، على ألا تقوم الحكومة نفسها بادارة الاذاعة بل يتم ذلك عن طريق مجلس خاص بها . كما أوصت اللجنة بانشاء عدد من المحطات المحلية تديرها مجالس محلية . وقد امتدت رخصة الشركة لمدة عامين تنتهى فى ٣١ ديسمبر ١٩٢٦.

وفى أغسطس ١٩٢٥ تم تشكيل لجنة أخرى لدراسة تطوير وضع الاذاعة عرفت باسم « لجنة كروفورد » حيث أوصت في تقريرها بأن تتولى الاذاعة هيئة عامة يكون لها مجلس محافظين ، وذلك كحل وسط بين أن تتولاها شركة خاصة تبحث أساساً عن الربح وبين السيطرة الشاملة للحكومة عليها . وقد استجابت الحكومة لذلك فصدر الميثاق الملكي فى عام ١٩٢٧ متضمناً انشاء هيئة الاذاعة البريطانية التى حلت محل شركة الاذاعة البريطانية .

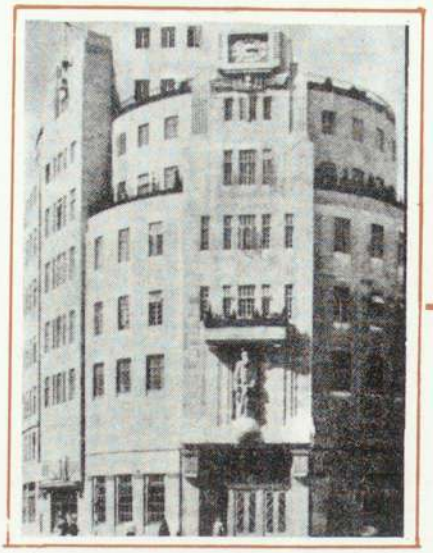
وقد استمرت هذه الهيئة فى احتكار الارسال الاذاعي بنوعيه (بدأت ارسالها التليفزيوني عام ١٩٣٦) حتى عام ١٩٥٤ حينما تم انشاء سلطة التليفزيون المستقل (I.T.A) مما أنهى احتكارها للارسال التيلفزيوني ، ولكن استمر احتكارها للارسال الاذاعى المسموع حتى عام ١٩٧٢ حينما تم تحويل هيئة التيلفزيون المستقل الى هيئة الاذاعة المستقلة (I.B.A) وتدير هيئة الاذاعة البريطانية الآن شبكتين قوميتين للتليفزيون ، وأربع شركات قومية للراديو ، وعشرين محطة راديو محلية فضلا عن الاذاعة الموجهة للعالم الخارجي .

ويحكم نظام هيئة الاذاعة البريطانية الميثاق الملكي الصادر عام ١٩٢٧ ، واتفاق الرخصة :

بين الهيئة والحكومة ، ورغم تشكيل العديد من اللجان لتطويرها فى سنوات ١٩٣٧ ، ١٩٥١ ، ١٩٥٢ ، ١٩٦٤ ، ١٩٧٢ إلا أن الخطوط الأساسية لنظامها ظلت كما هي . فللهيئة مجلس محافظين من ١٢ عضواً (بما فيهم الرئيس ونائب الرئيس واعضاء من اسكتلندا وويلز وشمال ايرلندا) ، عضوية كل منهم لا تزيد عن ٥ سنوات تعينهم الملكة بناء على نصيحة الحكومة . ويستعين هذا المجلس بمجلس استشاري عام من ٦٠ عضواً فضلا عن مجالس استشارية اقليمية تعاون فى تحديد نوع البرامج المناسبة لكل منطقة . كما يقوم مجلس المحافظين بتعيين مدير عام هيئة الاذاعة البريطانية الذى يرأس مجلس ادارة الهيئة المكون من رؤساء الادارات المختلفة فى الراديو والتليفزيون .

أما عن العلاقة بين هيئة الاذاعة البريطانية والحكومة والبرلمان فانه حتى عام ١٩٦٩ كان المدير العام للبريد هو المسئول امام البرلمان عن الاذاعة . ولكن فى هذا العام الغي منصب المدير العام للبريد وحل محله وزير البريد والمواصلات . وفي عام ١٩٧٤ الغيت وزارة البريد والمواصلات واصبحت مسئولية الاذاعة من اختصاص وزارة الداخلية .

ومن الناحية النظرية اعطى ميثاق الهيئة واتفاق الرخصة الحكومة سلطات كاملة على هيئة الاذاعة البريطانية ، حيث يستطيع التاج بناءاً على نصيحة الحكومة تغيير المحافظين في أى وقت . كما يستطيع الوزير المسئول سحب ترخيص الهيئة فى أى وقت إذا رأى انها تخل بواجباتها ، كما أن من حقه الاعتراض على أى مشروع إذاعي . فضلا عن ذلك من حق كل وزارات الحكومة إذاعة أية مواد تريدها . وقد يبدو من هذا أن الهيئة ليست سوى ادارة من ادارات الحكومة تحت اسم آخر . ولكن الواقع غير هذا ، حيث اتفقت الحكومات المتوالية على اعتبار هذه السلطات احتياطية وقت الضرورة فقط ، حيث احتفظت الهيئة بسلطاتها كاملة فى شئونها الادارية ومضمون البرامج التى تقدمها داخلياً وخارجياً . وقد ساعد على ذلك أن الشخصيات التى تولت منصب المدير العام للهيئة احتفظت باستقلالها السياسي وتحررها من ضغوط المصالح التجارية . فمنذ انشاء الهيئة لم يحدث أن صدر أى اعتراض من الحكومة على اذاعة أى موضوع ، فالتوجيهات العامة الوحيدة هى تلك التى تمنع الهيئة من اذاعة رأى خاص بها إزاء المسائل الجارية أو اذاعة مواد موصي عليها أو الامتناع عن اذاعة مواد بناءاً على توصية . فالميثاق الملكي وقانون ١٩٧٣ يعرف هيئة الاذاعة البريطانية بانها مرفق عام هدفها الاعلام والتعليم والتسلية ، ولها سلطة مستقلة فى ادارة شئونها اليومية وسياستها فى البرامج .



هيئة الاذاعة البريطانية .. كانت بدايتها عام ١٩٢٢م

أما الحكومة فتحتفظ بالكنترول النهائي من خلال وزير الداخلية الذى يعتبر المسئول عنها امام البرلمان بشأن القضايا الأساسية لها ، ويمكنه اصدار توجيهات لها وتعطيل رخصتها . وتلتزم الهيئه باعداد تقارير سنوية وحسابها المالي الى وزير الداخلية لعرضها أمام البرلمان .

أما عن التمويل ، فهناك أربعة مصادر أولها المبلغ الذى يقرره البرلمان للخدمات الاذاعية الداخلية يعادل المبلغ العائد من رسوم رخص اجهزة الاستقبال بعد خصم تكاليف جمعها ، ثانيها المبلغ الذى يقرره البرلمان للخدمات الاذاعية الخارجية ، ثالثهما عوائد ارباح مطبوعات الهيئة ورابعها عوائد المشروعات الأخرى للهيئة .

ثانياً : الاذاعة المستقلة :

تعود أصول انشاء الاذاعة التجارية المستقلة في بريطانيا الى النقاش الذى دار فى أعقاب الحرب العالمية الثانية حول تقييم اداء هيئة الاذاعة البريطانية حيث دار جدل حاد فى البرلمان والصحافة حول الجوانب الايجابية والسلبية لاحتكار الهيئة للارسال الاذاعي بنوعيه ، وثار التساؤل حول أهمية كسر هذا الاحتكار بانشاء هيئة أخرى تجارية ، وقد أدى هذا النقاش الى تشكيل لجنة عرفت باسم لجنة بيفردج فى يونية ١٩٤٩ لدراسة الموضوع دراسة علمية ، ولكن هذه اللجنة أوصت فى تقريرها الذى قدمته الى البرلمان فى يناير ١٩٥١ باستمرار احتكار هيئة الاذاعة البريطانية للارسال الاذاعي بنوعيه .

ولكن وصول المحافظين الى السلطة عام ١٩٥١ أدى الى ترجيح الاتجاه المطالب بادخال الاذاعة التجارية خاصة وأن راديو لوكسمبرج والمحطات التجارية الأخرى جذبت جماهير بريطانية كبيرة ، وهو ما أسهم فى اقناع الحكومة الجديدة بتغيير اتجاهها حيال ادخال الاذاعة التجارية . وفي مايو ١٩٥٢ أعلنت حكومة المحافظين (تشرشل) أنها بينما تؤيد استمرار احتكار هيئة الاذاعة البريطانية للراديو إلا أنها ستؤيد ادخال بعض التنافس فى مجال التليفزيون . وفى الحوار الذى دار في مجلس اللوردات انتقد اللورد ريث – الذى كان من كبار العاملين فى هيئة الاذاعة البريطانية لمدة ١٦ سنة – بشدة المقترحات والحكومة التى قدمتها ، واتهم اللورد الحكومة بمحاولة تغيير النظام الذى حظى باعجاب العالم ، وعبرعن معارضته لادخال التمويل التجاري للتليفزيون بأى شكل من الاشكال لاعتباره أن ذلك سيعرض القيم المعنوية والثقافية للخطر.

ثم تقدمت الحكومة بمشروع قانون الى مجلس العموم ودافعت عنه بالقول أن ادخال التليفزيون التجارى سيحقق هدفين : أولهما ادخال عنصر التنافس مما يؤدى الى التطوير نحو الأفضل فى الخدمة الاذاعية ، وثانيهما تقليل الالتزامات المالية التى تتحملها الدولة . وقد استمر النقاش حول هذا الموضوع حتى عام ١٩٥٤ حينما وافق البرلمان على مشروع قانون انشاء هيئة أو سلطة التليفزيون المستقل (I.T.A.).فى ٣٠ يوليو من نفس العام . وفى عام ١٩٧٢ صدر قانون يتضمن السماح بادخال الراديو التجاري وتغيير الأسم الى هيئة الاذاعة المستقلة (I.B.A.) والتى هي عبارة عن نظام فيدرالي مكون من مجلس يقوم بتعيين اعضائه الوزير المسئول عن



ونستون تشرشل

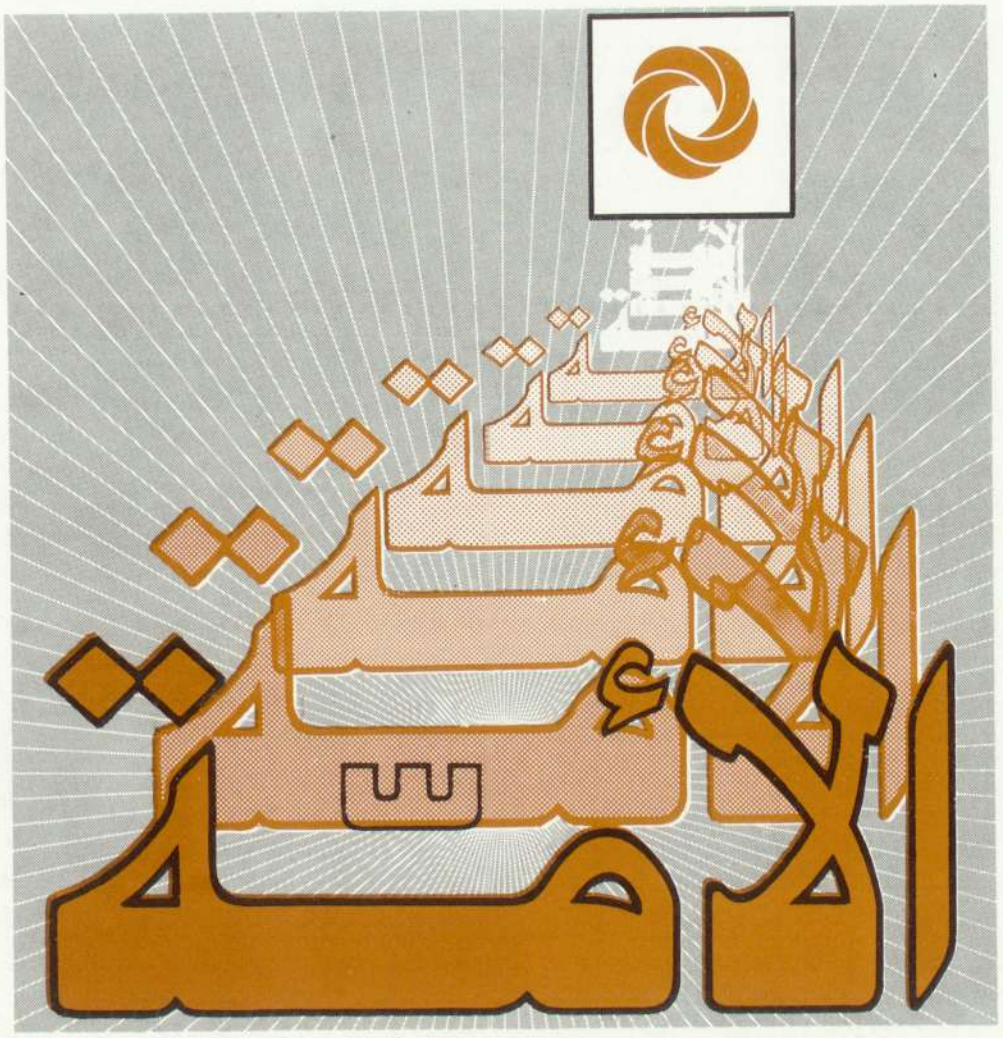
الارسال الاذاعى ، وهذا المجلس لا يقوم بانتاج البرامج ، وانما يشرف على ١٥ شركة مسئولة عن إعداد البرامج منها ٥ شركات قومية وعشر شركات اقليمية .

ويتكون مجلس هيئة الاذاعة المستقلة من رئيس ونائب رئيس و ٨ أعضاء (ثلاثة منهم يمثلون اسكتلندا وويلز وشمال ايرلندا) وكل هؤلاء يقوم بتعيينهم الوزير المسئول عن الارسال الاذاعي (المدير العام للبريد قبل عام ١٩٦٩ ، ووزير البريد والمواصلات من هذا التاريخ حتى عام ١٩٧٤ ثم وزير الداخلية بعد ١٩٧٤) ، ويقوم بمعاونة هذا المجلس مجلس استشاري عام وثلاثة لجان متخصصة فضلا عن اللجان الاستشارية فى اسكتلندا وويلز وشمال ايرلندا .

ويقوم مجلس هيئة الاذاعة المستقلة بممارسة الكنترول على سياسة ومضمون البرامج التى تعدها الشركات ، وهو الذى يبرم العقود مع الشركات التى يقع عليها الاختيار وله الحق فى وقف والغاء هذه العقود فى حالة مخالفة شركات البرامج لسياسة مجلس الهيئة .

وتتشابه هيئة الاذاعة المستقلة مع هيئة الاذاعة البريطانية فى القواعد التى تحكم العلاقة بينها وبين الحكومة والبرلمان . أما من حيث التمويل فان هيئة الاذاعة المستقلة يتم تمويلها عن طريق الشركات المحلية ، وهي تدير الآن شبكة تليفزيونية واحدة وأكثر من ٢٠ محطة راديو محلية .

أحمد فارس عبد المنعم



الأمة Al Ummah

■ مع مطلع القرن الخامس عشر الهجري وفي بداية احتفالات العالم الإسلامي بهذه المناسبة كان صدور مجلة الأمة.

وقد استقبلها المفكرون والقراء في جميع أنحاء العالم بالاهتمام والتقدير لما تميزت به من الأصالة والمعاصرة في معالجة قضايا المسلمين والاهتمام بشؤونهم وذلك بأقلام كبار الكتاب.

■ من رسالة المجلة:

جعل المسلمين أكثر إحساساً بمتغيرات الحياة وضرورة اختصار فترة التخلف.

مواكبة التطور على هدي من تعاليم الإسلام.

حتى يعود المسلمون إلى مكانهم في قيادة البشرية إلى الخير وتوحد كلمتهم، ويرمز لذلك شعار المجلة حيث الهدف اتحاد المسلمين في القارات الخمس.

إسلامية
شهرية
جامعة

تصدر في
غرة كل
شهر
عربي

١٠٠
صفحة
بالألوان

مع
كل
عدد
هدية

■ قراءة إسلامية للمشكلات الحضارية والثقافية المعاصرة

■ تحقيقات علمية واستطلاعية مصورة

■ تلتقي فيها مع كبار المفكرين والكتاب

من فات قديمته تاه

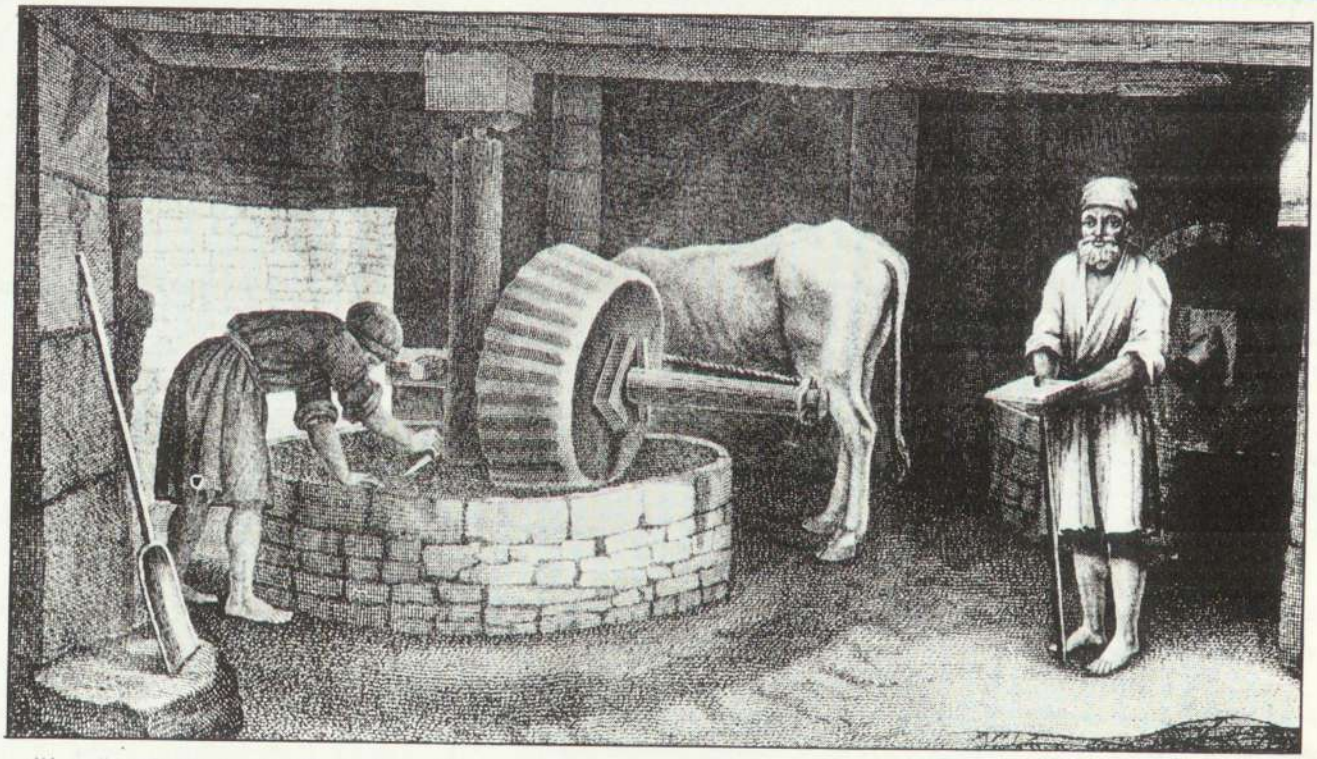
مجلة ثقافية علمية أدبية اجتماعية زراعية

لمنشئها ومحررها صلاح الدين المقريزي

أنظر الى الماضي دون خجل

ماضينا الجليل ليس عورة لنسترها ولا جريمة فننكرها

مقتطفات مما كان يقرأه منذ ١٠٠ عام جدّ أبيك أو جدّ جدك



أثناء عملية عصر الزيوت .. لوحة فنية من القرن الماضي

في هذا العدد:

- المصباح الكهربائي بدلا من الغاز!
- أشهر الحوادث وأعظم الرجال
- التراث للجميع
- الوطن
- الفانوس السحري

العدد السادس - نوفمبر/تشرين ثان ١٨٨١م

باب المقالات

الوطن

«الوطن فى اللغة محل الانسان مطلقاً ، فهو السكن بمعنى : استوطن القوم هذه الأرض وتوطنوها : أى اتخذوها سكناً . وهو عند اهل السياسة مكانك الذى تنسب اليه . ويحفظ حقك فيه ، ويعلم حقه عليك ، وتامن فيه على نفسك وأهلك ومالك . ومن اقوالهم فيه : لا وطن إلا مع الحرية . وقال لابرويز الحكيم الفرنساوى : لا وطن فى حالة الاستبداد ، ولكن هناك مصالح خصوصية ومفاخر ذاتية ومناصب رسمية . وكان حد الوطن عند قدماء الرومانيين المكان الذى فيه للمرء حقوق وواجبات سياسية .

أما السكن الذى لا حق فيه للساكن ، ولا هو أمن فيه على المال والروح فغاية القول فى تعريفه انه ماوى العاجز ، ومستقر من لا يجد الى غيره سبيلا ، فان عظم فلا يسر ، وإن صغر فلا يسوء ، قال لابرويز السابق الذكر : ما الفائدة من ان يكون وطنى كبيراً إن كنت فيه حزيناً حقيراً ، أعيش فى الذل والشقاء خائفاً أسيراً .

على أن النسبة للوطن تصل بينه وبين الساكن صلة منوطة باهداب الشرف الذاتى . فهو يغار عليه ، ويذود عنه كما يذود عن والده الذى ينتمى اليه ، وإن كان سيء الخلق شديداً عليه . ولذلك قيل فى مثل هذا المقام : إن ياء النسبة فى قولنا مصرى وانجليزى وفرنسوى هى من موجبات غيرة المصرى على مصر ، والفرنساوى على فرنسا والانكليزى على



الامام محمد عبده

انجلتره .. فاذا تقرر ذلك مما قلناه ، وجب حب الوطن من كل هذه الوجوه : فهو سكنه الذى ياكل فيه هنيئاً ويشرب مريئاً ويبيت فى الاهل آمناً . وهو مقامه الذى ينسب اليه ولا يجد فى النسبة عاراً ولا يخاف تعييراً . وهو الآن موضع حقوقه وواجباته التى حصلت له بما اوضحناه من دخوله فى دور الحياة السياسية .

ولقد كان بعض الناس يحاولون خلع الشعار الوطنى عن ذوى الحقوق والواجبات فى مصر ، وإلباسهم جميعاً لباس الجهالة والذل ، ولكن أبت الحوادث إلا أن تثبت لنا وجوداً وطنياً ورأياً عمومياً ولو كره المبطلون . على أن منهم فئة لايزالون يؤلمون اسماعنا بما يكررون من سفاسف القول ، من مثل اننا تعودنا احتمال الظلم والحيف ، والفنا الخدمة والرق ، فلن يستقل لنا رأي اجمعين ولن نهتدى سبيل الحرية ، كانما هم لا يعلمون ان اهل الغرب اجمعين تعودوا مثل ذلك الحيف اعصاراً ، وكانوا فى قديم الأيام على ضروب من الرق وانخفاض الجناح ، وان العالم باسره كان فريقين : احرار يظلمون .. وعبيد يطيعون . اولم يكن فى بلاد الفرنسيس من قبل هذا العهد صنوف من الرقيق يشتغلون فى الارض لغيرهم ويباعون كما تباع العجماوات . اولم يقل كاتبهم فولتير فى وسط المائة السابعة : لايزال فى بلادنا ستون الفاً او سبعون الفاً عبيداً للرهبان؟!

فما بال هذه العادة لم تمنع الفرنسيين من الوصول الى ما ادركوه من رفعة المقام وان يروا امثال «شيارس» و «جريفى» و «غامبتا» فى ابناء الذين كانوا من قبل عبداناً ارقاء ؟

ولئن كان فضل هذه المائة ان يكتب فى صدر تاريخها تحرير ارقاء العصر السالف ، فقد رجونا – وحقق الله هذا الرجاء – ان يختم ذلك التاريخ بتحرير الذين كانوا ارقاء فى هذا العصر ، وحسن ذلك ابتداء ، وحسن ذلك ختاماً» .

«محمد عبده»

الوقائع المصرية – ٢٨ نوفمبر ١٨٨١

آفات الجراد

الجراد عدو العباد وآفة كل نبتة خضراء فى الأرض ولكن سبحان من لا يبقى فى الأرض عاتياً فانه سلط حتى على الجراد آفة تلتهم بيضه كما يلتهم نبات الأرض . إذا جاءنا الجراد طلبنا له مجيء السمرمر فاذا لم يجيء السمرمر قابلناه بالجد وافنيناه بالمجاهدة . واما الآن فاذا شددنا الهمة ابدناه بقليل من التعب فان الاخبار التى التقطناها من نواحي الأناضول تبشرنا بظهور دودة هناك تقتات ببيض الجراد وقد قللت البيض الذى غرزه الجراد هناك فى العام الماضى تقليلا عظيماً حتى زال الخوف منه . والمظنون أن انقراض الجراد من تلك البلاد يكون بفتك هذه الدودة .

والظاهر ان هذه الدودة تستحيل الى فراش كما يستحيل دود القز . ويظن قنصل الامريكان في الدردنيل أن هذا الفراش يتبع الجراد ويبيض في جسده فاذا باضت الجرادة خرج بيض الفراش مع بيضها وفقس دوداً يلتهم بيض الجراد . ولا يكون فى بيض الجراد الواحدةإلا دودة واحدة .

وقد وجد القنصل المذكور ان هذه الدودة كثيرةالوجود فى بر الأناضول ولولاها لاشتد الجوع هناك هذه السنة . ولما شعر هو وغيره من الأمريكانيين الذين هناك بما لها من النفع للفلاح وغيره بعثوا الى دولتهم منها ومن جراد الأناضول حتى إذا كانت تصلح لاهلاك جرادهم كما تهلك جراد الأناضول يربيها اهل اميركا لانها سريعة التوالد فتقى مزروعاتهم ومغروساتهم من شر الجراد .

ولما كان الجراد يجرد مزروعاتنا ومغروساتنا فلا يبقى منها ولا يذر وكان جرادنا من نوع جراد الأناضول فعلى اصحاب الهمم ان يوجهوا العناية الى استخدام هذه الدودة فانا اشد اهل الأرض احتياجاً اليها .



التراث للجميع

القاسم المشترك الاعظم بين الدوريات الثقافية العربية التى صدرت فى القرن الماضى هو ذلك الحرص على ان تكون المجلة لكل قارىء من قرائها مكتبة خاصة رفيعة المستوى رخيصة السعر ..

ومنذ اصدر العلامة «بطرس البستانى» مجلة «الجنان» فى عام ١٨٧٠ لتكون اول دورية ثقافية عربية ، وهى تقدم لقارئها مع كل عدد ملزمة منفصلة من كتب التراث ، فاذا اكتمل العام ، وجد القارىء بين يديه مجلداً للمجلة ذاتها ، وكتاباً او اكثر من كتب التراث النادرة كرحلة ابن بطوطة او رحلة ابن جبير او موسوعة القلقشندى ، او حيوانات الجاحظ والدميرى !

ولم يقتصر هذا التقليد الحميد على الدوريات الثقافية ، فقد سبقتها به وواكبتها فى صنعه بعض الصحف ذات الطابع الرسمى كالوقائع المصرية ، ذات الطابع الاخبارى مثل «وادى النيل» ، ولم تكتف الدوريات الثقافية بنشر كتب التراث ـ وكان بعضها ينشر لأول مرة ـ فقدمت ايضا كتبا معاصرة ، تشبع الاحتياجات العقلية والمعرفية لقرائها ، عبر السنوات الثمانى التى صدرت خلالها مجلة «روضة المدارس» ـ التى انشاها العلامة «رفاعة رافع الطهطاوى» ـ قدمت لقرائها بهذه الطريقة اكثر من عشرين كتاباً فى الادب واللغة والمسرح والتاريخ والطب والكيمياء والتراجم والتربية . منها كتب هامة للطهطاوى وعلي مبارك وعثمان جلال .

بالطريقة ذاتها قدم «الهلال» معظم اعمال محرره «جورجى زيدان» وعلى راسها سلسلته الشهيرة عن تاريخ الاسلام ، التى سعت الى قراء فى الهند وامريكا الجنوبية وافغانستان ، لأنها ببساطة كانت ملزمة ملحقة باعداد الهلال ذاتها . وصدرت مجلات تخصصت فى نشر الكتب بالتقسيط المريح للناشر الذى يقدم الكتاب على اجزاء ، وللقارىء الذى يدفع الثمن على اقساط ، وللمجلد الذى يروج عمله ، ومنها مجلة «سلسلة الروايات» وكانت تقدم اسبوعياً لقرائها اربع ملازم من اربع روايات مختلفة مترجمة وهى طريقة حفظت مخطوطات نادرة كانت مهددة بالضياع ، ووضعت كتب التراث بين يدى جمهرة المثقفين تغريهم بوجودها بين ايديهم بلا مجهود وبلا ثمن ، بقراءتها والاحتفاظ بها ..

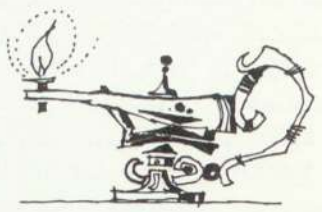
ذلك تقليد طيب ادركته الحرب الكونية الاولى بازمة الورق ، فذهبت به ، وادركه الزمن الذى تلا الحرب بالمجلات المصورة التى نقلت القارىء الى صحافة يقل فيها الكلام الجاد وتكثر الرطانة فقضت عليه ، بل إن معظم المحاولات التى بذلت لاصدار كتب الموسوعات والتراث على شكل ملازم توقفت او هى مهددة بالتوقف ، فمشروع اعادة طبع ترجمة دائرة المعارف الاسلامية قد توقف بعد احد عشر مجلداً ، وتوقفت سلسلة ممتازة اصدرتها هيئة الكتاب بمصر بعنوان «التراث للجميع» ، بعد ان قدمت عدداً هاماً من الكتب .

لقد بات واضحاً ان قدرتنا على المثابرة فى مشروعات كهذه ، نفذت او كادت ، وهى ظاهرة خطيرة ، فتلك واحدة من سبل كثيرة ينبغى ان نلجأ اليها لاجتذاب القارىء العربى الى الصفحات المشرقة فى تراثه ، بوضعه بين يديه وتقديمه اليه ، وتخليق الاهتمام به والسعى اليه لدى الجيل القائم .. والقادم !

اللهم قد بلغت !

«صلاح الدين المقريزى»

الفانوس السحري



فى ليلة الأربعاء الماضي ذهب الناس افواجاً الى قاعة استوراري للتفرج على التشخيص بالفانوس السحري فلما تمت الساعة الثالثة (عربي) لم يبق فى القاعة موضع خلي فخطب فى القوم حضرة اسكندر افندى دباك خطبة ضمنها المقصود بعبارات بسيطة لا تكلف فيها ثم طلب اطفاء النور فأطفىء وبعد ذلك بين كيفية دوران الأرض وسير الكواكب بما لا يمكن انكاره فكنت ترى الشمس فى الليل والمشتري وانت على الأرض ثم وضح اسباب الكسوف والخسوف وما يتبع ذلك من ظهور ذوات الأذناب وبعده انتقل الى الحيوان وطبائعة حتى وصل الى القرد فاستطرد حكاية انسان اساء عشرة اهله وقرد احسن السيرة فقال وهو مما يحسن فى النفوس وقعا

قولوا لمن داسوا النساء وغادروا
اجسام هاتيك الظباء ضعافا
لا يفخرن بصورة رجليه
فالقرد افضل منهم اضعافا

ثم ختم الحفلة بعد اربع ساعات بخطاب ضمنه مستقبل الكرة الأرضية بما يحقق الآمال ويلزم كل انسان البحث عما يقدمه وعلى ذلك تمت الحفلة فانصرف الجميع وهم شاكرون .

الحكومة ستوظفه

صدر قرار مجلس النظار بالغاء جريدة الحجاز لغواً مؤبداً ، وقال بيان المجلس ان صاحب الحجاز «كان يطعن فى الدول الأجنبية طعناً غير ادبى ، ويسقط عند الكلام فى شانها بما لا يليق ، وكثيراً ما طلبناه ونبهنا عليه وشددنا فى الأمر ، وحذرناه من الرجوع الى مثل ذلك ، فلم يرتدع ولم ينزجر .

ثم خالف المنشور العمومى الذى بعث اليه والى جميع اصحاب الجرائد العربية الى ان اتى فى عدده الأخير بازيد مما حذرناه منه مراراً . فمن اجل هذا صدر قرار مجلس النظار بالغاء جريدته لغواً مؤبداً» .

ولكن سرنا ان الحكومة ستوظفه فى نظارة المعارف .

(الوطن ـ ١٢ نوفمبر ١٨٨١)

إعلان
من إدارة الكوكب المصري

نشرت ادارة الكوكب المصرى اعلانا مفاده انها شرعت فى طبع حاشية العلامة الشيخ عبد الله الشرقاوى على شرح التحرير وبهامشها تقرير العلامة الذهبي التحرير وكذا طبع قاموس اللغة العربية للفيروزبادي ومقامات البلاغة للعلامة ابي القاسم الحريري وفتاوي الحامدية للعلامة ابن عابدين خاتمة محققي الحنفية . وقد جعلت لمبيع تلك الكتب ثلاثة مواعيد . الأول من خمسة عشر شعبان الى غاية شوال سنة ١٢٩٨ . والثاني من ابتداء ذى القعدة من هذا العام الى نهايته . والثالث من بعد ذلك الى ماشاء الله . ولمن يدفع ثمن عشر نسخ نقداً من الصحافيين والكتبة فى كل مئة قرش خمسة قروش ودفع الثمن يكون إما بالمطبعة الكاستلية او بمحل نجله نسيم كاستلي على يسار الذاهب الى الامام الحسين .

لغز

بقلم لسان الإنشاء وترجمان الأدب
الشيخ حفني ناصف
بمدرسة المعلمين المصرية

ماذا يقول ذوو الروية والنقد . واهل الحل والعقد . فى اسم ثلاثى الحروف . شكله معروف من حسبه بأربعين . كان من الصادقين . وكم من فئة . تحسبه ستمائة . وهو فى حساب العرب . أعلى من الذهب . كما انه الى الفرش . اقرب منه الى العرش . تهتف بذكره الأطفال . وتستميت فى طلبه الرجال . وضيء الفره . متساوى الطره . إلا انه جامد الطبع . مختلف الوضع . ان عاملته باللين فسد سيره . وبدون الضرب لا يستقيم أمره . يدركه الغربى فى الشرق . ويطير ثلثاه فى البرق . ومن رام تعريفه ، واستطلاع طلعته الشريفة . فانه علم يصرفه النحوى والشاعر . مع ان وزن الفعل فيه ظاهر . وهو لا يجهله احد . ولا يخلو منه بلد . بل يوجد فى أغلب الدور . وينتزع من القشور . ينفع لبكاء الصبيان . وتعاطيه مفرج للاحزان . من تناوله فى الصباح والمساء . هابته الأعداء وتناوله فى رمضان . غير مفطر للانسان.يحبس بلا ذنب . وكم يعنف بالضرب . يرسل عليه شواظ من نار ونحاس . تحرسه انت وهو لك من الحراس . اذا سوبق سبق . ومتى اطلق انطلق . وها انا قد صرحت به أو كدت . وبالغت فى بيانه وزدت . فتكرموا بالاجابة يا اخوان الاصابة .

(حفنى ناصف)

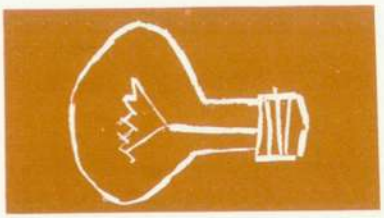
باب التقريظ والانتقاد
شكر القبول

طبعنا من العدد الأول فوق الثلاثة آلاف ولم يرتجع الينا إلا خمسة أعداد فنشكر للمتفضلين بالقبول عنايتهم بصحبة هذا الخادم الضعيف وقد طلب منا العدد الأول جملة ممن لم يصلهم وسنجيب الطلب باعادة طبعه عندما يقف الطلب ونعلم المقدار اللازم لأهل الأدب أيدهم الله .

رواية الكونت مونتغوميري

رواية فريدة فى بابها قل أن ينسج ناسج على منوالها عربها من الفرنسوية الكاتب البليغ المتفنن حضرة قيصر افندى زينيه فنقلتها جريدة الاهرام الوضاء شذرات متتابعة ثم اعتنى حضرة صاحب الجريدة المذكورة بجمعها بعد ذاك التفريق فاكتست بذلك رونقاً جديداً وقد أهدانا منها نسخة فكررنا قراءتها علماً بأن المكرر أحلى وعلى هذا نحث احباء الآداب على اقتنائها ومطالعتها ترويحاً للاذهان وتنبيهاً للأفكار .

باب الأخبار العلمية
المصباح الكهربائي



ورد فى المفيد

قالت صحيفة ريبوبليك ما مفاده من المحقق ان النور الكهربائي سيستعمل فى الاستضاءة بدل الغاز الجارى التنوير به فى الشوارع وفى الظن انه لا يمكن للانسان أن يستغنى به عن الغاز كلية لأن الضوء الكهربائى يستخرج من الجواهر القابلة للاحتراق واستخراجه من احتراق الغاز أوفر من استخراجه من غيره وإنما نشا تاخير كثرة اجراء تجاربه لما يلزم لذلك من المصاريف الكثيرة لأنه يستلزم احراق القدر الوافر من الجواهر القابلة لذلك .

واستخراج الكهرباء المذكور بواسطة المسمى جهاز جرام الذى تحركه آلة بخارية فبواسطة تحريك هذا الجهاز تستخرج الروح الكهربائية الكامنة فى الفحم الحجرى ولكن من الاجتهاد وتتابع التجارب ظهرت لاستخراجه قاعدة تقريبية وذلك انه اذا وجد جهاز جيد واف بالمرام جيد المتانة متقن التركيب لا يحتاج إلا لحرارة قليلة غير مستلزمة كثرة المصاريف بما ان قوة الحصان فى الآلات الجسيمة لا تحرق فى الساعة الواحدة إلا كيلو جراماً من الفحم ولاشك أن هذا النور سيكون قريب الاستعمال فى استضاءة المدن العظيمة باوربا لكن من الملاحظات التى يجب التنبه لها انه اذا أعدت آلة عظيمة للاستضاءة كالمزمع استعماله فى ربع مدينة لو ندرة يخشى من انقلاب النور ظلاماً دفعة واحدة متى حصل فى جهاز الآلة المذكورة أدنى حادث فانه ينشا عنه تعطيل فى الكهرباء فينقطع النور .

فلذا نقول ان الأحسن استبدال هذه الجهازات الجسيمة والآلات العظيمة التى هم شارعون فى أعمالها بغيرها صغيرة جداً يساعد بعضها بعضاً فى نشر الضوء بحيث انه اذا تعطل ضوء هذا الجهاز كان غيره موجوداً فلا يترتب على تعطيل هذه الآلة الصغيرة ما يترتب على تعطيل تلك الآلة الكبيرة .

وقد أراد المسيو ايرتون أن يعلم الفرق بين آلة الاستضاءة بالكهرباء التى يديرها البخار وبين آلة النور الكهربائى التى يديرها الغاز ومكث يشغلهما مدة ثلاثمائة يوم بحيث أن أوقات الشغل فى كل يوم كانت لا تزيد على عشر ساعات فمجموع مدة شغل الواحدة فى الثلاثمائة يوم ثلاثة آلاف ساعة وقد بلغ ما انفقه على آلة البخار ٩ آلاف وخمسمائة فرنك فى المدة المذكورة وما انفقه على آلة الغاز أحد عشر الف فرنك ومائة فكانت زيادة نفقة آلة الغاز على آلة البخار ألفا وستمائة فرنك .

الشاعر المفلق
السيد صالح بك مجدي



غمنا جداً وفاة الشاعر المفلق السيد صالح بك مجدى .
وسنذكر ترجمته .

الوطن ١٢ توفمبر ١٨٨١

يابني الأوطان هيا خيموا فوق الثريا
واهجروا النوم ملياً واطعنوا الضد الأبيا
واجدعوا انف المانع واستعدوا للكفاح
فى مساها والصباح واطلقوا خيل الفلاح
فى ميادين النجاح وادفعوها فى المعامع .

السيد صالح مجدى

ترجمة الأستاذ وطسن

نعت الينا الجرائد الاميركانية وفاة الفلكي الشهير الاستاذ جمس وطسن استاذ الفلك فى المدرسة الدولية الجامعة بوسكنسن ومدير مرصد وشنطون .

ولد هذا الرجل العظيم فى كندا سنة ١٨٢٨ وكان أبواه أميركانيين فرجعا به الى الولايات المتحدة وهو صغير السن ووضعاه فى المدرسة الدولية الجامعة فى مشيغان وهو فى الخامسة عشرة من عمره فنال رتبة بكالوريوس فى التاسعة عشرة وصار استاذاً للفلك ومدرساً للرياضيات فى تلك المدرسة فى الحادية والعشرين . واكتشف وهو فيها ثلاثا وعشرين نجيمة من السيارات الصغار . ورجح وجود السيار فلكان بل اثبته . ومما يدل على المنزلة التى كانت لهذا الرجل بين علماء الأرض المراتب والالقاب التى وجهت اليه جزاء لاكتشافاته ومبتكراته العلمية فانه جعل عضواً فى مجمع العلوم سنة ١٨٦٧ . ومنحته مدرسة ليبسك الجامعة لقب دكتور فى الفلسفة . واجازه مجمع العلوم الفرنساوي بنيشان الذهب وجعل عضوا فى مجمع العلوم الملكي الايطالي كل ذلك سنة ١٨٧٠ . ومنحته مدرسة يل الكلية لقب دكتور فى الفلسفة سنة ١٨٧١ ووجه اليه من الدولة العلية والدولة المصرية نيشان المجيدية العالى الشان سنة ١٨٧٥ . وعين حكماً على الجوائز فى معرض سنة ١٨٧٦. وجعل عضواً فى مجمع الفلسفة الاميركاني سنة ١٨٧٧ . وكثيراً ما كانت الحكومة الأميركانية تسلم اليه إدارة الأعمال العظيمة مما يتعلق بعلم الهيئة . وقد أرسلته الى باكين فى الصين لمراقبة عبور الزهرة على وجه الشمس الذى حدث سنة ١٨٧٤ فمر على سوريا وزار مرصد المدرسة الكلية فاخلف لنا من الأسف أشده ، ومات بالنزلة فى ٢٣ ت سنة ١٨٨٠ وهو يبنى مرصداً بديعاً لرصد الشمس .

الإمام محمد عبده
١٨٤٥ - ١٩٠٥

● المع المجددين الاسلاميين فى القرن الثالث عشر الهجرى وأكثرهم شجاعة .

● ولد فى قرية مصرية ودرس فى الأزهر ، وجمع بين الاهتمام بالعلوم الدينية والعلوم الطبيعية والتاريخية .

● تعرف بالمصلح الاسلامي الكبير جمال الدين الافغاني عام ١٨٧٢ وتوثقت صلته به ، فتاثر بافكاره التجديدية ، ووجهه الى الكتابة فى الصحف .

● تولى رئاسة تحرير مجلة « الوقائع المصرية » عام ١٨٨٠ ، فحولها من نشرة رسمية الى مجلة حية تحفل بالمقالات الفكرية والادبية .

● اشترك فى الثورة العرابية ، ونفي على اثر فشلها الى بيروت ، ثم عاد ليعمل بالقضاء ، وأصبح فى الحقبة الأخيرة من حياته مفتياً للديار المصرية .

● جمع الدكتور محمد عمارة آثاره فى ستة مجلدات نشرت فى السبعينيات .

الوقائع المصرية

● اقدم صحيفة عربية حية . اصدرها محمد على الكبير لتكون اللسان الرسمي للحكومة المصرية تنشر على صفحاتها قراراتها وقوانينها .

● صدرت فى البداية فى قسمين احدهما باللغة العربية والآخر باللغة التركية ، ثم ما لبث القسم التركي أن انكمش حتى اختفى .

● اهتمت فى فترات متفاوتة بنشر الاخبار والمقالات والفصول المترجمة ، فضلا عن قرارات الحكومة وتعليماتها .

● حددت شخصية رئيس تحريرها طابعها ، فحين يكون أديباً أو كاتباً يطغى القسم الأدبي على الجزء المخصص للقوانين ، وحين يكون موظفاً أو إدارياً تضمحل صفحات الأدب .

● من بين من تولوا رئاسة تحريرها الطهطاوي والشدياق ومحمد عبده وعبد الكريم سلمان وسعد زغلول وابراهيم الهلباوي!

● فى أعقاب الوحدة المصرية السورية ، صدر قرار بتخصيصها لنشر القرارات الوزارية المحلية ، أما القوانين فقد استحدثت لها مجلة جديدة باسم « الجريدة الرسمية » .

لباب السؤال والاقتراح

جناب الخ ... ذكرتم فى مقالة حاسة السمع فى راس الصفحة ١٩٨ من السنة الماضية «إذا علقت ساعتان دقاقتان على حائط وكان رقاصاهما متساويين طولا وحرك رقاص الواحدة ولم يحرك رقاص الثانية لا يلبث طويلا حتى يشرع يتحرك من نفسه مجاراة لرقاص الأولى » فنرجوكم أن تعيدوا النظر فى هذه المسئلة لأنها غريبة جداً ولم نسمع بها من قبل ولا شاهدناها قط مع اننا رأينا ساعات كثيرة معلقة بعضها متحرك وبعضها واقف والواقف لا يتحرك من تلقاء نفسه .

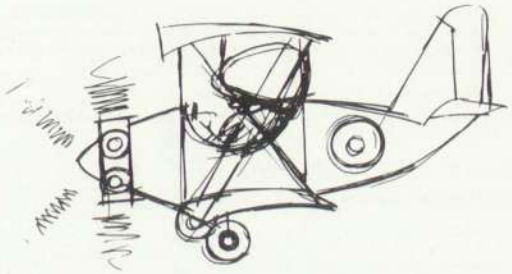
ساعاتي

المقتطف : اننا اعتمدنا فى ما اثبتناه على عالم من أكبر علماء هذا الزمان فى فن الطبيعة وهو الاستاذ تندل الذائع الصيت ولا نرتاب فى صحته ذلك فضلا عن وضوح تعليله . أما قولكم انكم لم تشاهدوا ذلك مع انكم رأيتم ساعات كثيرة فالظاهر أن عدم مشاهدتكم له كان لتفاوت رقاصات تلك الساعات طولا .

ضحكات الشهر

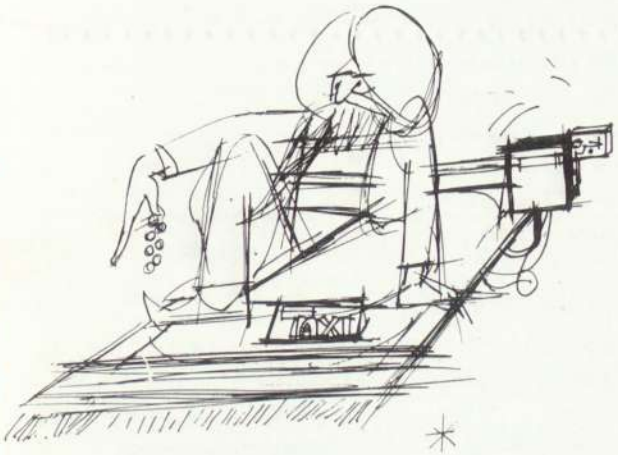
صلاح الليثي





بساط الريح

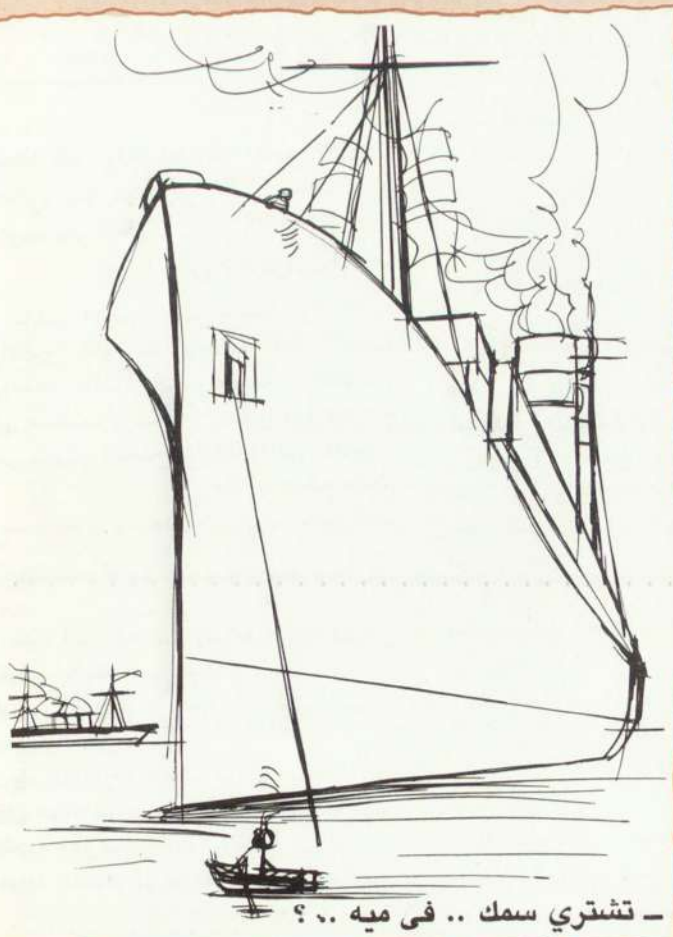
ـ بعت البساط .. وأصبحت على الحديدة .. !!



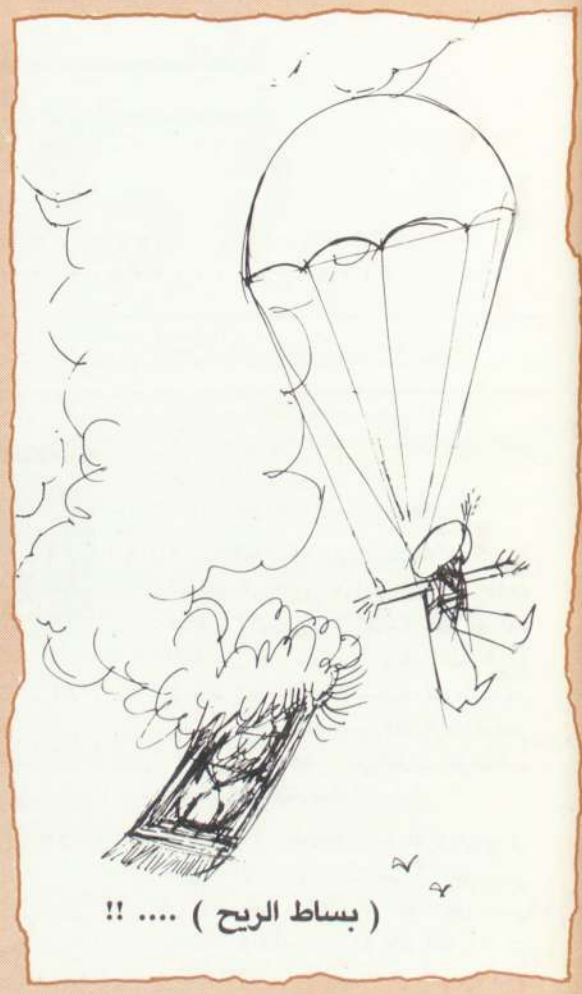
(بساط الريح) .... !!



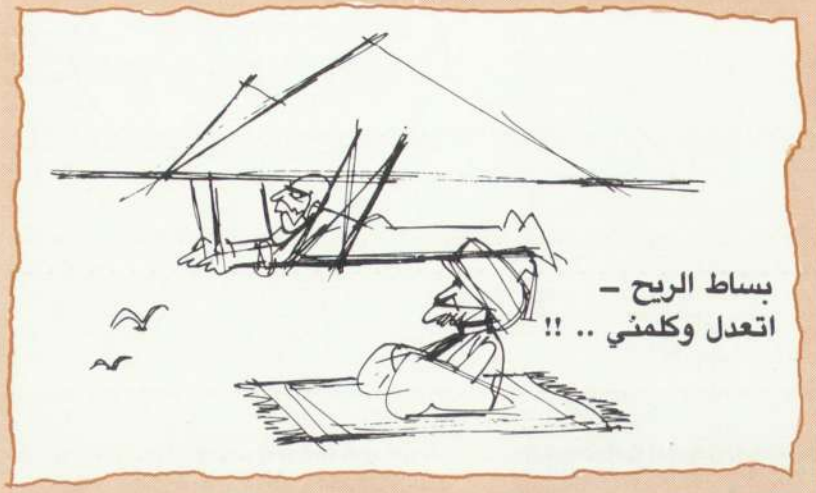
أشتريت ناطحة سحاب .. أفريقيـة ... !!



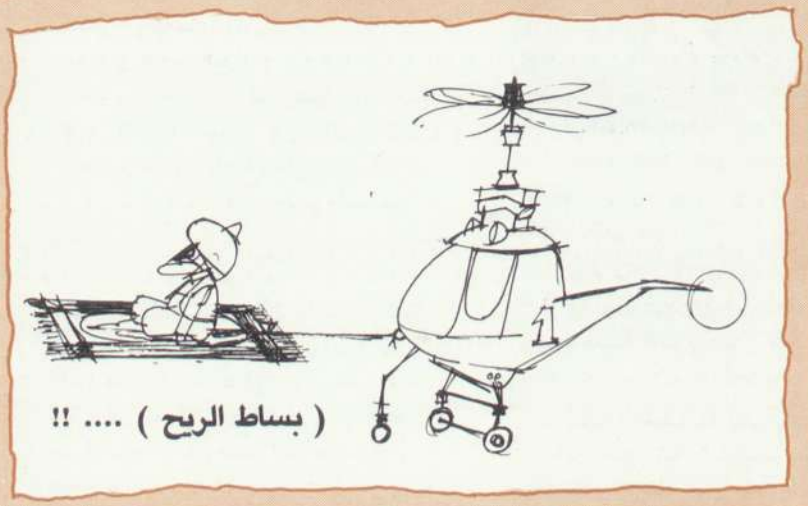
ـ تشتري سمك .. فى ميه .. ؟



(بساط الريح) .... !!



بساط الريح ـ
اتعدل وكلمني .. !!



(بساط الريح) .... !!



بساط الريـح



ـ .. اللـه يرحمهـم .. خوفـو وخفـرع ومنقرع وسنفرو ومينا وجميع أفراد الأسرة الرابعة والخامسة .. وجميع الأسرات أجمعين .. !!

دوحة القراء

مسابقة الدوحة

مَن ؟

استولى على حكم مصر خيانة وغدراً وكان انموذجاً للبخل والخبث ، هجاه الشعراء وخاصة المتنبى .

اسمه من خمسة احرف :

٢ ـ ٤ ـ ٥ البلد التى هاجر منها ابو الانبياء عليه وعليهم السلام الى ارض كنعان بفلسطين ، لاجئا بدينه وعقيدته الى قدسها.

١ ـ ٣ راحة اليد ومجمع اصابعها .

أين ؟

بلدة جبلية ، اجتمع بها زعماء المسلمين اخيراً لمحاولة راب صدوعهم ، كانت هذه البلدة فى صدر الدعوة موطن عناء ورفض وحرب لسيد الخلق صلى الله عليه وسلم .

اسمها من ستة احرف :

٣ ـ ١ ـ ٦ دار حول البيت العتيق .

٤ ـ ٢ ـ ٥ حرف جر .

ما ؟

أعدى أعداء الانسانية فى كل زمان ومكان يتخذ الوانا واشكالا متعددة ، ولكنه فى حقيقته شيء واحد ، لفظه من خمسة احرف :

٣ ـ ٥ ـ ٢ صفة خطب عظيم

١ ـ ٤ ـ ٢ عشيرة وقربى .

الإجابة الصحيحة



١ ـ السم القاتل الذى ينسب الى جزيرة سوقطرة ببحر العرب ، ويستخرج من ثمرة الجوز المقيء هو :

الزرنيخ ـ الاستركنين ـ الكلور

٢ ـ اول دينار عربى اسلامي ذهبي ضرب فى عهد الخليفة الاموى عبد الملك بن مروان سنة : ٥٧ ـ ٧٧ ـ ٩٧ هجرية .

٣ ـ النجمة السداسية التى يتخذها محتلو فلسطين اليوم شعاراً لرايتهم تشبه الدرع التى كان يلبسها نبي الله عليهم جميعا السلام :

صالح ـ موسي ـ داود

٤ ـ هذا اوان الشد فاشتدى زيم
قد لفها الليل بسواق حطم

وزن هذا الشعر العربى يسمي : المنسرح ـ الرجز ـ المتقارب ـ الوافر ـ الرمل ـ الطويل

٥ ـ يتكون اللون الاخضر من امتزاج اللون الاصفر مع اللون :

الازرق ـ الاحمر ـ النيلي

٦ ـ « يستخرج العنبر من شجرة معمرة تنمو فى ادغال الامازون »

هل هذه العبارة صحيحة ؟

٧ ـ فرقة ضالة ظهرت فى شرق الجزيرة العربية فى القرن الرابع الهجرى ، خلعت الحجر الأسود من الكعبة المشرفة لترد المسلمين عن دينهم ، ولكن الله هزمهم ودمرهم كما يدمر عادة سبحانه كل من يعادى الاسلام ويحارب المسلمين طال الزمن ام قصر

تلك الفرقة هم : المزدكية ـ القرامطة ـ النصيرية ـ الخرمية

٨ ـ الثورة المنعوتة باسم ثورة الزنج فى التاريخ الاسلامي قامت على يد افاق يدعى على بن محمد بن عبد الرحيم ، بين البصرة وواسط ، واستمرت اربعة عشر عاما بدات من سنة : ١٥٥ ـ ٢٥٥ ـ ٣٥٥ لهجرة خاتم المرسلين .

٩ ـ مؤلف معجم لسان العرب هو :

ابن منظور المصرى ـ ابن الحافظ العراقى ـ ابن حزم الاندلسي .

١٠ـ المادة التى توجد فى لحاء الاشجار ، وتستخدم فى دباغة الجلود تسمى :

التانين ـ التولوين ـ الثيامين .

حل مسابقة العدد ٦٩

من : مناحم بيجن .
أين : دير ياسين
ما : العدوان
١ ـ لا لأن الزرافة تلد
٢ ـ أبو العلاء المعرى ـ اللزوميات
٣ ـ النمسا
٤ ـ أم القرى
٥ ـ ١٨٠٥
٦ ـ بغداد
٧ ـ الظليم
٨ ـ الكربون
٩ ـ عند خط الاستواء
١٠ ـ جمال الدين بن الجوزى

أسماء الفائزين

فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارئة :
بثينة وليد قنباز ـ سوريا حماه

فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة نصف سنة القاريء :
عبد الله راشد محمد الفيان ـ ص.ب ٩٠٨٤ ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية .

فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارئة :
فوزية عبد الجليل ـ مساكن حي الكويت رقم ١١٦ ـ بورسعيد ـ مصر .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ زهية محمود القطامي ـ ص.ب ٨٥٤٥ عمان الاردن

٢ ـ كمال الدين مبارك ـ جامعة أم درمان ص.ب ١٢٢١ السودان .

٣ ـ عبد الهادى منير الثقفى ـ ص.ب ٢٨٧١ ـ أبو ظبي ـ الامارات العربية المتحدة .

٤ ـ مصدق محمد ـ حي المحطة برج بوغربج ولاية سطيف ـ الجزائـر .

٥ ـ عبد الله يوسف عبد الله ـ ص . ب ٥٤٤٩ الدوحـــة / قطـــر .

٦ ـ مـرح مروان مراد ـ الفروانية ص.ب ١٨١٦٥ ـ الكويـــت .

٧ ـ توفيق بوسمه ـ ١٣ منهج رومه ـ تونس

٨ ـ نصرة أنور على مثالي ـ مدرسة نصر الاعدادية بورسعيد ـ مصر .

٩ ـ هويدة محمد اسماعيل ـ شندى التوراب ـ السـودان .

١٠ـ محمد ابراهيم الديسطى ـ كلية الطب ـ المنصـورة ـ مصـر .

١١ـ أيمن كمال دودين ـ ص.ب ٥٥٧ ـ الطائف السعوديـــة .

١٢ـ حسان عارف الهيبان ـ ص.ب ٧٦٣٠ ابوظبي ـ الامارات العربية المتحدة .

قـــالوا عـن الـــزواج

● قال سقراط لأحد تلاميذه « يجب أن تتزوج يابني ، فانك إن ظفرت بزوجة طيبة عاقلة صرت سعيداً ..

وإن أخذت زوجة طائشة مناكفة صرت فيلسوفاً »

● قال احد الشبان : الزوجة التى اريد أن اقترن بها هى التى تتوافر فيها ثلاثة شروط : الجمال والمال والغباء ..

فساله احدهم : ولم هذه الشروط الثلاثة ؟

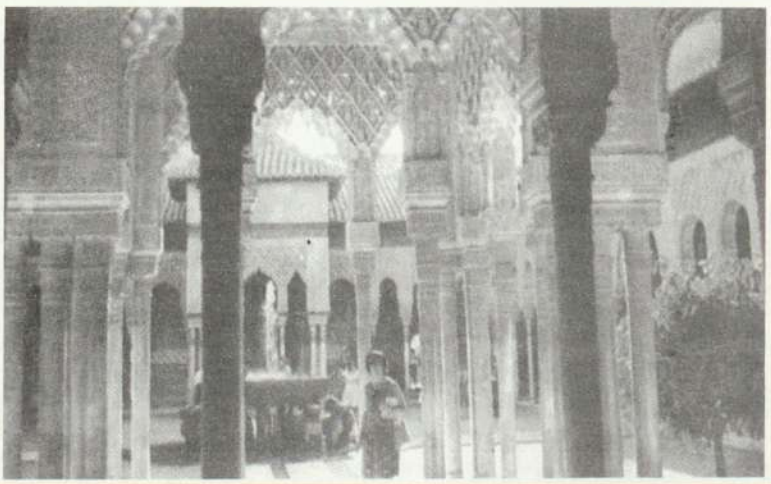
فقال : الأمر بسيط .. يجب أن تكون جميلة وغنية لأقبل أنا أن اتزوجها ، ويجب أن تكون غبية لتقبل هي أن تتزوجني .

● فى فترة الخطبة يتكلم الشاب وتصغى الفتاة .

عند الزواج تتكلم العروس ويصغى العريس أما بعد ذلك فيتكلم الزوج والزوجة ويصغى الجيران .

محمد حسن الحصرى
طنطا ـ مصـر

حـــاول أن تعـــرف •••



● ساحة الأسود بقصر الحمراء بغرناطة ، احد امجاد المسلمين الأوائل فى ارض الأندلس . تتوسط الساحة نافورة الأسود التى يحمل حوضها اثنا عشر اسداً من الرخام الرمادى ، ويحيط بالساحة عروش محمولة على مائة واربعة وعشرين عموداً من الرخام الأبيض .

في أي عام بدىء فى بناء هذه الساحة ؟



● روائي امريكي تطوع فى الحرب العالمية الأولى كسائق سيارة اسعاف حيث جرح فعمل كمراسل حربي لبعض الصحف فافاده هذا العمل فى رواياته .

حصل على جائزة نوبل فى الأدب عام ١٩٥٤ عن قصته «العجوز والبحر» .

من هو هذا الروائى الكبير ؟ وفى اي عام توفى . وكيف ؟

حـل مسابقـة حـاول أن تعـرف "العـدد ٦٩"





الصورة الأولى : بـدأت الدراسـة فى جامعـــة كمبـــردج عـــام ١٢٢٦م

الصورة الثانية : مدينة جبيل فى جنوب لبنان وكان اسمهـا قديماً « بايبلوس » واليها تنسب كلمة « بايبل » وهى التوراه

الفائـز : عبد اللـه أحمد على عبد اللـه ـ ص . ب ٣٦٣٥ الدوحـة قطـــر .

قرأت

الإنسان والدنيا



كتب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز الى الحسن البصرى يطلب منه الموعظة فكتب إليه الحسن رسالة مطولة جاء فيها :

«أعلم ياأمير المؤمنين أن الدنيا دار ظعن ، وليست بدار إقامة ، وانما اهبط اليها آدم من الجنة عقوبة ، وقد يحسب من لايدرى ما ثواب الله انها ثواب ، ومن لم يدر ما عقاب الله انها عقاب .

ولها فى كل حين صرعة ، وليست صرعة كصرعة ، هى تهين من اكرمها ، وتذل من اعزها ، وتصرع من آثرها ، ولها فى كل حين قتلى ، فهى كالسم ياكله من لايعرفه ، وفيه حتفه ، فالزاد منها تركها ، والغنى منها فقرها .

فكن فيها ياامير المؤمنين كالمداوى جرحه ، يصبر على شدة الدواء مخافة طول البلاء ، يحتمى قليلا مخافة ما يكره طويلا ، فان أهل الفضائل كان منطقهم فيها بالصواب ومشيهم فيها بالتواضع ، مطعمهم الطيب من الرزق ، مغمضى ابصارهم عن المحارم فخوفهم في البر كخوفهم في البحر ، ودعاؤهم في السراء كدعائهم في الضراء» .

خالد صلاح خليفة
الدوحة ـ قطر

كلمات لها معنى

● دولة الظلم ساعة ودولة الحق الى يوم الساعة .
« سعد زغلول »

● النميمة لا تقرب مودة إلا افسدتها ولا عداوة إلا جددتها ولا جماعة إلا بددتها ..
« المامون »

● ثلاثة راجعات الى اهلها : المكر ، والنكث ، والبغى .
« على بن ابي طالب »

● قلب المراة اعظم مصدر للحنان والعطف إذا احبت ، واعظم مكمن للضغينة إذا كرهت .
« لوثر »

● قال رجل لأبي الدرداء : مالنا نكره الموت ؟ فقال : لانكم خربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم ان تنتقلوا من العمران الى الخراب .

● قال ابن عباس : لجليسي علي ثلاث :
ـ أن ارميه بطرفى إذا اقبل .
ـ وان أوسع له إذا جلس.
ـ وان اصغى إليه إذا حدث .

مجدى محمد فتحي
القاهرة

سمعت

بين جعفر والفضل

كان جعفر بن يحيي البرمكي واخوه الفضل يلعبان يوما وهما صبيان ، فدخل ابوهما الدار فقال لهما : اتلعبان بالشطرنج . فقال جعفر : نعم . قال : فهل لاعبت اخاك بها ؟ فقال جعفر لا . فقال ابوه : فالعبا بها بين يدى لأرى لمن الغلب .

وجيء بالشطرنج وضعت بينهما فاقبل عليها جعفر واعرض عنها الفضل رغم انه كان ابصر بها من اخيه ، فساله ابوه : مالك لاتلاعب اخاك . فقال : لااحب ذلك ، فقال جعفر لابيه : إنه يرى أنه أعلم بها منى فيانف من ملاعبتي ، فانا الاعبه مخاطرة (رهانا) فقال الفضل : لا افعل ، فقال له ابوه : لاعبه وانا معك فوافق جعفر ولكن الفضل ابى ذلك .

ولما سئلت امهما عن ذلك قالت : إن جعفر قد سقط اربع سقطات ، تنزه الفضل عنهن : سقط حين اعترف على نفسه بانه يلعب الشطرنج وكان ابوه صاحب جد ، وسقط في التزام ملاعبة اخيه وإظهار الشهوة لغلبه ، وسقط في طلب المخاطرة (الرهان) وإظهار الحرص على مال اخيه ، والرابعة قاصمة الظهر حين قال ابوه لأخيه لاعبه وانا معك فقال اخوه لا وقال هو نعم ، فناصب بذلك صفا فيه ابوه واخوه .

ثم قالت : ولقد خلوت بالفضل وسالته عما منعه من ادخال السرور على ابيه بملاعبة اخيه فقال : امران ، احدهما انى لو لاعبته لغلبته واخجلته وثانيهما قول ابى لاعبه وانا معك فما سرنى ان يكون ابى معى على اخي .

واستطردت أم جعفر ، ثم خلوت بجعفر فقلت له : يسال ابوك عن اللعب بالشطرنج فيصمت اخوك وتعترف انت وابوك صاحب جد ، فقال : إنى سمعت ابى يقول نعم لهو البال المكدود وقد علم ابى ما نلقاه من كد التعليم والتادب ، ولم اكن أمن ان يكون قد بلغه انا نلعب بها أو ان يبادر اخي فينكر ، فبادرت بالاقرار إشفاقا على نفسى وعليه ، وقلت : إن كان توبيخا فديته من المواجهة به . واما عن لعبى مخاطرة (رهانا) فقد استحسن اخى الفضل الدواة ذات العقيق والياقوت التى وهبها لى أمير المؤمنين ، فعرضتها عليه فابى قبولها وطمعت ان يلاعبنى فاخاطر عليها وهو يغلبني ، فتطيب نفسه باخذها ...

محمد على محمد بابكر
الخرطوم ـ السودان

قالوا عن المرأة

● لعقل المرأة ما لجسمها من المزايا والعيوب .. فهو خلاب ولكنه ضعيف .

● إذا أردت أن تعرف نقائص امرأة فاعمد الى مدحها أمام امرأة أخرى .

● إذا استطعت فتجنب المناقشة مع المرأة لأنك إن انتصرت عليها ابغضتك .. وإذا انتصرت عليك احتقرتك .

● المرأة الحديثة إحدى اثنتين :
امرأة تصنع للرجل مسكناً ، او امرأة تصنع للمسكن رجلا .

● يحبك الرجل لما يظنه فيك من صفات طيبة ... وتحبك المرأة لما تظنه انت فيها من صفات طيبة

● إن المرأة تنتصر بالتشبث ، لا بالكفاح ولا بالشجاعة ، إنها كالاعلان تنال ما تريد بالتكرار

● المرأة القبيحة ترى وجهها فى المرآة .. والمرأة الجميلة ترى وجهها فى عيون الناس

● المرأة كالبحر .. مطيعة لمن يقوى عليها .. ولكنها جبارة معاندة لمن يخاف منها .

هشام محمد فخري
الاسكندرية

همسات ناعمة

ما أقسى الصمت وما ارقى اصوات البشر حتى ولو كانت ضجيجا .

ما أقبح السكوت وما أجمل الحركة حتى ولو كانت معارك .

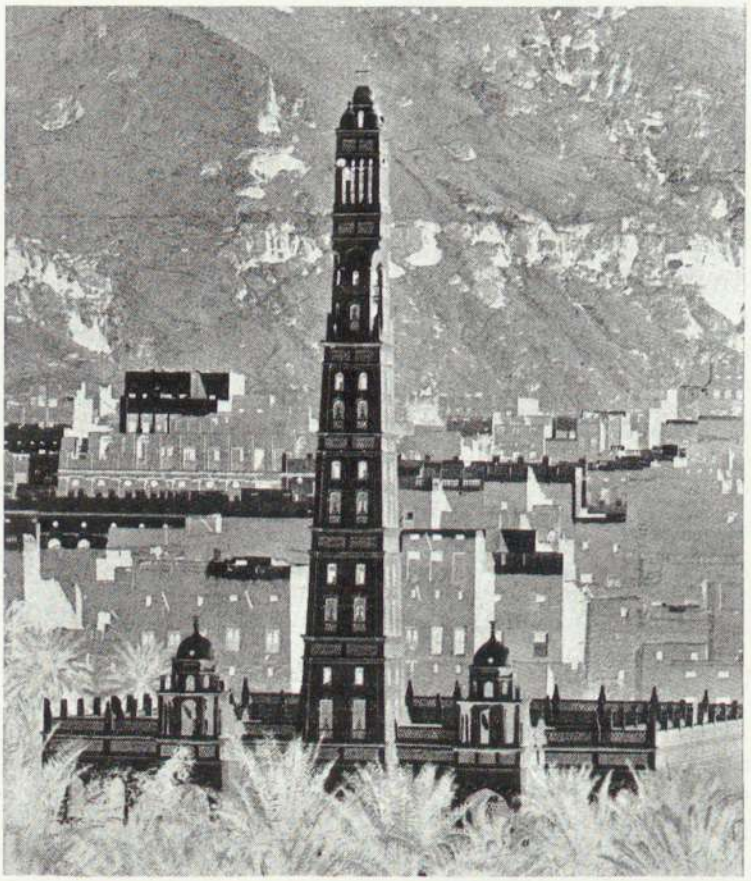
ما أبرد الوحدة وما أدفأ انفاس الناس حتى ولو كانت مريضة .

ما أفظع الفراغ وما أحلى التفكير والعمل ولو بالفشل .

ما أجمل الصبر وما أحسن نهايته حتى ولو كان مراً .

مريم خليل عثمان
السودان

لقطة الشهر



مسجد المحضار فى مدينة تريم بمحافظة حضرموت بجمهورية اليمن الديموقراطية .

فاز بالجائزة وقدرها مائة ريال قطري القارىء :
فهد هاشم احمد محمد ـ الشيخ عثمان ـ عدن ـ جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية

رأيت

المطاط

ظهر شجر المطاط أول ماظهر في امريكا الجنوبية ومع انه لم يستخدم كسلعة او يتم تصنيعه الا منذ اقل من مائة عام الا انه عرف منذ ٤٥٠ عام عندما تنبه اليه بعض المستكشفين الاسبان الذين كانوا يجوسون خلال تلك البقاع بحثا عن الذهب والفضة ، فراوا بعض الاطفال من الهنود الحمر يتقاذفون فيما بينهم كرة ما تكاد تقع على الأرض حتى ترتفع عنها من تلقاء نفسها فكانوا اول من راى المطاط من ابناء العالم القديم .

وفي عام ١٨٧٠ استطاع رجل يدعى هنرى ويكهام ان ينقل بعض بذور شجر المطاط من امريكا الجنوبية الى انجلترا ثم استنبتها فى مشتل خاص قام بتدفئته تدفئة صناعية حتى يلائم جو امريكا الجنوبية ثم نقلت «الشتلات» الى سيلان والملايوحيث المناخ والتربة الملائمان فنجحت التجربة واصبح معظم المطاط الذى يستهلكه العالم اليوم ينبت في الملايو ويصدر منها .

دانه ماجد سعد آل سعد
دولة قطـــر

رسائل إلى المحرر



● المواهب الشابة ●

كم اود ان أرى على صفحات الدوحة باباً خاصاً بالشباب يخاطبهم ويفتح صدره لانتاجهم ويناقش مشكلاتهم خاصة انها تختلف عن غيرها من المشكلات . وحبذا لو اضيف الى المجلة باب للرياضة وكذلك باب خاص يحمل اسم «مدينة عربية» يكتبه شباب من ابناء المدن العربية نفسها التى يتناولها الموضوع تحت اشراف احد محررى المجلة .

واين تشجيعكم للمواهب الشابة فى مجالات القصة القصيرة والرواية ؟ نحب أن تبحث «الدوحة» عمن تقدمهم الى دنيا الأدب ليخلفوا عمالقة الكتابة الحاليين .

طارق محمد زقزوق
دمنهور ـ ج . م . ع

● تنشر المجلة كثيرا من الدراسات والأبحاث المتعلقة بالشباب ومشكلاته وكذلك تحقيقات مصورة عن البلاد العربية .

ونحن نرحب بأى انتاج جيد فى أى مجال من مجالات الأدب والفكر والثقافة والمجلة توسع صفحاتها دائما للمبدعين .

● مكتبة عربية جامعة ●

لاشك ان لكل دولة مكتبتها العامة وفروعها التى تنتشر فى انحاء ذلك البلد . وتحاول كل دولة أن تجمع فيها أكبر قدر ممكن من المراجع والكتب والمخطوطات النفيسة .

وإني أمل لو تخرج الى النور فكرة « مكتبة عربية جامعة » تساهم فيها كل دولنا العربية وتضم المخطوطات والكتب والمراجع الأثرية ذات القيمة العالية والتى لا يجوز أن تظل حبيسة بلد دون الآخر ، على أن يتبع هذه الدار قسم للترجمة والنشر يتولى ترجمة الكتب المختارة من العربية الى اللغات الأخرى وكذلك من اللغات الأجنبية الى العربية وتقوم بنشرها وبيعها بسعر زهيد يمكن أى قارىء من شرائها .

فارجو أن تتبنى إحدى الدول العربية التى تسمح ظروفها الاقتصادية والمالية ذلك المشروع لتقيم هذه المكتبة على أرضها .. وكل الدول العربية أرض للعرب جميعاً .

على جمال الكاف
عدن ـ اليمن الديمقراطية



● البحث عن مواهب الشعراء ●

انا معجب بما يرد فى مجلتكم الدوحة ، خاصة هذا الزخم الهائل من المقالات المتنوعة فى عدد يناير ١٩٨١ ، حيث شدنى ما كتب عن الشعراء القدامى الذين خلدوا الشعر فى تراثنا العربى ، والذين درسنا ونحن طلبة بعض قصائدهم ، ليسرى الشعر فى عروقنا دون أن نعرف الكثير عن تفاصيل حياتهم ومشاكلهم فى العصر الذى عاشوا فيه .. ولهذا فان ما نجده عن هؤلاء الشعراء فى مجلة الدوحة يجعلنا دائما على معرفة بما حدث لهؤلاء الشعراء ، فربما تنساب فينا غريزة الشعر ومواهب الشعراء والأدباء !

أحمد محمد البشير
أم روابة ـ السودان

● حول تبسيط اللغة العربية ●

وردتنا عدة رسائل تعليقاً على هذا الموضوع الذى استحوذ على اهتمام القراء .

فقد كتب الينا القارىء جمال شيشة من البليدة بالجزائر يقول إنه يعارض فكرة تبسيط اللغة العربية ، وينادى بان نبذل جهداً اكثر لمحاولة توضيح اللغة ، ويستطيع الاعلام العربى بكل اجهزته وقدراته ان يساهم فى ذلك . ويضرب مثالا لذلك بان اللغة اليابانية تضم في ابجديتها مائة وستين حرفاً ، ولكن لم يحدث أن خرج عالم من ابناء اليابان بنداء لتبسيط لغتهم أو اختصار ابجديتها أو تغيير قواعدها .

أما القارىء عبد الباسط محمد قريصة من المعهد العالي للتقنية بالجماهيرية الليبية فيقول : إن اللغة العربية التى تتكون ابجديتها من ثمان وعشرين حرفاً قد انزل الله بها قرانه الكريم على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، ولو تصفحنا القرآن لوجدناه سلساً جذاباً ، وهو مع ذلك يسير على قواعد النحو والصرف . والبلاغة دون خروج .

ويضيف القارىء : إن العصر الحديث هو عصر التقنية الحديثة والكمبيوتر والذرة ، وهذا التطور لا يتعلق باللغة العربية او غيرها من اللغات . فالتقدم العلمي لا يستخدم النحو او الصرف ولا الادغام أو الاظهار او الاقلاب .. ولكنه يستخدم الارقام والأعداد والقوانين والنظريات الرياضية والعلمية .

أما القارىء الحسينى عياد من الجزائر فيقول : إن صعوبة اللغة العربية ناشئة أساساً من عدم شرحها للدارسين بطريقة سهلة ميسورة وبالتالي عدم القدرة على استيعابها منذ الصغر .

ويستشهد برأي البشير الابراهيمي حيث يقول عنها :

« ومازالت صالحة لولا غبار من الاهمال علاها ، وعاق من الأبناء ، قلاها ، وضيم من لغات الأقوياء المفروضة دخل عليها » .

ويضيف القارىء الحسيني عياد « وعلى سبيل المثال فان مجلة الدوحة تصدر باللغة العربية ، ومع ذلك فهي نموذج للغة المفهومة الميسورة التى يقبل عليها القارىء فى كل مكان »

● الفنانون القطريون ●

تابعت من خلال قراءتى لمجلة الدوحة والمجلات العربية الأخرى ، ماشهده المسرح العربى عامة والخليجى خاصة من بوادر النهضة والتقدم ، وذلك لتوفر المجالات الفنية والقدرات وكذلك لوجود كوادر قادرة على حمل عبء تطوير المسرح الخليجى .

وانني إذ افخر بابن الخليج حين يخطو على المسرح ليضرب المثل على مواكبته للنهضة الفنية والمسرحية فى العالم ، لأرجو أن تساعد مجلة الدوحة فى إلقاء الضوء على الفنانين القطريين والخليجيين الذين أسهموا ويسهمون بجهودهم وخبرتهم فى هذا المجال .

بسام أحمد عبد ربه البدور
الشوبك ـ الأردن

● المتتبع لأعداد المجلة يجد بين صفحاتها موضوعات تتعلق بالفنانين الخليجيين والعرب وكذلك دراسات حول الفنون العربية والخليجية .



● أطماع اليهود فى الليطاني ●

قرات في العدد ٦٢ ـ فبراير ٨١ ـ موضوع نهر الليطاني واطماع اليهود فيه وفى جنوب لبنان .

واود معرفة كيفية حصولكم على خطاب « حاييم وايزمان » الى اللورد «ديفيد لويد جورج» ، وهل من الممكن أن أحصل على صورة لهذا الخطاب .

واني ـ نيابة عن قراء المجلة ـ لأشكركم هذا الاهتمام بقضايانا المصيرية ، وقيامكم بهذا الدور الكبير لتوعية العرب نحو اطماع اليهود ، وعسى أن نفيق من غيبوبتنا .. !

سامي هندام
حدائق حلوان ـ القاهرة

● ما رأيكم فـى هذه الاقتراحات ●

اعجابى بمقالات الدكتور يوسف القرضاوى والدكتور حسن عيسى عبد الظاهر وغيرهما .

أننى اقترح على مجلتكم أن تكتب فى كل عدد عن سيرة أحد الشعراء العرب القدامى مع الحكم الصائب على قيمة شعره ومافيه من جوانب فنية وجمالية .. وأن تكتب لنا عن مدينة «صحار» خاصة وأنها المدينة الأولى التى دخل اليها الاسلام فى سلطنة عمان عندما قدم إليها عمرو ابن العاص مبعوثاً للرسول ، كما أن هذه المدينة بالذات كانت أحد أسواق العرب المشهورة فى الجاهلية وبعد الاسلام .

علي شنين خلفان
صحار ـ سلطنة عمان

● هذه الأخطاء المدمرة لقضايانا ●

قرأت فى العدد ٦١ من مجلة الدوحة ـ باب رسائل الى المحرر ـ رسالة القارىء محمود جفلان من حلب بسورية ، يرد فيها على قارىء احتج على نبيل الأغا لذكره أن «اسرائيل دولة» ، فى حواره مع الدكتور اليهودى الأمريكى «الفريد ليلينتال» .

والسؤال الذى أريد أن أطرحه على الأخ جفلان وعلى جميع الكتاب فى كافة وسائل الاعلام العربية ، وعلى كل عربى مخلص لعروبته يؤمن بأن فلسطين عربية هو :

لماذا لا نستعمل بديلا عن كلمة «اسرائيل» ، «بفلسطين المحتلة» أو «ما يسمى بدولة اسرائيل» الخ ؟؟؟

لماذا لا نربى أجيالنا على تعلم الحقائق ؟ ولماذا نغرس فى أذهانهم تسميات شاذة غريبة على واقعنا العربى ؟

الوطن العربى من محيطه الى خليجه مهدد بالاحتلال من جانب العدو الصهيونى لأنه الأقوى بين ضعفاء مفرقين .. فهل اذا احتل العدو الصهيونى أية مدينة عربية وفات على احتلالها سنوات ، وقدر لك يا أخ محمود جفلان أن تتكلم أو تكتب عن المدينة .. فهل تقول : تقع مدينة .. العربية فى دولة اسرائيل .. بربك هل تفعل ذلك ؟!

العربى الفلسطينى أسعد حميد
ليبيا

● مشاكل المسلمين ●

لقد اعجبت كثيرا بالمجلة ومازلت من المتابعين لها لما فيها من مواضيع ذات قيم دقيقة . وعلى رأس هذه المواضيع المشاكل التى يعانى منها المسلمون فى جميع انحاء العالم وبصفة خاصة فى الدول العربية والتى أراها على الدوام فى شقاق مستمر وتناحر . ناسين بذلك الدعوة الاسلامية . دعوة الفكر ، والعقل ، والعدالة ، والمساواة ، والتى حرمت دم المسلم على المسلم إلا بالحق .

المهم أنه من دواعى سرورى أن تستمر هذه الاقلام الشريفة والمهتمة دائما وأبدا بشئون الاسلام والمسلمين فى نضالها بالكلمة دفعا للعمل على هدى الكتاب والسنة وتوعيتنا جميعا لما فيه الخير لنا كمسلمين .

واتمنى أن يجد الطفل العربى بصفة خاصة والطفل المسلم بصفة عامة اهتماما من مجلتكم واقترح أن يرفق ملحق خاص بالطفل مع كل عدد من المجلة .

محمد على الطاهر
أم درمان ـ السودان

ردود سريعة

● القارىء رضا ابراهيم محمد سيد ـ المنيا ـ ج . م . ع :

ـ أرسل لك الشيك رقم ٨٠٧٥/٧ بتاريخ ١٩٨١/٣/٢٥ مسحوب على البنك الأهلى المصرى فرع ثروت وذلك على عنوانك بكلية الطب البشرى ـ جامعة أسيوط .

● القارىء ادريس ناصر عبد القادر ـ الخرطوم بحرى ـ السودان :

ـ وصلت رسالتك وشكرا لك ولكن الصورة لم تصل .

● القارىء : مامون عثمان الفكى ـ أبو نعامة ـ مديرية النيل الأبيض ـ السودان :

ـ اقتراحاتك منفذة فى المجلة أما عن القصص باللهجات المحلية فنحن نشجع على استعمال الفصحى فهى اللغة العربية الصحيحة وهى التى يفهمها العرب جميعا . وأخيرا فنحن من دعاة الوحدة العربية الشاملة التى تقوم أول ما تقوم على اللغة الى جانب المقومات الأخرى .

"علوان .. ابن العار"

مهداة إلى روح الأستاذ فوزي العنتيل

يقولون ان الطريق الطويل هنـا منتهـاه
يقولون انك مـا عدت تهمس فى اذن الدهر بالامنيات ـ الحياه
يقولون انك لا بـد تمـضى ...
ـ وحـق الـذى فى سمـاه ـ
هنا أول الـدرب عنـدى وعنـدك
مازال « فـوزى » أمـامي أراه ..
هنـا بينكـم فى اختـلاج الصـدور
وابصـره في انفـراج الشفـاه

● ● ●

فيا موئـل العشـق قرى عيونـا
فكل المواسـم فى راحتيـك ..
كمـا كل عـام يجيء إليـك
يزور الحقـول ، ويخلـع نعليـه عنـد القـدوم
ويلقى السلام . سـلام عليـك ..
ففى وحشـة البعد كنـت الصـديق
وفى ظلمة الليـل كنت القمـر
وكان عبيـرك بين الثيـاب
ووجهـك ظل جـواز السفـر
وفي لحظـة الصمـت كانت حقولـك ،
قمحـك ، طينـك ،
مـدأ عتيـاً ..
يمـوج بعينيـه لا يستقـر

● ● ●

كما كل عـام .. اتاك فتـاك
فضميه .. ضميـه .. ألقى عليه الدثـارا
ففي دفء عينيـك غـني وغـني ..
ومـا كان بعـدك عنـه اختيـارا ..
ولا تشغـلي البـال ..
اى القطـارات يركـب ..
مل المسافـر طعـم الدوار.
وعاد إليـك فضميه .. ضميه ألقى عليه الدثار
وغنيه « علوان » ما كان يهـواه من اغنيات الحصـاد ..
فابنـك عـاد ..

درويش الاسيوطي
أسيوط ـ مصر

(١) مسقط رأس الشاعر إحدى قرى مركز أسيوط ـ مصر .

علمتني الحياة



عبد الله الشيتي
الكويت

● علمتني الحياة ، أن الناس اثنان : ظالم ومظلوم . وأنا اخترت الثانية ، فليختر سواى الأولى !

● سالوني فى إحدى الاذاعات : من مطربتك المفضلة . فاجبت فيروز . قالوا : ثم من .. قلت لم انته بعد من سماع فيروز .... !

● لو سالتنى ما أجمل الأشياء ؟ .. لأجبتك جواب ناظم حكمت : أجمل الأيام التى لم نعشها بعد . وأجمل الزهور التى لم نقطفها بعد . وأجمل الأطفال الذين لم يولدوا بعد . وأجمل البحار التى لم نزرها بعد ..

ولو أصررت ياصديقى على معرفة رأيي أنا ، لقلت : أجمل مافى الحياة الحب قبل أن يأخذ طريقه الى ... المأذون ؟

● أتدرون من هي المرأة الشرقية .. ؟

انها فى هذا الزمان ، التى تقلد المرأة الغربية .

● حسناً ، قالت لي نفسي وجنازة تمر أمامي : كيف تفلسف الموت ... ؟

قلت : عقاب ضروري للبشر ، حتى لا يأكل بعضهم بعضاً !

● والصحة الجيدة ..

أقول : يتلفها الفقر كما يتلفها ... الغنى !

● هل تاملتم قليلا فى حكاية برناردشو مع حارس المقبرة ..؟

ذات يوم مر (شو) فى واحدة من مقابر لندن فرأى فى بابها حارساً مسلحاً يحرسها فساله :

ـ ماذا تفعل هنا يافتى ؟

قال ـ احرس المقبرة ياسيدي ..!

فقال له ـ وممن تحرسها ؟ إن الذين فى داخلها لا يريدون الخروج منها ، والذين هم خارجها لا يريدون الدخول اليها .. !!

● هل أدلكم على أقسى أنواع الطلاق في الحياة الزوجية ..؟

انه ولا مؤاخذة (الطلاق العاطفي) ... !

● أدباء هذه الأيام اثنان فى رأيي : واحد يكتب بصعوبة فنقرؤه بسهولة ، وآخر يكتب بسهولة فنقرؤه بصعوبة !

● ظننى البعض ذات يوم اننى كاتب مسرحي ! فسالوني : ماهي الدراما فى رأيك ؟

قلت ـ أن تزورك حماتك ! قالوا : والكوميديا .. قلت : أن تزورها أنت ؟

● أتدرى ما أجمل تجربة تعلمتها من الناس ... ؟

انها تجربة (ابعد عن الشر وغن له) ومن يومها وصوتي فى الغناء أجمل من صوت أم كلثوم أو (أبو كلثوم) وديع الصافي .!

● البيت الذى تمارس فيه الدجاجة عمل الديك يحل فيه الخراب ! انها حكمة ذهبية ـ مع ارتفاع اسعاره ـ مهداة الى كل دجاجة ، أعنى كل زوجة . !!

● كان الشاعر أحمد الصافي النجفي يقول : إذا ربح الأديب «بيانصيب» شككت بأنه حقاً أديب . !



تيم